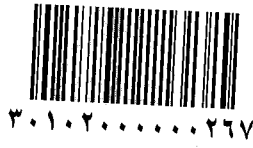


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
مكة المكرمة
قسم الدراسات العليا التاريخية

دراسات نقدية
لبعض آراء

فيليب حقي - و - كاران بروكلمان
في التاريخ الاسلامي



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

من الطالب: عبد الكريم عبد عبد الكريم باز
إشراف الدكتور: إبراهيم عبد شعوط



العام الدراسي ١٣٩٩/٩٨ هـ

" بسم الله الرحمن الرحيم "

(١)

شكر وتقدير

هي كلمة حق ألزمني قولها ، ما لمست من الوالد الاستاذ الدكتور
ابراهيم على شعوط ..

فقد لمست فيه كل معنى للأبوة الحققة ، وذلك لبذله المستمر ، وعطاءه
التير منقطع مما وهبه الله من سعة العلم الذي استطاع به أن يسبر غور ما كتب عن
التاريخ الاسلامي ، ففني شوائبه وأخرج منه ما شوه حقيقته .

فكان في ذلك نهرا سي الذي أضاء لي الطريق فيما قمت به من عمل ، وذلك
لما بذله لي من وقته الثمين في الجامعة ، في منزله ، وفي المسجد الحرام .

فأسأل الله العلي القدير أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يضاعف له الاجر
في الدنيا والآخرة لما بذله من اظهار التاريخ الاسلامي على حقيقته ، ولما بذله
من العطاء الواسع في شد أزرى ومساعدتي طوال فترة اشرافه على رسالتي ..

كما أنه لا يفتني وأنا في هذا الموقف ، أن اعترف بالجميل لأهله ، فأرفع
يد الضراعة الى العلي القدير ، بأن يمن بواسع رحمته على الاستاذ الكريم الدكتور
محمد كمال عبد العظيم الدسوقي ، وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يجعله مع عباده
الصالحين ، وذلك لما بذله هو أيضا من عظيم الجهد في ارشادي .. ومساعدتي
وأنا في بداية الطريق ، فأوضح لي الكثير مما كان يخفى علي في بداية البحث ، وحشه
لي على مواصلة السير ، فبذل في ذلك من وقته الثمين من أجل ما جعلني أكن له
كل تقدير واحترام لذكراه .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا ويسدد خطانا انه نعم المولى ونعم النصير .

(ب)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله باعث النبيين بدين الحق ،
والصلاة والسلام على من جعل الله رسالته خاتمة لرسالات السماء عاممة
لجميع خلقه ، شاملة لكل أوامره ونواهيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

• وبعد •

فهذه مقدمة مبسطة لموضوع رسالتي المقدمة لنيل درجة الماجستير والتي
أحاول بها أن أبدأ في طرق أول باب من أبواب التحصيل العلى وأنا في بدايته
الطريق ، وموضوعها هو :

دراسة نقدية لبعض
آراء فيليب حتى وكارل بروكلمان في التاريخ الاسلامي

والذي دعتني لاختيار هذا الموضوع هو انتشار هذه الآراء التي وقفت
الاستشراق من ورائها في مظهرين ، كما قال فضيلة الشيخ الغزالي : أولهما
أن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسح العلم والرهبانية في البحث وهي أبعد
ما تكون عن بيئة العلم والتجرد ، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لأهانة الاسلام
وتشويهه محاسنه والافتراء عليه .

والآخر هو أن جما غفيرا من الشقيين في بلادنا بوا هولاء القوم مكانسة

(ج)

هم دونهما بيقين ، ووقعوا في شباكهم ففسدت عقائدهم ومثلهم فلامحيص من اطماسة اللثام عن وجوههم وابرارهم على حقائقهم العارضة . (١)

ومن المؤسف ، ان بعض هذه التهم والريب قد نسجت بنوال محكم ممن لدي صنعة مهرة ، وقد تخصصوا في ذلك ، فاظهروها للعامة وكأنها حقائق ثابتة اقتنع بها البعض ، والبعض الاخر - الاحسن ثقافت - وقف في حيرة من امرهم مما جعل الشك يتسرب في بعض الاحيان ، الى الاسلام وجوهه ، حتى بدا يخبو بريقه فسوس نفوس الذين بهرتهم حضارة اوربا واشتد اعجابهم بافكار المستشرقين .

فوجدت انه لزاما علي ان اسعى محاولا الكشف عن بعض هذه التهم واطهار زيفها والتي حاول المغرضون الصاقها بالاسلام .

وليكون في المكتبة العربية وامام القارىء وخاصة الشباب المسلم مصدر موثوق به مدعم بالادلة العقلية والنقلية ، يكشف زيف هؤلاء الدسائس ويرد كيدهم فسوس نحورهم بعدما يتضح الحق ويبد وضياؤه امام عيون الشباب المسلم ، فلم يفتربما يقرأ من كتبهم او ينفقاد لما يسمع من كلامهم .

ولا احسب نفسي اول من كتب في هذا المجال بل لقد جعل الله للاسلام اقلاما تسمى لمحو ما التصق به من زيف امثال العالم ابوبكر بن العربي ، والدكتور ابراهيم شعوط ، والشيخ محمد الغزالي ، والاساتذ احمد محمد جمال ، فسعدوا جاهدين - جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء - الى اظهار الحق

(١) الغزالي : محمد - دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين القاهرة (١٣٩٥هـ) .

(د)

وكشف زيف المبطلين ، الا أن كتاباتهم كانت شاملة وطامة ، ولم تتركز في الرد على رأى شخص معين .

أما موضوعى فقد تركز في الرد على اثنين من هؤلاء فقط هما " فيليب حتى " و " كارل بروكلمان " ولكتابين من كتبهما (تاريخ الشعوب الاسلامية - لبروكلمان) و (تاريخ العرب المطول - لفيليب حتى) . .

وكان موضوع بحثى هو دراسة نقدية لبعض الآراء الموجودة في هذين الكتابين وللفترة الممتدة من بداية البعثة المحمدية حتى نهاية العصر العباسى الاول ، وكان اختيارى للتصدى لهذين الكتابين ، لما لهما من شهرة ذائعة السيط في الاوساط العربية والاسلامية ، لان كتابيهما من أكر كتب التاريخ الحديث انتشارا وشيوط بين الشباب المسلم ووجودا في المكتبات وتدرسا في معظم الجامعات والمعاهد . . فأحببت أن ألفت نظر المسلمين الى خطورة هذين الكتابين وخبث نية صاحبيهما .

ولقد تصديت في منهج رسالتى لنقد هذه الآراء والرد عليها بأن أذكر الرأى ثم أبدأ الرد عليه بالادلة المختلفة ، منها العقلية ومنها النقلية ، وقد اعتمدت في تنفيذ هذه الآراء على الكتاب والسنة ثم استعنت بالادلة النقلية والعقلية والتي نقلتها لاستدل بها من بعض كتب المستشرقين الذين سجلوا فى كتبهم اعترافاتهم بعبقورية الاسلام ، ورجاله ، كدين شامل مكتمل ، اهتم بكل أمور الدين والدنيا ، ومكارم الاخلاق ، وحث على اتباع والتخلق بأخلاقه والاخذ بالعلوم فى شتى مجالاتها حتى أضحت لمعتقيه حضارة زاوية جمعت بين السروح

(هـ)

والمادة ، فامتازت عن الحضارات الاخرى بالشمول والبقاء ، وأعطى المرأة حقها من الحرية والانصاف ، وأنصف الرقيق والاسير وضرب على يد الظالم والمفسد .

ولقد كان اختياري للدلالة من كتب هؤلاء المستشرقين المنصفين أمثال :
توماس أرنولد ، وجوستاف لوبن ، لأرد كيد المفتريين منهم وأبين لهم زيفهم
واقترأهم وحتى تصبح هذه الشهادة منهم على أنفسهم يكذب ادعائهم فيتضح بعد
ذلك للمرتاب والمفتون بثقافة الغرب كذب هذه الادعاءات ، فشهادة الخصوم
بعضهم على بعض من أقوى الادلة على ثبوت الحقائق التي تعرض لها الخصوم .

لذلك رأيت أنه لزاما على أن أقدم للقارىء شهادات المنصفين من غير
المسلمين ، على أن كل الادعاءات التي ذكرها كارل بروكلمان وفيليب حتى لا تتصل
بأى سبب من أسباب الحقيقة ولا تقوم على أى نهج على .

ولقد كان تقسيمى للموضوع كما يلي :

أولا : - المقدمة .

- التمهيد ، وهو عبارة عن لمحة مبسطة عن حركة الاستشراق .

ثانيا : القسم الاول : ويشتمل الرد على بعض الآراء والشبه الموجودة في كتاب
فيليب حتى - " تاريخ العرب المطول " ، وهذا القسم مقسم الى ثلاثة
فصول :

- أ (صورة من الآراء في عصر النبوة .
- ب) صورة من الآراء في عصر الراشدين .
- ج) صورة من الآراء في عصر بنى امية وبنى العباس .

(و)

ثالثا : القسم الثاني : ويشتمل على الشبه والآراء في كتاب " تاريخ الشعوب الاسلامية "

لكارل بروكلمان ، وهو مقسم الى ثلاثة فصول أيضا :

- (أ) مختارات من الآراء في عصر النبوة .
- (ب) صورة من الآراء في عصر الراشدين .
- (ج) نماذج من الآراء في عصرى الامويين والعباسيين .

رابعا : القسم الثالث : وهو مقسم الى ثلاثة أجزاء أيضا :

- (أ) مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الشبه والآراء .
- (ب) واجب رجال التاريخ ازاء هذه الآراء .
- (ج) بعض الكتب التي تأثرت بآراء (حتى) و (بروكلمان) .

خامسا عقدت فصلا آخر ذكرت فيه تعريفا مبسطا لبعض أهم المراجع التي أفادتني

في بحثي .

- سادسا الخاتمة وهي عبارة عن كلمة مبسطة عن النتائج التي توصلت اليها .
- سابعا : الفهرس ، فقاومة المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في بحثي .

(١)

((تمهيد))

المستشرقون

مقوى بدأت حركة الاستشراق

بدأت حركة الاستشراق منذ العصور الاسلامية الاولى حينما وصل الاسلام الى الاندلس ، وأخذ نوره يضيء ظلام القلوب والعقول ، من هذه البقعة السنية كانت غارقة في الجهل والظلمة والتخلف فلما تفتحت عيون أهل هذه البلاد على هذا الدين وعلى المثل الكريمة التي تمثل دين الاسلام على حقيقته وظهر شموخ الاسلام فيما يدعو اليه في مجال العلم والعقيدة ، واكتسح كل ما سبقه من حضارات وراعي الغر أن يكون في منأى عن تلك الصورة المشرقة ، فأخذ يستقى من مناهلها ، وأصبح العرب حملة مشاعل الحضارة من الشرق الى الغرب ، وصاروا أساتذة للاوربيين .

وصارت الجامعات الاسلامية في اسبانيا تضم الكثير من الطلبة الاوربيين فسي أحضان أروقتها ليدرسوا كل ألوان العلم .

ووجد الأوربيون في حضارة العرب ما يناسب احتياجاتهم ويسد الفراغ الموجود لديهم حيث كان لها من المرونة والواقعية ما يجعلها تتناسب ورغبات الشعوب على اختلاف أجناسها وثقافتها .

ولم يكف الاوربيون بتلقى علومهم في الجامعات الاسلامية فقد أسسوا عدة جامعات ومعاهد وكواسب لدراسة الحضارة الشرقية في بلادهم .

وأصبح المسيحيون في أوروبا يستقون من حضارة المسلمين شتى أنواع العلوم

والمعارف والفنون ودفعهم ذلك الى تعلم لغة العرب ليقتبسوا من حضارتهم
وعلمهمم التي ظهرت في الشرق الاسلامي فصاروا يحاولون ان يصبنوا ثقافتهم بالصيغة
الشرقية الاسلامية ، ومن هنا عرفوا بالمستشرقين .

ونصل من وراء هذا كله الى ان الاستشراق قد بدأ اول ما بدأ بدراسة
العلوم الاسلامية ، مأخوذاً بالنتائج العلمية التي حققها المسلمون ، ولكنه كان
استشراقاً غفوساً لا يضمراى قصد سوى الاستفادة من حضارة الشرق باعتبارها
نموذجاً جديداً للحضارات .

واهتمت الدول الاوروبية بارسال بعثات علمية الى بلاد الاندلس لدراسة
العلوم والفنون والصناعات ، نتيجة ذبوع شهرة الاندلس وحضارتها الاسلامية الزاهرة
كما بعث الملك فيليب البافارى الى الخليفة الاموي بالاندلس (هشام الاول - ١٧٢
/ ١٨٠ هـ) (١) يسأله السماح له بايفاد هيئة لاستطلاع حالة بلاد الاندلس ودراسة

(١) هشام الاول خلف ابيه عبد الرحمن الاول ، امه أم ولد تسمى حليل كان أبوه
قد عهد اليه بالامارة من بعده وولاه ماردة ، وأعدده للحكم ، وكان
يأنس فيه الحزم ويشق به . . . وقد شبهه المؤرخون بعمر بن عبد العزيز
في عدله واهتمامه بشئون المسلمين ، قرب الفقهاء اليه حتى أصبح لهم
نفوذ كبير في الدولة ، وكان يبعث الثقة الى الكور يسألون الناس عن
سير الولاية ، وكان هشام تقياً صالحاً صرف عهده فيما يعود على بلاد
بالخير والرفاهية وهو من أهل الخير والصالح كير الغزو والجهاد لرفع راية
الاسلام في الاندلس .

(انظر حسن : حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٣٣-٢٣٤)

نظمها وشرائعها والثقافات المختلفة فيها ليتمكن من نقل هذه الصور الى بلاده . (١)

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة أخرى ، هي مرحلة الاستشراق من أجل هدف معين ، وفي هذه المرحلة اتخذ اقبالهم على الاستفادة من الحضارة الشرقية الاسلامية شكلا علميا منظما ، قائما على أسس علمية ثابتة واضحة ، ثم تطور الى نوع من التقنين (التنظيم) في الدراسات ، فأطلق عليها الدراسات الشرقية وأسست لذلك مدارس خاصة من قبل الحكومات الاوربية وذلك لتحقيق أهدافها الاستعمارية .

والذي يلاحظ أنه منذ نهاية الحروب الصليبية أخذ الاوربيون يتجهون في دراستهم للتراث الاسلامي اتجاهات مختلفة ، وأضحى الاستشراق يتخذ لعدة اتجاهات خبيثة ، وأصبحت أهدافه موسومة بالميل والاغراض المختلفة .

(١) مصطفى : عطف - المستشرقون في الاسلام - العدد الثاني من السنة الثانية ص ٢٠٣ . مجلة الدارة .

دواعي الاستشراق

أولاً - دافع ديني

اننا لا نحتاج الى كبير غناء في البحث للتعرف على الدافع الديني للاستشراق عند الغربيين ، فقد بدأ أول ما بدأ الاستشراق المنظم من الفاتيكان ورواد الاستشراق هم رجال الكنيسة وعلماء اللاهوت وظلوا هم المشرفون على هذه الحركة والمسيرين لها للدفاع عن الكنيسة ولمواجهة الضغوط الشديدة المتزايدة من المفكرين المتمردين على سلطانها ، فحين فتحت الحضارة الاسلامية متنفسا لهم ومهدت لهم الفرصة للتفكير والتخلص من قيود الكنيسة وازهار اعجابهم بالاسلام ، كان هم الكنيسة أن تطعن في الاسلام وتشوه محاسنه ، وتحرف حقائقه لتثبت لجماهيرها التي تخضع لسلطانها أن الاسلام هو الخصم الوحيد للمسيحية ، وهو دين لا يستحق الانتشار ، وان المسلمين قوم همج لصوص ، وسفاكوا دماء ، يحشهم دينهم على الملذات الجسدية . (١)

ثم اشتدت حاجتهم الى هذا الهجوم بعد أن رأوا أن الحضارة الاسلامية قد زعزت أسس العقيدة الدينية عند المسيحيين ، وأخذت تشكلهم في تعاليمهم التي كانوا يتلقونها من رجال الدين عندهم ، فلم يجدوا غير تشديد الهجوم على الاسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة . (٢)

(١) القارى : عبدالعزيز - مجلة محاضرات الجامعة الاسلامية / محاضرات موسم

١٣٩٤/٩٣ هـ ص ٩٧٦ (المستشرقون في الميزان) .

(٢) د السباعي : مصطفى - المستشرقون والاستشراق - ص ١٧ الكويت ١٣٨٧ هـ

ثانياً - دافع استعماري

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين - وهي حروب دينية فسي ظاهرها استعمارية في حقيقتها - لم ييأس الغربيون من السودة الى محاولة احتلال بلاد العرب والمسلمين ، فاتجهوا الى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات وحضارة ولهجات شعوبه ، ثم ازداد نشاطهم في البحث عن أمجاد الامة العربية وذلك ليتعرفوا على مواطن القوة فيضعفوها والسى مواطن الضعف فيختتموها ، ولما تم للدول الغربية الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية على بلاد الشرق بدأوا في تشجيع الاستشراق ، واضعاف المقاومة الروحانية والمعنوية في نفوس المسلمين وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم وذلك عن طريق التشكيك في فائدة ما في أيديهم من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم انسانية حتى يفقدوا الثقة في أنفسهم ويتركوا مقاليد أمورهم في أيدي هؤلاء المستعمرين ويتأثروا بما عندهم من أخلاق وعادات وتقاليد فيتم للمستشرقين ما يريدون من خضوع المسلمين لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لهم من بعده قائمة .

ثالثاً - دافع تجاري

ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق ، رغبة الغربيين في التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم والاستيلاء على موارده الطبيعية الخام بأبخس الاثمان لفتح أسواق تجارية لصناعاتهم وقفل النشاط الصناعي والتجاري في الشرق حتى يبقى تحت سيطرتهم متخلفا فيما يضمن لهم مصدراً رخيصاً للمواد الخام

(٧)

فسعوا لايجاد شعور النقص عند المسلمين ، وخلق التخاذل الروحي وحملهم على
الرضا والخضوع لتوجيهات الاستعمار الغربى . (١)

٥٥

تحدثنا عن الدوافع التى دفعت رجال أوروبا للبحث فى تراث المسلمين
واعتبرنا هذه الدوافع بمثابة المقدمات لتخطيط طويل الامد ثم تبين بعد ذلك
أن هذه الدوافع والمقدمات كان لها أهداف تقصد اليها تبعاً لخطة مرسومة كما
أن لها وسائل استحدثوها لاقناع الناس بها .

بعض أهداف الاستشراق

وبعد دراسة أهداف الاستشراق وجدنا أن هناك اتجاهين :

- الاتجاه الاول - يرمى الى التشكيك فى الاسلام من كل جوانبه .
- الاتجاه الثانى - البحث العلمى الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة فى
الاسلام .

٥ ٥ ٥

(١) أبورابية : محمد - جولة مع المستشرقين - ص ١٨ - القاهرة ١٣٩٦هـ .

الاتجاه الاول - التشكيك في الاسلام من كل جوانبه

(١) التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم : وفي مصدرها

الالهى ، فأخذ جمهورهم ينكرون أن يكون محمد نبيا موحى اليه من عند الله جل شأنه ، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي في نزوله على الرسول ، فمن المستشرقين من يرجع ذلك الى " نوع من الصرع " كان ينتابه صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يعزوه الى مرض نفسى ، ومنهم من يرجعه الى تخيلات كانت تملأ ذهنه صلى الله عليه وسلم ، وقالوا أن القرآن من وضع محمد ، قد وضعه حسب ظروف البيئة ، وحاجة شعبه ، معتمدا على معلوماته السطحية من الكتب السماوية السابقة له ، وهكذا كانت بحوشهم حول الوحي والقرآن أو الدعوة والعبادات تعتمد دائما على الايهام والتشكيك فى أمر النبوة . (١)

وهكذا ، لأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة

الوحي .

ولما كانت النبوة فى نظرهم ثابتة لموسى وعيسى باعتبارهم بهودا ونصارى ووجدوا أنفسهم أمام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التى تعتبر نمطا جديدا لها خصائصها ومميزاتها من حيث أنها للناس كافة مؤيدة بكتاب مفصل كان انكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتا قد ملأنفوس أكثرهم وبخاصة الرهبان والقساوسة الذين جعلوا من أنفسهم مبشرين فى صورة مستشرقين مثل " رايموند " رئيس أسقفية توليد وحاكم مدينة كاستل سنة ١١٣٠-١١٥٠م ، و " بيتر " حامل لواء حملة

(١) مصطفى : عاطف - مجلة الدار - العدد الثانى والثالث من السنة الثانية

ص ٢٠٣ (المستشرقون فى الاسلام) .

لوم المسيحيين على مهادنة الاسلام ، وكان رأى "بيتر" أن تكون البداية على القرآن
ولهذا ترجم القرآن لللاتينية (١) ، واعدوا عدتهم لحرب الاسلام بكافة الاسلحة .

وحين يعجزهم فهم ما ورد في القرآن الكريم من حقائق تاريخية عن الامم
الماضية مما يستحيل صدوره عن نبي (أمي) مثل محمد صلى الله عليه وسلم ،
يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه
استمد معلوماته عن أناس كانوا يخبرونه بها .

وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله تعالى : ((ولقد نعلم أنهم يقولون إنما
يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)) . (٢)

وهكذا يتخبطون في ذلك تخبطا عجيبا ، وحين يعجزهم فهم ما جاء في
القرآن من حقائق علمية لتهترف ، ولم تكشف ، الا في هذا العصر يرجعون ذلك
الى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم فيقعون في تخبط أشد غرابة عن سابقه .

وتبعا لذلك الانكار ، يقولون أن الاسلام ليس ديننا من عند الله وانما هو دين
ملفق من الاديان الاخرى السابقة له . . . وليس لهم في ذلك سند يؤيده البحث
العلمي ، وانما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الاسلام وبين
الديانة اليهودية والنصرانية . . . وحتى اذا كان قد أخذ من الاديان الاخرى
على زعمهم فهو دين من عند الله .

(١) المصدر السابق
(٢) سورة النحل - آية ١٠٣

ونلاحظ أن المستشرقين اليهود أمثال - جولدنسبير ، وشاخت - هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الاسلام من اليهودية وتأثيرها فيه . (١)

وكان المفروض - في نظرهم - أن البيانات الالهية تتعارض مبادؤها -
الاخلاقية وكان الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر فعالي الله
عما يقولون علوا كبيرا .

(٢) التشكيك في الحديث النبوي : ولقد عمدوا أيضا الى التشكيك في
الحديث النبوي الذي اعتمد عليه علماءنا المحققون ، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما
دخل على الحديث النبوي من وضع وفساد ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلت
من قبل علماء الحديث لتنقية الحديث الصحيح من غيره ، مستنديين الى قواعد بالغة
الدقة في الثبوت والتحرى مما لم يعهد عندهم في ديانتهم ولم يبلغ عشر معشار
ما قام به العلماء المسلمون للتأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم . وقد رد علماء
المسلمين أحاديث كثيرة نسبت الى رسولهم وهذه الاحاديث المردودة لضعف
سندها أو متنها ، تعتبر أقوى من التراث الديني الراجح بين اليهود والنصارى (١)
والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه ، ما رأوه في الحديث النبوي
الذي اعتمد علماءنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة وهم لا يعتقدون في نبوة الرسول ،
فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله من محمد الأبي بل هو عمل المسلمين خلال
القرون الثلاثة الاولى ، فالمعدة عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ومن هنا
ينبعث تخبطهم . (٢)

(١) د . السباعي : مصطفى - ص ٢٣ - الاستشراق والمستشرقون .

(٢) الغزالي : محمد - دفاع عن العقيدة والشريعة - ص ٦٣

(٣) د . السباعي : مصطفى - الاستشراق والمستشرقون - ص ٢٤

فأثاروا الشبه حول السنة المطهرة فمن هؤلاء من يقول أن السنة لم تدون الا في منتصف القرن الثالث الهجرى ، لذا حصل التزديد والتفجير ظانين لجهلهم أو . . . تجاهلهم على الاصح أن الامام البخارى رحمه الله هو أول من دون السنة وسجل احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد توفى سنة ٢٥٦ هجرية .

ومنهم من أثار الشبه حول السنة باعتبار أنها تضمنت فضائل عدة من الصحابة ومن وقع الخلاف بينهم كما هو معلوم فهم لخبثهم يرون أن كل احاديث الفضائل قد وضعها انصارها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما سلكه أعداء الاسلام في سبيل هدم السنة والتشكيك فيها هو اثاره الشبهات حول أكابر روايتها وحملتها ومدونها ، كما أثاروا الشبهات حول الصحابي الجليل أبى هريرة رضى الله عنه وهو أكثر الصحابة رواية للحديث ، كما أثاروا الشبهات حول الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذى دون السنة في عهد عمر بن عبد العزيز بأمر منه .

ومن أمثال هؤلاء المستشرقين اليهودى جولد سيهر ود جالون . (١)

(٣) التشكيك في قيمة الفقه الاسلامى : ان ذلك الرصيد الهائل من التشريع الذى لم يجتمع مثله لجميع الامم في جميع العصور ، لقد أسقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول فلم يجدوا بدا من الزعم بأن

(١) انظر الصواف : محمد محمود - المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام
صفحة ١١١-١١٤ الطبعة الاولى .

هذا الفقه العظيم مستمد من التشريع الرومانى ، أى أنه مستمد منهم هم الغربيين وقد بين علماءنا الباحثون فيها ضعف هذه الدعوى ثم تبين فيما قرره مؤتمر القانسون المقارن المنعقد فى لاهى (١) من أن الفقه الاسلامى فقه مستقل بذاته ، وليس مستمدا من أى فقه آخر ، مما أفحم المتعنتين منهم وأقع النصفين الذين لا يبيغون غير الحق سبيلا . (٢)

(٤) التشكيك فى قدرة اللغة العربية : ولم يقف هجومهم عند هذا الحد وإنما ذهبوا فى حملتهم المسعورة الى التشكيك فى قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمى لىظل العرب عالة على مصطلحاتهم التى تشعرونا بفضلمهم وسلطانهم الادبى على العرب ، وتشكيكهم فى غنى الادب العربى ، واظهاره مجدبا فقيرا لىتجه العرب الى الادب الغربى وذلك هو الاستعمار الفكرى الذى ييغونه مع الاستعمار العسكرى الذى يرتكبونه . (٣)

(٥) التشكيك فى التراث الحضارى : ثم ذهبوا بعد ذلك الى تشكيك المسلمين فى تراثهم الحضارى ، ويدعون أن الحضارة الاسلامية منقولة عن حضارة الرومان ولم يكن العرب والمسلمون الا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها ، ولم يكن لهم ابداع فكرى ولا ابتكار حضارى ، وبذلك يكونون قد تمكنوا من اضعاف ثقة المسلمين بتراثهم .

(١) (لاهى) عاصمة المقاطعة الجنوبية بهولندا ، كما تعد العاصمة الحقيقية لها ، وبها المحكمة الملكية والمجلس التشريعى ومحكمة العدل الدولية الذى أوصى باقامتها مؤتمر عام ١٨٩٩م بلاهى نفسها (الموسوعة العربية الميسرة (ص ١٥٤٦)

(٢) د . السباعى - مصطفى - الاستشراف والمستشرقون - ص ٢٥

(٦) اضعاف روح الاخاء الاسلامي بين المسلمين : وذلك عن طريق احياء القوميات التي كانت من قبل الاسلام واثارة النعرات والخلافات بين شعوبهم .

فسعى الاستشراق جاهدا الى اعادة فكرة الشعوبية الى العالم الاسلامي بقصد اضعاف وحدته ، وذلك مثل الدعوة البربرية في شمال أفريقيا ، والفرعونية في مصر ، والفينيقية في ساحل فلسطين ولبنان ، والاشورية في العراق .

فاستغل الاستشراق ضعف الدولة العثمانية وبدأت تظهر حركة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨ م ، وكانت هذه الحركة هي ثمرة عدة جهود من النشاط الذي قامت به جماعات صغيرة بتأثير الآراء والافكار الغربية . (١)

وسعدوا الى تفتيت العالم الاسلامي من بين يدا الدولة العثمانية وهناك تقرير رفعه (لورنس) - صديق العرب في ذلك الوقت - الى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٢ م يقول فيه " علينا أن ندفع العرب لانتزاع حقوقهم من تركيا بالقوة لاننا بهذا نستطيع أن نقضى على خطر الاسلام بأن نجعله يعلن الحرب على نفسه فتمزقه من الداخل " . (٢)

فسعى الغرب الى تقسيم العالم العربي الاسلامي ، للمناطق منعزلة تحسب حمايته وذلك في الاتفاقية الانجليزية الفرنسية الروسية سنة ١٩١٦ م التي عرفت باتفاقية " سايكس بيكو " (٣)

(١) د . ارنست - تركيا الفتاة ص ٣٩ بيروت ١٩٦٠ م
 (٢) جمعة : سعد - مجتمع الكراهية ص ٨٨ بيروت دار الكتاب العربي
 (٣) انطونيوس : جورج - يقظة العرب ص ٥٧٨ بيروت ١٩٦٩ .

ونرى من ذلك أن الغرب سعى جاهدا إلى تقسيم العالم الاسلامى على أساس من القومية ، أى إلى عالم عربى وغير عربى ، مما أدى إلى قطع الصلات بسين المسلمين وأصبحت الصلات قائمة على العنصر القومى مجردة من كل صلة بالاسلام حتى تسهل السيطرة عليها .

وعلى كل حال فقد دأب القائمون على الاستشراق ، إلى عقد المؤتمرات العامة لتنظيم نشاطهم منذ عام ١٨٧٣ م ونشر المقالات فى الصحف وتأليف الكتب التى تطفح حقدا وسما على الاسلام ونبيه ، وتوهن القيم الاسلامية وتفتت وحدة الشعوب الاسلامية لتحقيق أهدافهم . (١)

• • •

الاتجاه الثانى - أهداف علمية خالصة بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة فى الاسلام

وهذه لا يقصد منها الا البحث والتحصيل ، ودراسة التراث العربى والاسلامى ، دراسة تجلوا لهم بعض الحقائق الخافية عنهم ، وهذا الصنف قليل عدده جدا وهم مع اخلاصهم فى البحث والدراسة لا يسلمون من الاخطاء ، ولا استنتاجات البعيدة عن الحق ، أما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وأما لجهلهم بالاجواء الاسلامية التاريخية ، على حقيقتها ، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم ، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والدينية التى تفرق بين البيئة التاريخية التى يدرسونها وبين البيئة الخاصة التى يعيشونها .

(١) الطهطاوى: محمد عزت اسماعيل - الاستشراق والتبشير - ص ٤٣ القاهرة

وهذه الفئة هي أسلم الفئات في أهدافها ، وأقلها خطرا ، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يبين لهم ، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في قلب البيئة التي يدرسها فيأتي منطبقا مع الحق والصدق والواقع ولكنهم يلقون عتقا من أصحاب الأهدأ الأخرى ، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلى والانساق وراء ، العاطفة والرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم ، كما فعلوا مع "توماس أرنولد" حين أنصف المسلمين في كتابه " الدعوة إلى الإسلام " وهذا يعتبر من أدق وأوثق مراجع المستشرقين في تاريخ التسامح الدينى في الإسلام ، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون وخاصة المبشرين منهم بأن مؤلفه كان مندفا بعاطفة قوية من الحسب والعطف على المسلمين مع أنه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها . (١)

ومن هؤلاء أيضا من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق إلى اختناق الإسلام والدفاع عنه مثل المستشرق الفرنسى " دينيه " الذى عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم " ناصر الدين دينيه " وكتب كتابا اسمه " أشعة خاصة بنور الإسلام " بين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله . (٢)

(١) د . السباعى : مصطفى - الاستشراق والمستشرقون ص ٢٧ ، الطهطاوى : محمد عزت اسماعيل - التبشير والاستشراق ص ٤٠ ، القارى : الشيخ عبد العزيز محاضرات الجامعة الإسلامية لموسم عام ١٣ / ٩٤ ص ٢٧٧ (المستشرقون فى الميزان)
(٢) د . السباعى : مصطفى - الاستشراق والمستشرقون ص ٢٧

وسائل المستشرقين لتحقيق هدفهم

وأما الوسائل فهي :

- ١ - تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وفي معظمها كثير من التحريف المتعمد والقاء التهم بلا سند ، أو نقل نصوص بعد بترها لتشويه بعض وقائع التاريخ .
- ٢ - اصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الاسلام وبلاده وشعوبه لسفرض تمكين الاستعمار في هذه البلاد .
- ٣ - الارشاليات التبشيرية الى العالم الاسلاني لمزاولة الاعمال الانسانية في الظاهر كالمستشفيات والمدارس والجمعيات الخيرية ، والملاجئ ودور الحضنة مثل جمعيات الشبان المسيحية وأشباهاها .
- ٤ - القاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية التي تكشف عن آرائهم في الاسلام .
- ٥ - مقالات في الصحف المحلية غدهم ، والصحف التي استطاعوا شراءها في البلاد الاسلامية ، وقد أعلن المبشرون عنها (١) .
- ٦ - عقد المؤتمرات لاحكام خططهم وطرح بحوث عامة في ظاهرها وهي في الحقيقة دعاية ضد الاسلام حتى وقتنا الحاضر . (٢)

(١) د . خالدى : مصطفى ، فروخ : عمر - التبشير والاستعمار ص ٢١٣ بيروت ١٩٥٠ هـ

(٢) د . السباعى : مصطفى - المستشرقون والاستشراق - ص ٢٨

٧ - دخول طائفة من المستشرقين في الدين الاسلامي ظاهرا ليبشروا بالمسيحية
في ظل الشعار الاسلامي . (١)

٥٥

موازين البحث عند المستشرقين

يستمد معظم المستشرقون في تحرير أبحاثهم عن القضايا الاسلامية على
ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي ، فمن المعروف ان العالم المخلص
يتجرد من كل هوى وميل شخصي عندما يريد البحث - العلمي - في أي موضوع
فيتابع النصوص والمراجع المثوق بها ، حتى يصل الى الحقيقة العلمية المطلوبة .

ولكن اغلب هؤلاء المستشرقين كانوا على نقيض من ذلك ، فهم يضعون في
أذهانهم فكرة معينة ، ويبدأون في تصيد الأدلة لاثباتها ، وحين يبحثون عن هذه
الأدلة لا تهتمهم صحتها بمقدار ما يهتمهم امكان الاستفادة منها لدعم آرائهم
الشخصية . وكثيرا ما يستنبطون الامر الكلي من حادثة جزئية ، أو أنهم يدخلون
بشخصياتهم ، وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث ويناقشون النصوص ،
ويحللون القضايا والشخصيات الاسلامية (٢) على ضوء وجهة نظرهم ويطلقون —

(١) د . أ . ج . اربري - المستشرقون البريطانيون - ص ١٠ لندن ١٩٤٦ م طف

(٢) د . السباعي : مصطفى - المستشرقون والاستشراق - ص ٤٥ ، مصطفى : ط

مجلة الدارة - العدد الثالث والرابع من سنة ١٣٩٦ هـ ص ٢٠٧ .

نافذتهم الخاصة فيلقون ظللا معينة تغير معالم الصورة الاصلية .

ومن هنا يضررون في متاهات أملاها عليهم الهوى والغرض رغم ما توفر لهم من الامكانيات العلمية بالحصول على المخطوطات الثمينة من تراث الاسلام التي كان من شأنها أن تهديهم الى الفكرة السليمة عن الاسلام والمسلمين . (١)

٥٥

الخدمات التي قدمها الاستشراق للبحث العلمي

ذكرنا فيما سبق أن هناك طائفة من المستشرقين اتجهت الى البحث العلمي الخالص بنية الاستفادة من الجوانب المشرقة للاسلام ، ولا يفوتنا هنا أن نقول كلمة حق ننصف بها الذين أنصفوا الاسلام ودافعوا عنه ، فقد اهتم كبير المستشرقون بتاريخنا الحضارى ، الذى يعتبرونه ركنا وأصلا فى دراسة أحوال المسلمين من جميع جوانبها ، ويرجع اليهم الفضل فى إبراز المقومات الكبرى والمعالم الرئيسية للحضارة الاسلامية .

وكذلك أبرز بعضهم أثر الاسلام فى حضارات الامم الاخرى ، وكيف تأثرت بحضارته كما أوضحوا بذلك أثر الحضارة الاسلامية فى حضارة أوروبا ، وبذلك ترتب

(١) القارى : عبدالعزيز - محاضرات الجامعة الاسلامية ص ٢٧٧ .

على هذه الدراسة كشف حقيقة الاسلام وحضارته للجميع ، وأنه لم يكن مجرد ثقافة روحية لم تنحصر حضارته في ميدان معين ، ولم تكن الحضارة الاسلامية تراث جنس واحد وأمة واحدة ، فقد أنشأ الاسلام حضارة واسعة شمتة فيها الروح والمادة ، فيها المعرفة والعمل ، فيها الادب والعلم ، حضارة اتسع صدرها لكل نافع من ذخائر الحضارات السابقة لها ، واستطاعت بعد ذلك أن تخرجه للعالم مطبوعا بطابعها الانساني .

وقد اعترف المستشرقون المنصفون بذلك ، وقد أخرجوا عديدا من البحوث في هذا المجال . (١)

كما ظهر بذلك أثر الفكر الاسلامي لدى بعض الفلاسفة الغربيين مثل (ديكارت) واحتلت دراسة الفلسفة الاسلامية مكانها في الجامعات الاوروبية وانتشر في أوروبا كثير من الاثار الاسلامية ، وبعض من روائع الادب الشرقي بين شعوب أوروبا .

وكان من نتيجة اهتمام الاستشراق بحضارتنا وتراثنا أن نشر كثير من المخطوطات الشرقية وذلك بعد تحقيقها من قبلهم ، والحق ان كثيرا من المراجع التي تعتمد عليها اليوم دراستنا العربية ، يرجع الفضل لى ظهورها أو تيسير الانتفاع منها الى أولئك المستشرقين . (٢)

فقد اهتموا وكرسوا كل جهودهم لاستيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل

(١) مجلة الدارة - العدد الثاني والثالث من السنة الثانية - ص ٢٠٧

(المستشرقون والاستشراق)

(٢) د هاشم: زكيا - المستشرقون والاسلام ص ١٦٨ - القاهرة ١٣٨٥ هـ .

واسع وربما ساعدتهم على ذلك اهتمامهم بالاختصاص الدقيق بحيث يقضى أحدهم فترة طويلة من عمره في بحث واحد يتفرغ له ، وكذلك من ضمن خد ماتهم التي قد موهبا للبحث العلى التنسيق والترتيب فى منهج البحث والتأليف والاحصاء والفهرسة وغايتهم بذلك غاية كبيرة ، وكان ذلك شيئاً جديداً على الدارسين المسلمين فى الفترة التى ظهرت فيها دراسات المستشرقين الى عالم القراء ، وتنبهت الاوساط العلمية والدارسون فى العالم الاسلامى الى هذا المنهج الفسق الذى ظهر فى دراسات المستشرقين فاستفادوا منه فى بحوثهم ودراساتهم . (١)

٥٥

مدارس الاستشراق

لقد اهتم الغرب بانشاء مدارس خاصة لتخريج جماعات منهم يجيدون اللغات الشرقية ، ويدرسون شتى علوم الشرق ومهدهم لتحمل المسئوليات التى ستلقى على عاتقهم تجاه الشرق وأهله ، وليكونوا عملاء للاستعمار فى بلاد الاسلام ، والاستعمار بشتى أساليبه وليكونوا أداة تقوض صرح البناء الاسلامى من جميع جوانبه الدينية والثقافية والاجتماعية ، وذلك باتصالهم بالمسلمين فيوهمونهم بأنهم على معرفة تامة بأحوال الشرق وعلومه وعقائده ولغاته وهذا ما دأب عليه الاستشراق لتوهين قوى المسلمين وإيهامهم فى كل مناسبة بأنهم ضعفاء ومتخاذلون فى شتى الميادين .

(١) القارى : عبدالعزيز - محاضرات الجامعة الاسلاميق - الموسم الثقافى ١٤/٩٣ (المستشرقون فى الميزان)

وسأذكر بعض هذه المدارس على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً - مدارس في داخل العالم الاسلامي :

- ١ - الجامعة الامريكية في استانبول
- ٢ - الجامعة الامريكية في بيروت
- ٣ - الجامعة الامريكية في القاهرة
- ٤ - معهد غوتا الالمانى في القاهرة
- ٥ - الكلية الفرنسية في لاهور

ثانياً - مدارس للاستشراق في العالم الغربي :

- ١ - لقد أسس البايبا سلفستر الثانى مدرستين عربيتين لتدريس اللغة العربية والحضارة الشرقية ، وكانت الاولى في روما - في مقر بابويه - والثانية في راميس ووطنه ثم أضاف بعد ذلك مدرسة ثالثة وهى مدرسة شارتر . (١)
- ٢ - ولما صار الاستشراق مغذياً لروح التبشير بدأ بإنشاء عدة مدارس لهذا الغرض منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر ثم انشأت مدرسة الجمعية المقدسة لنشر الايمان وأنشأها غريغوريوس الخامس عشر سنة ١٦٢٢ . (٢)
- ٣ - كما أنشأ مدارس خاصة للاغراض السياسية مثل :
 - (١) المدرسة العربية ومعهد " بريل " في مدينة ليون بهولندا .
 - (٢) مدرسة اكسفورد في انجلترا .

(١) الملبارى : محمد عبد الله - مجلة المؤتمر الاول للادباء السعوديين ص ١٨٩

(المستشرقون والدراسات الاسلامية)

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠١

(٣) مدرسة القناصل الامبراطورية الملكية في النمسا مهتمها تعلم السلك
الدبلوماسي اللغة العربية .

(٤) وفي باريس أنشأت مدرسة على هذا الغرار باسم المدرسة الخصوصية
للغات الشرقية الحبة سنة ١٧٩٥ م . (١)

(٥) وأنشأت بريطانيا معهد الدراسات الشرقية في لندن سنة ١٩١٧ م ،
وكان نتيجة ارتفاع الصيحات المطالبة بتأسيس معهد شرقي في بريطانيا
تكون مهمته اعداد وتخرج رجال ونساء يستطيعون أن يخدموا وطنهم
في الشرق ، إما في السلك السياسي أو التجاري أو في دوائر الحكومة
وراء البحار أو في ميادين الثقافة .

وقد تشجعت الحكومة البريطانية نتيجة ضغط الحروب الاولى عندما وجدت
نفسها في حاجة الى الذين يهتمون باللغات الشرقية وذلك بالرغم من مصالح
بريطانيا الكبيرة المتزايدة الممتدة من المحيط الاطلسي الى بحر الصين ، فعهدت
الحكومة البريطانية الى اللورد (بري) بانشاء معهد على هذا الغرار . (٢)

وهناك بعض الكراسي خاصة للدراسات الشرقية في داخل أروقة الجامعات

الاوربية مثل :

١ - كوسى للدراسات الشرقية ، بجامعة سانت اندريز (٣) سنة ١٩٦٨ م .

٢ - كوسى للدراسات الاسلامية بجامعة كيرج وسهاكرس آخرتأسس عام ١٩٣٢ ،
تعهد توماس آدافر رئيس بلدية لندن بتمويله .

٣ - مركز الشرق الاوسط للدراسات العربية في لندن أسس عام ١٩٦٠ م . (٤)

- (١) المصدر السابق ص ١٩٠٢
(٢) القارى : عبد العزيز - محاضرات الجامعة الاسلامية الموسم الثقافي ٩٣ / ٩٤ ص
٢٨٥ (المستشرقون في الميزان)
(٣) سانت اندريز جامعة في مدينة لابس في بوليفيا استت عام ١٨٣٠ - الموسوعة
العربية الميسرة ص ٩٤٩
(٤) محاضرات الجامعة الاسلامية - ص ٢٨٥

التعريف بفيليب حتى وكارل بروكلمان

وما دنا في مجال الحديث عن المستشرقين ، رأيت لزاما على أن أورد ترجمة مبسطة ومختصرة عن كل من المؤلفين الذين هما مجال بحثي " فيليب حتى " و " كارل بروكلمان " . وأقول مختصرة لعدم وجود المراجع الكافية لترجمة هاتين الشخصيتين وذلك لكونهما معاصرين لم يكتب شيئا عن حياتهما باستفاضة كاملة .

أولا - فيليب حتى

هو الدكتور فيليب حتى ، المولود في عام ١٨٨٦م لبناني الاصل ، أمريكي الجنسية ، تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٠٨م ونال الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩١٥ . (١)

من هاتين المؤسستين التعليميتين يتضح لنا اتجاه " حتى " الثقافي ، فلو نظرنا الى الجامعة الأمريكية وهدف انشائها داخل الوطن العربي نرى أن الجامعة الأمريكية في أصلها هي الكلية البروتستانتية السورية التي أسست عام ١٨٦٦م بجهود الدكتور دانييل بليس عضو البعثة التبشيرية الأمريكية في سوريا ، الذي جمع الاموال من أمريكا وانجلترا ثم تحولت في سنة ١٩٢٠م الى الجامعة الأمريكية في بيروت . (٢)

فهذه مؤسسة تبشيرية مسيحية أسست بجهد مباشر وتمويل مسيحي من أجل

(١) العفيفي : نجيب - المستشرقون - ج ٣ - ص ١٠١ - القاهرة ١٩٦٤م

(٢) الموسوعة العربية الميسرة . ص ٦٠١

بث الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن الاسلامي ولتثقيف ابناءه وتشكيلهم حسب رغبات التوجيه التبشيري المسيحي .

ثم جامعة كولومبيا وهي جامعة في نيويورك ، أسست عام ١٤٥٧م وهي جامعة مسيحية اهتمت بالدراسات الشرقية لبعث المستشرقين ونشر الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن العربي ، وسعت جاهدة لذلك ، فخصص معهد تابع لها لهذا الغرض هو معهد أمريكا اللاتينية للدراسات الشرقية . (١)

من هنا كان فيليب حتى هو عمارة أفكار أساتذة مسيحيين همهم بث أفكارهم بين رعايا الوطن العربي بواسطة ابناءه فاتخذت من (حتى) مطية لبلوغ أهدافها .

وبعد ذلك عين معيدا في جامعة كولومبيا في القسم الشرقي ثم استاذا لتاريخ العرب في الجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩١٩م ، وكلف بتدريس تاريخ العرب لانه في نظرهم يسهل عليه تشويه حقائق هذا التاريخ المجيد ، وذلك بما يتصيده من أخبار وموضوعات ملفقة من قبل الزنادقة والتي وجدت في كتب الادب ، للقصة والفكاهة ، فيعتمد عليها ليشوه بها حقيقة هذا التاريخ .

ثم عين بعد ذلك استاذا مساعدا للاداب السامية في جامعة برنستون عام ١٩٢٦م ثم استاذا عام ١٩٢٩م واستاذ كرسي ، ثم رئيسا لقسم اللغات والاداب الشرقية عام ١٩٤٤م . (٢)

(١) الموسوعة العربية الميسرة - ص ٦٨٦

(٢) المصدر السابق ص ١٠١٠

ما تقدم ، رأينا كيف كانت الجامعات المسيحية تبذل له العطاء من أجل
الاعزاء والكسب في جانبها حتى تضمنه في تنفيذ رغباتها وبث سمومها حيث ومستی
شأت .. ومن اثاره على سبيل المثال لا الحصر :

أصول الدولة الاسلامية (١٩١٦) - سوريا والسوريين (١٩٢٦)

تاريخ العرب (١٩٢٧) - أصول الشعب الدرزي وديانته (١٩٢٩)

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (١٩٥١) .

٥ ٥ ٥

ثانياً - كارل بروكلمان

مستشرق ألماني ولد في روستوك عام ١٨٦٨م تلقى اللغات السامية على اعلام
المستشرقين ومنهم نولدك تيودور^(١) ونبغ فيها ، وطارق شهرته بصفة خاصة في فقه
العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة .. وأيضاً في التاريخ الاسلامي

(١) فولدك تيودور (١٨٣٦-١٩٣٠م) مستشرق ألماني تعلم في جامعة جوتنجن
عين استاذاً للغات الشرقية في جامعات عدة من جامعات ألمانيا ، وله
دراسات كثيرة خاصة في تاريخ العرب وثقافتهم من أشهرها تاريخ القرآن
(٣ أجزاء) ودراسات فقهية وأدبية أخرى (العففي : نجيب ص ٧٣٨)

وتاريخ الادب العربي حتى عد اماما من أئمتها ، عين استاذا لهذه الفنون فى جامعات برسلاو (١٨٩٣-١٩٠٣) وكونسبرج (١٩٠٣-١٩٠٩) و (١٩٠٩ - ١٩٢٠) وبرلين (١٩٢٠-١٩٢١) وعاد الى برسلاو (١٩٢١-١٩٣٢) وعين مديرا فيها (١٩٣٢) ثم انتخب عضوا فى مجامع برلين وليبزيج وبودابست و—ون دمشق وجمعيات آسيوية كثيرة . (١)

ما سبق يتضح لنا مدى تعمق هذا المستشرق فى الدراسات الشرقية ومدى اهتمامه بلغاتها ، حتى تمكن من سبر غور ثقافته وتكونت له الملكة فى القدرة على الطعن والتشويه فى حقائق الدين والتاريخ الاسلامى . وله مؤلفات جمة منها العلاقة بين كتاب الكامل فى التاريخ لابن الاثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبرى — وهذه هى رسالته التى حصل بها على الدكتوراه من جامعة استراسبورج ١٨٩٠ — .
 •• تراجم من روى عنهم محمد بن اسحاق •• ثم عرض لتراجم العلماء والادباء فى العصور الاسلامية جمعاء وذييل كل ترجمة بمصادرها ، وله كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية ، كما أن له بحوث وتحقيقات كثيرة فى التراجم العربية ، ولقد حقق كتاب (تلقيح مفهوم أهل الاثر لابن الجوزى) •• وكتاب (الوفا فى فضائل المصطفى لابن الجوزى) وكذلك فى اللغات والادب ، فله باع طويل فى التأليف والبحث . (٢)

—•—

(١) العفيفى : نجيب المستشرقون — ص ٧٧٧

(٢) المصدر السابق ص ٧٧٨ — ٧٨٣ •

((القسم الاول))

بعض آراء فيليب حتى في التاريخ الاسلامي
والرد عليها

٥٥

- (١) الفصل الاول : بعض الآراء في عصر النبوة والرد عليها
(٢) الفصل الثاني : بعض الآراء في عصر الراشدين والرد عليها
(٣) الفصل الثالث : بعض الآراء في عصر بني أمية وبنو العباسي
والرد عليها

الفصل الاول

بعض آراء (حتى) في عصر النبوة
والرد عليهم

١

يطعن (حتى) في العنصر العربي جملة فيذكر :

(وكان هؤلاء هم أنفسهم الذين في وقت
من الاوقاف حسبوا أنفسهم مترفين بأكلهم
العقارب والخنافس وابن عرس (الجرذان)
والذين حسبوا الارز طعاما مسموما واستخدموا
المرقق من الخبز رقاظ للكتابة) *

٥٥

ان حتى عند زعمه هذا نراه يعتمد اعتمادا على ما أورده ابن خلدون في

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ٣٣٥ انظر النسخة العربية
المترجمة ص ٤١٢ .

مقدمته حين حديثه عن طبيعة أهل الحجاز الاجتماعية (١) . . . أما نحن فلا نعرف لابن خلدون حجة أو صحيح برهان لما يقول . . . وإنما الذي نعرفه عن عرب الحجاز هو ما نستشفه من آيات القرآن الكريم وصفاً لحياتهم ، وما بلغوه من القدر الحضارى ، والحياة المترفة ، وقوة الجدل وشدة البأس ، مما يدل على تفوقهم ونفوجهم — فكرياً فى شئون دنياهم (٢) ومدلول ذلك قوله تعالى : " يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون " . (٣)

وغير ذلك ادعاء كاذب — وتهمة باطلة — يدحضها واقع العرب الاجتماعى والعلمى ، فالعرب فى ماضيهم قوم متحضرون لا كما يصفهم (حتى) بل كانوا على علم بمعظم أنواع الاطعمة ووسائل الترف والنعيم كما كانوا يتمتعون بأنواع شتى من ضروب المعرفة فى كثير من الميادين وذلك بسبب الاختلاط بالامم الاخرى ، عن طريق التجارة والرحلات الشتوية والصفية وعرفوا خيرات تلك الامم ومارسوها قبل أن يأتى (حتى) بهذه الاوصاف المشينة وقيل أن يذكرها ابن خلدون .

ودليل ذلك هو تصوير القرآن الكريم لما تهيم به نفوسهم من حب للترف حيث قال تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله غده حسن المآب " (٤)

(١) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد — العبير ديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ٢٥

(٢) د . شعوط : ابراهيم على — ابا طيل يجب أن تحى من التاريخ ، القاهرة ١٣٩٦ هـ

(٣) سورة الروم آية ٧

(٤) سورة آل عمران — آية ١٤

ويقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون (والعرب هؤلاء قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كسيرة وأنشأوا المدن العظيمة ، وكانت علاقاتهم بأرقى الشعوب وثيقة .

ثم يعود فيقول ولم يكن التاريخ صامتا ازاء ثقافة العرب القديمة صتمه ازاء الحضارات الاخرى التي رفع العلم الحديث عنها التراب ولو كان التاريخ صامتا ازاء حضارة العرب لقلعنا - مع ذلك - بوجودها قبل ظهور محمد بزمن طويل . . . ويكفي لتسميتها أن نذكر أنه كان للعرب قبل ظهور محمد آداب ناضجة ولغة راقية ، وانهم كانوا ذوي صلات تجارية بأرقى الامم في العالم منذ القدم فاستطاعوا في أقل من مائة سنة أن يقيموا حضارة من أندر الحضارات التي عرفها التاريخ . (١)

فقد كان على (حتى) أن يرجع الى ما ذكره " لوبون " وهو من ملته حتى يعرف العرب على حقيقتهم ولم يقف عندما ذكره ابن خلدون وهو في هذه الحالة يشاكر ابن خلدون في هذه القرية ويتحمل معه المسؤولية .

وعن الآخرة حدثهم القرآن الكريم عن الجنة وعن الخيرات والنعيم وحدثهم عن أوصاف الجنة وترفها ونفائسها وكووسها وحريرها وديباجها ولؤلؤها ، وجوهرها ، وغير ذلك من مظاهر الترف والنعيم ، ولو لم يعرف العربي ذلك لما وصفه له القرآن كما أننا نرى أن القرآن قد بين أنواع الاطعمة في الدنيا ، وبين حلالها وحرامها ، وذلك دليل على معرفة العربي بشتى أنواع الاطعمة .

(١) لوبون : جوستاف - حضارة العرب - ص ٨٨ القاهرة ١٩٦٩م

ويعلن الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول :

ولعل كثيرا منهم كان يعيش عيشة الترف والتعريم هذه التي كشف القرآن عنها ، والا لما تذوقوا للقرآن طعما ولا بهرتهم آياته . . حتى أحنوا رؤوسهم أمام اعجازه . . ونحن نعلم أن الترغيب والترهيب لا يؤتى ثماره ولا يحدث أثره الا اذا كان بما هو معروف لدى المخاطبين من وسائل اللذة والالم ، التي عاشوها واصبحت جزءا من حياتهم . (١)

وعلى كل حال فقد كانت العقلية العربية قبل الاسلام أسوأ وأرفع من أن تتدنى الى تلك المراتب التي يصفها (فيليب حتى) . . فقد كانت العقلية العربية عقلية فذة نادرة قد اختارها الله لان تكون في قوم يخرج منهم أفضل خلقه وأكرمهم فالله سبحانه وتعالى قد هيا العرب لان يكونوا سادة العالم بعقليتهم وبخلقهم الكريم القوم فيكونوا أمة وسطا بين الناس " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس " . (٢)

فالعرب الحجاز أنفسهم كانوا أهل ثراء وأهل أموال فقد ذكر القرآن ذلك حيث قال : " تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب " (٣) وقال " ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده " (٤) وقال " خذ من أموالهم صدقة " (٥)

(١) د . شعوط : ابراهيم - أباطيل يجب أن تحى من التاريخ - ص ٢٥

(٢) سورة البقرة - آية ١٤٣

(٣) سورة اللهب - آية ٢٥١

(٤) سورة الهمزة - آية ٢٥١

(٥) سورة التوبة - آية ١٠٣

وهذا عثمان بن عفان وشراؤه المعروف . . . فهذا دليل على شراء القوم ومن غير المعقول ان تتكون عندهم هذه الثروة من المال الا بالتجارة او الصناعة وهما من أهم مميزات ودعائم الحضارة في العالم .

ومن أين أتت لهم هذه الاموال ان لم يكونوا قد مارسوا احدى هاتين الدعامتين . . . ؟

ويقول الدكتور جواد على " بالنسبة لعرب الحجاز وشرايتهم " :
 " ووجدت قريش نفسها حرة مستقلة وفي وضع يمكنها من استغلال مواهبها في التجارة فقامت بمهمة الوسيط، تنقل تجارة اليمن الى أسواق فلسطين وتنقل تجارة بلاد الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ونجد واليمن وذلك حصلت على أرباح طائلة عظيمة جعلتها من أغنى العرب عند ظهور الاسلام . . . وصيرت مكة مركزا خطيرا من مراكز الثروة والمال في جزيرة العرب في ذلك الحين " . (١)

ولو لم تكن لديهم أموال كثيرة ومكسبة لما قال تعالى " خذ من أموالهم صدقة " (٢) وكما قال تعالى " والذين يكنزون الذهب والفضة " (٣) . . . كل ذلك دليل على شراء القوم وتحضرهم .

فلو كانت الامة العربية أمة متأخرة كما يصفها (حتى) وغيره من المفرضين

(١) د . على : جواد - الفصل في تاريخ العرب - ج ٧ ص ٢٨٥ بيروت ١٩٦٨ م

(٢) سورة التوبة - آية ٣٤

(٣) التوبة - آية ٣٤

لما اختارها الله ليكون منها سيد الرسل صلى الله عليه وسلم وليس من المعقول
انها كانت أمة همجية ثم قفزت تلك القفزة التي وصلت بها الى قمة المجد بمجرد
ظهور الاسلام .

فهل يختار الله عز وجل من أمة منحطة متخلفة عقليا واجتماعيا وماديا
أشرف الانبياء ؟ . . .

فلو كان عرب الحجاز أمة جاهلة بشئون دنيها لما قال الله سبحانه وتعالى
" يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وعن الآخرة هم غافلون " (١)

وذكر ذلك لوبون فقال (فان أمكن ظهور حضارة أمة ولغتها بغتة على مسرح
التاريخ لا يكون هذا الا نتيجة نضج بطيء ولا يتم تطور الاشخاص والامم والنظم
والمعتقدات الا بالتدرج) . (٢)

ويقول " سيد يو " في هذا الصدد (ان وجود العرب في مركز تجارة الجيوب
والشرق مكسبهم من النظر في معارف جميع الامم المجاورة فاتفتحت لهم بذلك ثقافة عقلية
لم يظهر مثلها في جبال أورال وجبال التاي) . (٣)

ويذكر نجيب محمد البهيتي " ان الجماعة البشرية لا يمكن أن تنتقل طفرة من
حالة الفوضى وعدم الاستقرار والتفرقت التي ترتبط بشريعة الغاب الى حالة من النظام
المثالي الذي لا يكاد يتصل به مثال " . (٤)

(١) سورة الروم - آية ٧

(٢) لوبون : جوستاف - ص ٨٨

(٣) ل : سيد يو - تاريخ العرب العام - ص ٣٢ - القاهرة ١٣٨٩

(٤) مجلة كلية الآداب - المجلد ١٤ ج ١ ص ٩١ - عدد مايو ١٩٥٢ المقال للدكتور
نجيب محمد البهيتي .

وإذا انتقلنا من أقوال المؤرخين المختلفة التي أعطت للعرب حقهم واتجهنا
 ببحثنا إلى أصل اللغة التي كان يتحدث بها هؤلاء العرب فنجد أن أصل
 اللغة العربية دليل على متانة الشخصية العربية التي استطاعت أن تسود العالم
 ما يزيد على ستة قرون ، فاللغة العربية هي التي نزل بها القرآن المعجزة .

فإذا كانت أمة ما في أحد عصورها ضعيفة المادة ضيقة المجال ، كان ذلك
 برهاناً على ضيق أفق تلك الأمة في تلك الفترة من حياتها ، وضعف معارفها وقواها
 العقلية .

وعلى عكس ذلك إذا كانت غزيرة المادة ودقيقة الأداء تتسع لشتى الأفكار
 والمعاني غنية في المفردات ، مرنة في الاشتقاق والاقتراب فان ذلك يكون دليلاً على
 نشاط الذهن وسعة الأفق وقوة الأفكار والتجارب والحيوية العقلية . (١)

ويقول رينان " ومن أغرب ما وقع في تاريخ البشر وضعف فهم سره انتشار اللغة
 العربية غنية آية في الغنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العهد السي
 يومنا هذا أدنى تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة " . (٢)

ويقول المستشرق البريطاني (آربي) واللغة العربية عمقيرة التركيب صلدة
 البناء ورقيقة الاحساس في وقت معا .

- (١) د شعوط : ابراهيم - أباطيل يجب أن تحي من التاريخ - ص ٣٦
 (٢) مقال للدكتور شعوط : ابراهيم - مجلة جامعة الملك عبد العزيز - ع
 المستشرق رينان : رينان فيلسوف فرنسي (١٨٢٣ - ١٨٩٢ م) دخل
 المدارس اللاهوتية ، تطلع في اللغات الشرقية حتى صار من ثقاتها ، أخذ
 بمذهب حرية الفكر ورحل إلى الشرق ونزل لبنان ، عني بالعقائد الإسلامية
 انتخبوا في المجمع اللغوي الفرنسي عام ١٨٢٨ م .

وليس من أدب غربي يستطيع بحال أن يعدل العربية في ميادين النحو
وعلوم البلاغة وتدوين المعاجم وكل فروع الدراسة اللغوية * (١)

-٠-

(١) د. آري - أ. ج. - المستشرقون البريطانيون - ص ٩

يذكر فيليب حتى في كتابه " تاريخ العرب " العبارة التالية :

() ولقد تزوج النبي من نحو اثنتي عشرة زوجة بعضهم بدافع الحب) *

٥٥

فمن تلك التي يعنيها (حتى) بقوله ؟ . .

لا شك أن (فيليب حتى) يقصد ما كتبه بعض المؤرخين والمفسرين من أنها هي السيدة زينب بنت جحش ، ونحن حينما نرد على فيليب حتى وعلى من نقل عنهم من المؤرخين والمفسرين نحمله تبعه نشر هذه التهمة التي كان يجب أن يحققها بالأسلوب العلمي الحديث فلا يقع فيما وقع فيه بعض المؤرخين والمفسرين المسلمين ونرد على هذه الفرية بما يأتي :

ان عرب الجاهلية كانوا قد درجوا على تقاليد في مجتمعهم الجاهلي تقوم على ما يأتي :

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٢٠ - انظر النسخة العربية المترجمة ص ١٦٦

- أولا : ان القرشية لا تتزوج الا قرشياً مهما كان شأن غير القرشى .
- ثانيا : ان الابن التبني كانت له جميع حقوق الابن من النسب .
- ثالثا : اذا حدث وتزوجت قرشية بغير قرشى هانت منزلتها فلا يقربها شريف .

وأراد المولى سبحانه وتعالى من رسوله أن يخير هذه العادات وتلك التقاليد بما يتفق مع مبادئ الاسلام .

فبالنسبة للتفاخر بالاحساب والانساب فقد ألغاه الاسلام وجعل مكانه التفاضل بالتقوى والاخلاق الفاضلة ، فقال تعالى : " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " وقال الرسول (لا فضل لعربي على أعجبي الا بالتقوى) . . . وبالنسبة للابن التبني فان الاسلام جعله غريباً عن أبيه بالتبني ، فقال تعالى : " ما كان محمد أباً أحسد من رجالكم ولكن رسول الله " (١) وقال سبحانه وتعالى أيضاً " ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله " . (٢)

وبالنسبة للمرأة التي تهون منزلتها اذا تزوجت من غير قرشى فان الاسلام يعيد إليها كرامتها — وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم — أن يقوم بكل ذلك ليحوها كما كانت عليه الجاهلية ويضع المبادئ الجديدة في الاسلام . . . فبدأ بخطبة القرشية لغير القرشى ، فكانت القرشية هي بنت عمه الرسول ومن القمة في قريش فتكون تحت مولاه — ولتكون تحت زيد بن الرسول بالتبني — فتتحطم الفوارق بالاصـل والحسب ويصبح التفاضل بمعايير أخرى جديدة تقوم على المبدأ الالهي الجديد هو : " ان أكرمكم عند الله أتقاكم " فيخطب زينب لزيد ، يخطب قرشية —

(١) سورة الاحزاب — آية ٤٠

(٢) سورة الاحزاب — آية ٥

القمة لغير قرشى بل مولى .. فتثور الكبرياء في نفس زينب وأخيبها فيرغما بالقرآن ..
وتنقطع المجادلة والممانعة بقوله تعالى : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضللا مبينا " . (١)

فرضت زينب للأمر الالهي فسلمت لزيد جسدها ولكن قلبها عماها ، وظلت
نافرة من قسوة التجربة وغرابة التطبيق ، فلا تستطيع أبدا أن تتصور أن هناك كفاءة
بينها وبين زيد وكان زيد يعاني من تلك العوامل النفسية عند زينب ، أشد ما يعانيه
المعذبون في حياتهم الزوجية .

وكان سوء العشرة بين زينب وزيد تخطيطا الهيا حتى يتسرب الفساد الى
العشرة بين زينب وزيد ويحصل الفراق ويأتي من هنا أمر آخر لا بد من تحقيقه
في المجتمع ، ولكن موعد هذا الامر لم يكن معروفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وان كان يعلم أن زيدا سيطلق زينب ، وانه سيتزوجها بعد زيد (٢) ليقتضى على فكرة
تحريم زواج الوالد من زوجة ابنه بالتبني اذا طلقها .

ولكن متى ذلك ؟ .. هذا الذي لم يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولذلك كان دائما يقول لزيد حينما يشكوه " امسك عليك زوجك واتق الله " لانه
خشى مقالة قريش في خروجه عن المألوف فنزل العتاب من الله عز وجل في قوله تعالى :
" وان تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى
في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " . (٣)

(١) سورة الاحزاب - آية ٣٦

(٢) العامري : عماد الدين يحيى بن أبي بكر - بهجة المحافل ج ١ ص ٢٨٩ بيروت

(٣) سورة الاحزاب - آية ٣٧

وكان الغرض من ذلك ابطال عادتين جاهليتين في وقت واحد :

١ - عدم المساواة بين الابن بالتبني والابن بالنسب وكان ذلك تطبيقا عمليا لقوله تعالى : " وما جعل ادعاءكم ابناءكم ذلك قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهتدي السبيل " . (١)

" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (٢)

وقوله في المحرمات من النساء " وحلائل ابناؤكم الذين من أصلابكم " (٣)

٢ - أن يغير نظرة المجتمع الى المرأة المتزوجة من غير القرشى فأى مثل يقتدى أروع من أن يتزوج الرسول الكريم من امرأة قد تزوجت برجل غير قرشى بل مولى

هذه هي صورة زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش كما يصورها الدكتور ابراهيم شعوط في كتابه . (٤)

وهنا أطلق المرجفون لخيالهم العنان واخترعوا قصة مؤداها (أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بزيارة (زيد) في بيته بعد زواجه منها فلم يجده - وبينما هو كذلك حرك الهواء ستار البيت - فرأى الرسول من زينب ما أعجبه واستقر حبه في قلبه فانصرف وهو يقول " سبحان مقلب القلوب " فسمعت زينب تلك التسبيحة ثم أخبرتها بها زيدا وعرف الحقيقة .

(١) سورة الاحزاب - آية ٤

(٢) سورة الاحزاب - آية ٤٠

(٣) سورة النساء - آية ٢٣

(٤) د . شعوط : ابراهيم - ابا طيل يجب أن تحي من التاريخ - ص ٧٥-٧٨

وكان كلما ذهب الى الرسول يشكوها يقول له عليه الصلاة والسلام (امسك عليك زوجك واتق الله) . . ولم يكتف المرءون بذلك بل كان لابد لهم من البحث عن دليل يؤيدون به قصتهم - ففسروا قوله تعالى " وتخفى في نفسك ما الله مبديه " بأن الذي أخفاه مقصود به الحب - لتتم لهم الحبكة القصصية .

هكذا قالوا - ومن المؤلف أن بعض المفسرين تبعهم ، وقلة من المؤرخين ساروا في ركابهم . (١)

ان ردنا على هذه الفرية من زاوية العقل والمنطق لايحتاج الى كبير غناء :

(١) أليست زينب بنت جحش ابنة عمه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وألم يكن يراها قبل زواجها الاول . . خاصة أن آيات الحجاب لم تكن قد نزلت قبل هذا الزواج . . فكانت الرواية مباحة - ان صح ادعواؤهم عن هذا الرغبة - فلم تأخر في اعلانها ؟ ولم أخفى حبه لها ؟ ألم يكن زواجه بهـــــــــــــــ حينذاك ممكناً ؟

(٢) وتفسيرهم الباطل لقوله تعالى " وتخفى في نفسك ما الله مبديه " يحيل في

(١) الزمخشري : أبو القاسم - تفسير الكشاف ج ٢ - ص ٢١٣ - بيروت دار الفكر
 أبو السعود : محمد ج ٤ - ص ٢١٦ - القاهرة دار السعادة / تاريخ الطبري
 ج ٢٢ ص ١٣ - القاهرة دار المعارف المصرية / بن الاثير : علي بن محمد
 الكامل في التاريخ ج ٢ - ص ١٢ بيروت ١٣٨٦ / لوين : جوستاف - حضارة
 العرب - ص ١١٢ / حسين : طه - على هامش السيرة - ج ٣ ص ٢٢٧
 القاهرة - الطبعة الثامنة .

طياته دليل بطلانه لان الذى أبداه الله هو الزواج لا الحب . (١)

ولنا ملاحظة هنا على الطبرى فى هذه القصة حين ذكرها فى تفسيره ولم يذكر شيئا مما قاله غيره عن الحب من رسول الله لزينب ولكنه حين ذكرها فى تاريخه (تاريخ الامم والملوك) خاض مع الخائضين بنقله عن وهب بن منبه فاعتمد عليه فيما خاص فيه . وهذا يدل على ان هذه الرواية وضعها خصوم الاسلام فى كتب المسلمين .

(٣) يقول ابن الخطيب فى هذا الموضوع : مؤلف كتاب حقائق ثابتة فى الاسلام

ان يوسف المستلى * شابا وفتوة تختلى به امرأة مشبعة الجمال والفتنة وهى فى نفس الوقت ملكته وسيدته فيستغيب بره ويولى هاربا مما عساه ان يوقعه فى الاثم . ولم يكن فى ذلك الوقت نبيا ولا رسولا . . .

ويأتى محمد بن عبد الله امام الرسل وسيد الخلق ففتنته امرأة هى فى مرتبة زوج الابن . . . فلا يلجأ الى مولاه ليحفظه ، ولا يهرب مما عساه ان يحسب من قدره كشر . . . فلم يبلغ شأن يوسف عليه السلام . (٢)

(١) الطبرى - مجمع البيان - ج ٢٢ ص ١٤٠ بيروت ١٣٨٠ / قطب : سيصد - فى ظلال القرآن - ج ٢٢ ص ٢٧ بيروت ١٣٨٦ / الخازن : علاء الدين على بن محمد - تفسير الخازن - ج ٤ ص ٢٦٣ بيروت - دار الفكر / تفسير البغوى : ابو محمد الفراء - ج ٤ ص ٢١٦ بيروت دار الفكر / ابن كثير : ابوالفدا اسماعيل البداية والنهاية ج ٤ ص ١٤٥ - بيروت ١٩٧٤ م / العامرى : بهجته الحافل - ج ٢ ص ٢٨٩

(٢) ابن الخطيب : محمد محمد عبد اللطيف - حقائق ثابتة فى الاسلام - ص ١٤٦ هـ القاهرة ١٣٩٤ هـ

أما التفسير الحقيقي لقوله تعالى " وتخفى في نفسك ما الله مبديه " أي تخفى في نفسك زواجك منها حيث قال تعالى (زوجناكها) حسب رواية علي بن زين العابدين - وقد أبداه الله له من قبل - فكان غاب الله عنه لنبهه على قوله - لزيد - أمسك عليك زوجك - وهو يعلم أنها ستكون من أزواجه (صلى الله عليه وسلم) حيث أخبره الله عز وجل بذلك . (١)

ويقول الشيخ ابراهيم شعوط " فكيف تؤخذ هذه القصة المأخذ الدنيء وكيف تصور بصور قصص الغرام والولء ؟ وكيف يروونها رواية مسلمون في كتب انتشرت في كل أنحاء العالم من غير تدبر فيما تهدف اليه ، دون أن يدركوا أنه يكفي لتفنيدها قوله تعالى لرسوله " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعائهم اذا قضاوا منهاهن وطرا " (٢)

ففي الآية الكريمة ذكر صريح لسبب تزويج زينب من رسول الله وهو اسقاط حرج المؤمنين من زواج نساء أولادهم بالتبني بعد أن يكون هؤلاء الأولاد قد قضاوا من أزواجهم كل غرض . (٣)

(١) الطبري - مجمع البيان - ج ٢٢ ص ١٤٠ / بيروت ١٣٨٠ / قطب : سيد - فسي

ظلال القرآن - ج ٢٢ ص ٢٧ - بيروت ١٣٨٦ / تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٦٣

تفسير البغوي - ج ٤ ص ٢١٦ / ابن كثير - البداية والنهاية - ج ٤ ص ١٤٥

العامري - بهجة المحافل - ج ٢ ص ٢٨٩

(٢) سورة الاحزاب - آية ٣٧

(٣) د شعوط : ابراهيم - أباطيل يجب أن تحي من التاريخ - ص ٨٢

فكان لزاما على (فيليب حتى) أن يقرأ هذه الايات وأن يتدبر معناها ليفيد منها فكيرا ما اعترف بالقرآن - كتابا معجزا - (١) وهذا الاعتراف كان يقتضيه التدبر والامعان .

ومن أجل هذا يحق لنا أن نعتبر كلامه في هذا الموضوع فريدة . . يقول الامام الخازن في هذا الصدد : وأصح ما في هذا الباب أن الله عاتبه وقال : (لم قلت امسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ؟) وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء : وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم نبيه أن يبدى ويظهر ما أخفاه ، ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى (زوجناكها) فلو كان الذي أضمره الرسول صلى الله عليه وسلم محبتها واردة تطلقها لكان يظهر ذلك ، لانه لا يجوز أن يخبره أن الله سيظهره شهيكته ولا يظهره . فدل ذلك على أنه انما عتب على اخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته ، وانما أخفى ذلك استحياء : أن يخبر زيدا أن الستى تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتى . (٢)

(٤) لو صح ما ادعاه المدعون من حب النبي (ص) لزينب . . فلم يكن في الامكان بعد ذلك (ومحمد القدوة عند اصحابه والمثل الاعلى لهم) أن يبقى في مكان الصدارة ، يحتل أرواح ما في قلوبهم - ويبقى صحابته من حوله يلتفون به ويشقون به - ألم يكن منطوقا وقد رأوا منه هذا - أن ينفصوا من حوله . أو تقل الثقة به فتزعزع مكانته ؟ ان شيئا من ذلك - لم يحدث - حتى

(١) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول - انظر النسخة العربية المترجمة

ج ١ ص ١٧٧

(٢) تفسير الخازن - ج ٤ ص ٢١٦ - بيروت دار الفكر .

زيد بن حارثة نفسه وهو أولى الناس بأن يحمل راية الانشقاق - بقى على
اخلاصه بل اشتد اخلاصه بعد هذا الزواج للنبي صلى الله عليه وسلم .

(وحتى) نفسه يذكر ذلك في كتابه حيث يقول :

(ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد عند طائفة
من طوائف الجنس البشرى المثل الكامل للإنسان
(١) فقلدت أفعاله بمنتهى الدقة كما حدث لمحمد)

(٥) هذا ردنا على ما قيل - ونحن لا نستبعد أن ما نسب إلى بعض المؤرخين
أو المفسرين قد دس عليهم في كتبهم . . وهذا أقرب إلى المنطق . . فمن
غير المعقول أن يتسرب الشك إلى ذهن أحد من أولئك العلماء الأفاضل
في شخصية الرسول (كالزمخشري) ويتهمه بهذه التهمة التي يجلب عنها
مقامه الكريم ومكانته السامية .

- ٠ -

(١) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول (انظر النسخة العربية المترجمة
ج ١ ص ١٦٦)

يذكر (فيليب حتى) عن أحوال المسلمين بعد موقعة (أحد) ما يأتي :

(ولكن انتصار المكيين لم يدم فما لبثت
الاسلام أن استرجع قواه وتحول - بعد الهزيمة -
تدريجيا من دور الدفاع الى دور الهجوم وأصبح
انتشاره دائما مؤكدا) (١١)

٥٥

عجاجة (حتى) جاوزها التوفيق في وصف ما أراد ، لانه - على ما يبدو -
يريد أن يقول أن الاسلام بدأ وجوده بالهجوم على كل من خالفه ، ولكنه حين
أراد التعبير عن ذلك قال : (ما لبث الاسلام أن استرجع قواه) فلم تكن للاسلام
قوة فقدتها حتى يسترجعها . . وانما بدأ الاسلام بالدعوة وعرض الفكرة بالحسنى
وظل هكذا طوال ثلاثة عشر عاما في مكة وليس لدى المسلمين قوة حتى يستعملوها
وأملى عليهم القرآن الكريم طريقة التفاهم مع قريش بكل أساليب السلم والهدوء والاقناع
وتحمل الأذى والصبر والصمود .

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١١٧ (انظر النسخة العربية
المترجمة ج ١ ص ١٦١)

ورسما كان قصد (حتى) أن الاسلام انتشر بالسيف ، وهذه قضية تبناها كـسـر
من خصوم الاسلام .

وللرد على هذه القضية نقول :

ان الدعوة الاسلامية لم تقم على العنف ، ولم تعتمد في أسلوبها بساىء ذى
بدء على السيف ، ولكنها اتخذت المنطق سبيلا للاقناع ، وكان منهج الرسول المعلم
فيها قوله تعالى " وجادلهم بالتى هى أحسن " . (١)

ولو نظرنا الى القرآن الكريم والذى نزل في مكة في فترة بلغت ثلاثة عشر عاما
لرأينا أن أوامر الله عز وجل لنبيه لم تكن الا في الاطار اللين لدعم العقيدة ونشر
الدعوة .

ولما تم نشر الدعوة بالحجة والمنطق ، ازداد الضغط على من أسلم وخاصة
المستضعفين منهم أمرهم الرسول بالهجرة الى الحبشة ثم الى المدينة ، وبدأ الوضع
في التغيير لمواجهة تلك الضغوط على الدعوة وأصبح أمل معتقى الاسلام والعقيدة
أن يتمكنوا من الدفاع عنها ، ولكن كيف السبيل والاوامر الالهية كلها توصى بأن يكون
الدفاع بالتى هى أحسن . . وظلت الامور الخاصة بالمسلمين هكذا حتى قوى الاسلام
وأعزه الله بالمهاجرين والانصار وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجأ اليه احبسا
الله وصار غدهم من العدد ما يكفى للزود عن حوزتهم والمدافعة عن أنفسهم . .
هنا اذن الله لنبيه بالقتال ونزل قوله تعالى : " اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
وان الله على نصرهم لقدير " . (٢)

(١) سورة النحل - آية ١٢٦

(٢) سورة الحج - آية ٣٩

نعم ، أذن للذين ظلموا بالقتال ولكن لم يترك الامر فوضى ، بل ربط هذا الامر بقواعد وفصل هذه القواعد تفصيلا واضحا فقال : " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم " . (١)

" وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان (٢)

من هذه الايات يتضح لنا أن الاسلام قد فصل في موضوع القتال ، تفصيلات تبين الدافع ، والمبررات التي توجب على المسلم القتال ، والوقوف في وجه أعداء الاسلام والدفاع عن النفس وعن العقيدة ، وعن معتنقى العقيدة ، فالقتال الذي امر به الاسلام كله قتال دفاع ، وليس قتال هجوم كما يصفه خصوم الاسلام وما تضمنته عبارة (حتى) .

ولم يذكر القرآن الكريم سببا غير هذا يدفع بالمسلمين لخوض المعارك وراقية الدماء ، فالمسلمون لم يخرجوا الا لنشر الدعوة والدفاع عنها ومجاهدة من يرفضها أو الموت في سبيلها وهذا ما أيده (حتى) نفسه ليسجل على نفسه تعصبا مقبها على الاسلام والدعوة الاسلامية حيث يقول :

(وللجهاد كما لغيره من فرائض الاسلام وعقائده شروط وأحكام ، منها أن الجهاد يسبقه أولا دعوة غير المسلمين الى دين الاسلام فان استجابوا فلا جهاد ولا قتال . (٣)

(١) سورة البقرة - آية ١٩٠ ، ١٩٢

(٢) سورة النساء - آية ٧٥

(٣) حتى : فيليب - خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الادنى - ج ١ ص ٢٤١ بيروت ١٩٧٥

ولم يحشهم للقتال من أجل مغنم بل هو دفاع عن الحق لظهاره كما أراد الله
ليخرج الناس من الظلمات الى النور بان رسهم . . . يؤيد هذا الواقع التاريخي فيما
قبل (أحد) وما بعدها .

ومن المعروف أن آيات الجهاد لم تنزل الا عندما استقر المقام بالمسلمين
في المدينة فخييل (لحتى) أن المسلمين قد تحولوا من دور الدفاع في مكة الى دور
الهجوم في المدينة ، وهذه الفكرة خاطئة ، فموقف المسلمين كان دائما موقف دفاع
وليس موقف هجوم ، وكل المعارك التي حدثت بين المسلمين والمشركين من بدر وأحد
كانت دفاعا عن المسلمين وهجوما من المشركين .

وسجلت المعارك للمسلمين وهم في موقف الدفاع النصر ضد هجوم خصومهم
سواء كانوا من العرب أو الفرس أو الروم لان خطوط الدفاع تنقسم الى قسمين خط
دفاع قريب وهو الالتحام بالعدو وفي المعركة وخط دفاع بعيد وهو ضرب من يعين
الخصم ويمده بالاسلحة أو بالرجال مهما كانت أرضه بعيدة فقبل أحد وبعدها
كان المسلمون في دور دفاع ولم يكونوا في دور الهجوم صدقا لقوله تعالى " واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من
دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم " . (١)

ويصدق قول الاستاذ العقاد حين يذكر (ان أكثر البلاد عددا من المسلمين
هي أقل البلاد غزوات اسلامية) (٢)

(١) سورة الانفال - آية ٦٠

(٢) العقاد : عباس محمود - ما يقال عن الاسلام - ص ١٣٥

يذكر (فيليب حتى) في كتابه عن المعجزات فيقول :

(وفي علم الالهيات القرآني (أى فى علوم القرآن) ليس محمد الا بشرا معجزته الوحيدة هى اعجاز القرآن) (*)

٥٥

ان هذا القول يخالف الواقع ، فالمعجزات النبوية التى اجراها الله سبحانه وتعالى على يد رسوله ونبيه محمد معجزات كثيرة لا حصر لها .

والمعجزة هى الامر الخارق للعادة مقرونا بالتحدى سالما عن المعارضة وهى اما حسية أو عقلية . (١)

وهى نوطان : نوع من مثل ما عند البشر ، أى من مثل لغتهم العربية لكنهم عند التحدى عجزوا عنه وتعجز الله لهم عنه دال على صدق نبيه كطلب الرسول من قومه أن يأتوا بمثل آيات القرآن فعجزوا عن أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة رغم

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٢٩ (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ١٧٧)

(١) السيوطي : جلال الدين - الاتقان فى علوم القرآن - ج ٢ ص ١١٦ دار الفكر بيروت

أنهم أهل البلاغة والفصاحة ، وأن القرآن قد نزل بلغتهم وهذا ما اعترف به (حتى) نفسه في نفس الصفحة .

أما النوع الآخر هو الخارج عن قدرة البشر عامة ، فقد أجرى الله الكبير منه على يد نبينا الكريم كانشقاق القمر الى فلقين (١) . وقد ورد ذلك في القرآن نفسه الذي يعترف به (حتى) كمعجزة فالتكن آياته حجة عليه . قال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر " (٢) فانشقاق القمر معجزة حدثت في عهد صلى الله عليه وسلم وقد أكدنا القرآن الكريم والسنة . ففي صحيح البخارى عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشهدوا) ، وعن أنس قال : سألت أهمل مكة النبى صلى الله عليه وسلم أن يريهم اية فأراهم انشقاق القمر (٣) . وكذلك روى انشقاق القمر فى الهند وكانت هذه الرواية سببا فى اسلام ملك مليبار فى الهند (٤) .

ومن المعجزات التى وردت فى القرآن أيضا معجزة الاسراء " سبحان السدى أسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله " .

ومن المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أيضا نبع الماء من بين أصابعه الشريفه فقد ورد فى صحيح البخارى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الضوء فلم يجد .

(١) ابن كير - البداية والنهاية - ج ٣ ص ١١٨

(٢) سورة القمر - آية ١

(٣) العامرى - بهجة المحافل - ص ٢١٣ ج ٢

(٤) النمر: عبد النعم - الاسلام فى الهند - ص ٦٠ - القاهرة ١٣٧٨

فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى ذلك الاناء فامر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا منه عن آخرهم . (١)

ومن المعجزات ما يعترف بها بعض المستشرقين أيضا منهم " درمنجيم " الذى يعترف بمعجزة الغار فيقول : (هذه الامور الثلاثة هى وحدها المعجزة التى يقص التاريخ الاسلامى الجد نسيج العنكبوت ، وهوى حمامه ، ونماء شجرة ، وهى أطجيب ثلاث لها كل يوم فى أرض الله نظائر) . (٢)

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم اخباره بما سيقع فى غزوة (مؤتة) حين استعمل صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، وقال (ان أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة) . وقد حدث بالفعل مثلما أخبر ، فقد وصل الخبر من السماء فى ساعته الى النبى صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وأمر فنودى : الصلاة جامعة : فاجتمع الناس فقال (باب خير (ثلاثا)) أخبركم عن جيشكم هذا النازى انهم لقوا العدو وقتل زيد شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشدد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا) . (٣)

-
- (١) صحيح البخارى - ج ٤ - ص ٢٣٣ - القاهرة - دار الشعب
 (٢) هيكلم : محمد حسين - حياة محمد - ص ٢١٢ القاهرة ١٩٦٥ م
 (٣) صحيح البخارى ج ٥ ص ١٨٢ - تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٣٦ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ - ج ٢ ص ٢٣٧ - ابن كثير - البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤ ابن هشام : ابو محمد عبد الملك - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٧ القاهرة ١٩٧٤ م

وقصة سراقه التي تكفى لان تكون دليلا واضحا على صدق دعوته : ومجمل القصة ان قريشا لما علمت بخروج النبي من مكة جعلت لمن ياتي بالنبي صلى الله عليه وسلم جائزة (مائة ناقة) فتبعهم سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي فلحقهم وهم في ارض صلبة فقال ابو بكر يا رسول الله ادر كما الطلب فقال (لاتحزن ان الله معنا) ودعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان فقال ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك على ان ارد عنك الطلب فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في اراضي اشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت ان هذا دعاءك على فادع لي ولك عهد الله ان ارد عنك الطلب فدعا له فخلص . . فلما اراد ان يعد وعه قال له الرسول : كيف بك يا سراقه اذا سورت بسواري كسرى ؟ قال كسرى ابن هرمز وقد تحقق لسراقه هذا الوعد في عهد عمر بن الخطاب . (١)

—•—

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٧٦ ، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٠٥ ، ابن الوردي : زين الدين عمر - تنمة المختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٧٤ بيروت ١٩٧٠ م

الفصل الثامن

بعض آراء (حتى) في عصر الراشدين والرد عليها

١

يقول (فيليب حتى) في حديثه عن خلافة أبي بكر :

(ولعل مبايعة أبي بكر كانت مطابقة لمشروع ديسر
قبل ذلك بينه وبين عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن
الجراح) . (*)

٥٥

المبايعة في رأي (حتى) كانت نتيجة اتفاق مسبق - ونحن نناقش هذا
الرأي فنقول :

أولا : متى كان الاتفاق وأين ؟ - ان حتى لم يقدم دليلا واضحا يدعم به رأيه
- ولعل ادعاءه هذا واضح في عبارته فهو لم يجزم ولكنه قال - ولعل - ويبدو
ان (حتى) قد اعتمد في رأيه على آراء بعض المستشرقين الذين قالوا

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٤٠ (انظر النسخة العربية
المترجمة ج ١ ص ١٩١) .

بهذا الرأي - دون ان يقدموا لنا الدليل ايضا ، امثال الاب ولفنسون من
اعداء الاسلام .

ان الدليل الذى نعنيه - هو شهادة شاهد او جمع من الثقة
يعتمد رأيهم او قول مكتوب صحيح الاسانيد - وكل هذا غير موجود فالادعاء
اذن باطل - واذا كان تصورا وتقديرا فهو تصور باطل وتقدير غير عادل .

ثانيا : ان واقع العصر يابى مادعاء حتى - فلم يكن عصر الصحابة رضوان الله
عليهم ذلك العصر الذى يدفع ابناءه للتهاوت على المناصب او الاحراز
الجاه وانما كان عصر ايمان ومثل - وكان المؤمنون يسعون الى مرضاة الله -
(وهذا ما ابداه حتى) فى نفس الصفحة اثناء حديثه عن طبيعة العصر وعن
طريقة حياة الخلفاء - لكن المفرضين تصوره عصر تكالب وتطاحن على
المناصب انطلاقا من مفهوم عصرهم الذى يعيشونه .

ثالثا : ان احد الثلاثة الذين تم الاتفاق بينهم - وهو عمر بن الخطاب رضى الله
قد اذله موت الرسول صلى الله عليه وسلم - وقالت الشهود - ان عمر حين
بلغه خبر الوفاة خرج وقال : (ان رجلا من المنافقين يزعمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد مات - وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه
كما ذهب موسى بن عمران - والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليقطعن ايدى رجال وارجلهم زعموا انه مات " (١) . . هذا هو عمر احد
ثلاثة يزعم المستشرقون انهم اطراف الاتفاق .

(١) البخارى ج ٤ ص ١٩٥ ، الطبرى ج ٣ ص ٢٠٠٠ ، الكامل ج ٢ ص ٢١٩ ،
البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٢ ، ابن خلدون ج ٣ ص ٦٣ ، ابن هشام
ج ٤ ص ٢٢٤

هل يتصور عاقل أن يصدر هذا القول عن عمر - الذي قالوا عنه
انه قد أبرم عهدا أو ميثاقا مع اثنين آخرين أحدهما هو الخليفة - ان وقع
الخبر عليه كان كالصاعقة التي اخرجته عن طبيعته - فكيف يتم له ولأماله
ان يقر اتفاقا على شئ لم يكن يتصوره ولم يخطر بباله .

رابعا : لو تصورنا جد لا ان ابا بكر كان عليما بهذا الاتفاق المزعوم ، هل كان معقولا
- وهو ينتظر المنصب الجديد - وقد علم بعرض الرسول " صلى الله عليه
وسلم " ان يخرج الى السنح (١) - لو كان يطمح في الخلافة أو كان
بحرص عليها - لمنعته هذه الرغبة من الخروج ، حرصا على تحقيق هدفه
خاصة انه يعلم ما سيكون عليه الامر من اضطراب يتطلب وجوده ليمسك
بزمام الامور ، فخروجه الى (السنح) ينفي شبهة الاتفاق .

لعلنا حينما نشير بايجاز الى مجمل ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه
وسلم يتضح لنا كيف تمت البيعة لابي بكر دون اتفاق مسبق بين احد .

ان الروايات كلها تجمع على ان ابا بكر وعمر بلغهما ان الانصار قد اجتمعوا
في سقيفة بنى ساعدة لاختيار الخليفة منهم فذهبا الى السقيفة على غير اتفاق (٢) فالتقيا
بابي عبيدة هادفة في الطريق ، وروايات بعض المؤرخين ان عمر لما سمع بخير السقيفة
ذهب الى طلب ابي بكر ولم يكن معه ابو عبيدة او انهما ذهبا اليه معا . (٣)

-
- (١) البخارى ج ٤ ص ١٩٣ ، الطبرى ج ٣ ص ٢٠٠٠ ، الكامل ج ٢ ص ٢١٩ ،
البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٢ ، ابن خلدون ج ٢ ص ٦٣
(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٠٥ ، الكامل ج ٢ ص ٢٢٣ ، البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٦ ،
السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٧ .
(٣) الكامل ج ٢ ص ٢٢٢ ، السيرة لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٥

وهناك تراجعوا الكلام فقال الانصار : منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر
 كلاما كبيرا مصيبا - منه : نحن الامراء وأنتم الوزراء ، ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال (الائمة من قريش) (١) . وقال (اوصيكم بالانصار خيرا : ان تقبلوا
 من محسنهم وتتجاوزوا عن سيئهم) (٢) ثم قال : (ان الله سمانا الصادقين :
 في قوله : " للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا
 من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون " (٣) وسماكم المفلحين
 . . قال تعالى : " والذين تبوءوا الصلوة والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
 اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
 خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " (٤) وقد أمركم الله ان تكونوا معنا
 حيثما كنا فقال : " يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " (٥) ثم قال
 " وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر، وأبا عبيدة امين هذه الامة . (٦)

فقام عمر وقال : ايكم يطيب نفسا ان يخلف قدمين قد مها النبي صلى الله
 عليه وسلم (٧) - يشير بذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم مروا ابا بكر ان يصلني
 بالناس (٨) - فتذكرت الانصار وابعوا ابا بكر .

-
- (١) البخارى : فضائل الصحابة - ج ٤ ص ١٩٤
 (٢) صحيح البخارى - مناقب الانصار - ج ٤ ص ٢٢٧
 (٣) سورة الحشر - آية ٨
 (٤) سورة الحشر - آية ٩
 (٥) سورة التوبة - آية ١١٩
 (٦) ابن السرى : أبو بكر - العواصم من القواصم ص ١٠ القاهرة ١٣٨٧
 (٧) الطبرى ج ٣ ص ٢٠٢ ابن الاثير - ج ٢ ص ٢٢٠ ، البداية والنهاية لابن كثير
 ج ٥ ص ٢٤٧
 (٨) البخارى فضائل الصحابة .

وفى رواية لابن سعد (ان عمر فاتح ابي عبيدة قبل ذلك فقال له : (ابسط يدك لابايعك فانت امين هذه الامة على لسان رسول الله - فقال له ابو عبيدة ما رايت لك فهمه قبلها منذ اسلمت - اتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين ان هما فى الغار ؟ (١) فاذا صحت هذه الرواية فهى تنفى ما قيل عن تفاهم هؤلاء الرجال الثلاثة على مبايعة ابي بكر وتعاقب الخلافة بعده .) .

ونقول ايضا (متى كان التفاهم المزعوم ؟ اقبل ان يعرض الرسول يعقل عاقل ان يجتمع صفوة اصحابه والمؤمنون برسالته للتأمر على وراثته واغتنام موته ؟ ان جاز فى عقل عاقل هذا ، فمن ادراهم ؟ وقد ينزل القرآن براى يخالف ما اتفقوا عليه كما انهم لا يدرون ان النبى صلى الله عليه وسلم قد اوصى فى الخلافة بامر غير الذى اتفقوا عليه . (٢)

— ٠ —

(١) بن سعد : محمد بن منبج الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٨١ بيروت ١٣٨٠

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٠-٢١

يذكر (حتى في كتابه عن سياسة عمر في ادارة الدولة فيقول :

(وجعل الدستور العسكري الاشتراكي لعمـ
سوا للعبودية كما ضمن للمؤمن الاعجمي درجة اسمى من
غير المؤمن) (*)

٥٥

نقول في الرد على ما ذكره (فيليب حتى) في هذه النقطة :

في الواقع ان سياسة عمر كانت سياسة فريدة من نوعها ، فقد استعمل عمـ
في ادارة الدولة الاسلامية من القوانين والنظم ما صار فيما بعد قاعدة للنظم السياسية
في ادارة الدولة قرونا من الزمان ، فكان عمر رجل دولة بحق . . جعل في الدولة
من حرية الفرد ما يلائم الدين . . ولا يخرج عن اطاره الذي رسمه القرآن والسنة
فكانت الحرية تتمثل في كل شيء من سياسة عمر ، فالشورى كانت اساس الحكم في
سياسته فكان لا يمنع شيء من ان يستشير الحلبي والشدي حتى الاحداث والاعداء .
جعل منهم منهلا للاستشارة لنظام حكمه .

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٧٢ (انظر النسخة العربية
المترجمة ص ٢٣٠ ج ١)

فأى عسكرية في حكم قوامه الشورى بين الحاكم والمحكوم فلو كان دستور عمر عسكريا لما اعتبر سلطة القضاء أعلى من سلطته وهو الحاكم ، حينما رفض العباس ان يعطيه بيته لتوسعة المسجد ، وترك العباس يختار القاضي الذي يريد . (١)

ولو كان نظام عمر دستورا عسكريا لما قال لأصحابه " انى اخاف أن اخطى ، فلا يردنى احد معكم تعظيما لى " فيقول حذيفة " والله لو رايناك خرجت عن الحق لرددناك اليه " . (٢)

ولم يكن الامر قاصرا على حذيفة الصحابى الجليل بل نراه أيضا يخضع ويعترف بالحق عليه من امرأة تصوبه اذا اخطأ (ركب عمر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايها الناس ما اكاركم فى صداق النساء . . . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك . . . فلا اعرفن ما زاد رجل فى صداق امرأة على أربعمائة درهم . . . ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت يا امير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ، قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما انزل الله فى القرآن ، قال واى ذلك . . . فقالت : أما سمعت الله يقول " واتيتهم احداهن قنطارا " (٣) فقال اللهم غفرا ، كل الناس أفقه من عمر . (٤)

(١) خالد : محمد خالد - خلفاء الرسول - ص ٢٠٥ - بيروت

(٢) المصدر السابق ص ١٩٥

(٣) سورة النساء : آية ٢٠

(٤) تفسير ابن كثير : أبو الفداء - ج ١ ص ٤٦٧ - دار الفكر - بيروت ، القرطبي :

أبو عبد الله محمد بن احمد - الجامع لاحكام القرآن - ج ٣ ص ٩٩ بيروت ١٣٨٧

ويقول ايضا احب الناس الى من رفع الى عيوس . (١)

ويقول (ايضا عامل لي ظلم احدا قبلغني مظلته فلم اغيرها فانا ظلمته) (٢)

كان عمر يامر عماله ان يوافقوه بالمواسم فاذا اجتمعوا قال : أيها الناس انسى لم ابعث عمالي عليكم ليصيبوا من ابشاركم ولا من اموالكم ، انما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا افياءكم بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقم . فما قام احد الا رجل واحد قام فقال : يا امير المؤمنين ان ظملك فلانا ضربني مائة سوط ، قال عمر لعامله : فيم ضربته ؟ ثم قال للشاكي ، قم فاقتص منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا امير المؤمنين ، انك ان فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة ياخذها من بعدك فقال : كيف لا اقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه ، قال فدعا فلنرضه ، قال دونكم فارضوه ، فاقتدى منه بمائتي دينار ، كل سوط بدينارين . (٣)

اما كون دستور عمر نظاما اشتراكيا ، فالاسلام لم يعرف الاشتراكية التي نسمعها في عصرنا الحاضر والتي يقصدها (حتى) وان الاشتراكية هذه لم تظهر الا في القرن التاسع عشر ، وانما الذي عرفه عمر والاسلام انما هو العدالة الاجتماعية والمساواة الحقة في المعاملة بين الناس ، لان الاشتراكية التي يقصدها (حتى) ليس لها مفهوم متفق عليه فهي تفسر في كل مجتمع بتفسير غير الذي يعرفه المجتمع الاخر ، اما العدالة الاجتماعية والمساواة الحقة فمفهومها واضح من الكتاب والسنة . اما صار عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده لم يختلف في مفهومها احد ، وهذا

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٣

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٥

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٣ و ٢٩٤

ما يظهر من وصاياه لقضائه وعماله حيث قال : " اسى بين الناس في مجلسك ، ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدك " . (١)

ويقول لعمر بن العاص " يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً " . (٢)

فالعدالة الاجتماعية التي يعرفها عمر هي العدل واحترام الحقوق بين كل الرعايا ، اما المساواة في الارزاق الذي يقال ان الاشتراكية الحديثة تكفل ذلك فهذا لم يعرفها عمر لان الله سبحانه وتعالى قسم الارزاق بين العباد ، وانما كل ما عمله عمر هو انه حاول ان يرفع من مستوى الفقراء بحشهم على العمل والكسب من اجل حمايتهم وصيانتهم من ذل الفقر فهو يقول " يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضع الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عمالا على المسلمين " (٣)

فكان يوصي الفقراء والاغنياء على تعلم المهن من اجل الكسب لا من اجل الاتكالية التي تصنعها الاشتراكية الحديثة حين تأخذ من الغني العامل لتعطى الفقير الخامل .

ولو عرف عمر الاشتراكية المزعومة التي يزعمها (حتى) لما ميز بين الناس في العطاء ، وفقا لموقفهم السابق من الدعوة الاسلامية ، وبلائهم في سبيلها (٤) وكسب

(١) العقاد - عبقرية عمر ص ١٢٠

(٢) المصدر السابق ص ١١٠

(٣) المصدر السابق ص ١١٦

(٤) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٩٦ ، ٢٩٦ ، الطماوي : سلمان - عمر بن الخطاب

ص ٤٠٨ - بيروت ١٩٦٩ م

ما فعله عمر هو أنه أخذ من فضول أموال الاغنيا ووزعها في وجوه البر والخير ، كما انه لم يأخذ الا بحذر وعقل ، فلم يفرغ غنيا ولم يغن فقيرا على حساب افتقار غيره ، وانما أخذ الفضل من الاموال ووزعها بقدر ما يسد رمق الفقراء والمساكين .

أما قول (حتى) أن عمر جعل الدستور العسكري الاشتراكي سموا للمروسة ومعنى ذلك أنه كان يقصد مكافاة العرب . . فكان هذا امرا ضروريا لانه لم يكن هناك سوى العنصر العربي الذي يتولى فتح البلاد ونشر الدعوة فكان طبيعيا أن تكون القيادة ومصالح الدولة في يد العرب . أما من جهة المعاملة لغير العرب فان نظام القضا الذي وضعه عمر كان كفيلا يحفظ حقوق العرب وغيرهم على قدم المساواة ، فقد كتب الى ابي موسى الاشعري : انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم ، فاكم من قبلك من وجوه الناس ، وحسب المسلم الضعيف من العدل ، ان ينصف في الحكم وفي القسم . (١)

وكان عمر رضى الله عنه يطوف في الاسواق ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم مهما اختلفت جنسياتهم . (٢)

ومع أن العنصر العربي هو الذي كان يحمل لواء الدعوة والجهاد في سبيلها فان عمر حينما فتحت صرايقى على بعض العمال البيزنطيين في حصر فور القسح (٣) وذلك لمعرفتهم بشئون البلاد أكثر من غيرهم من العرب الداخلين على البلاد حديثا .

(١) تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٢٠٣

(٢) تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٢١٣

(٣) الغزالي : محمد - التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام - ص ٥٩ -

القاهرة ١٩٦٥م

وان ما كان من اعتماد عمر على العنصر العربي ، فليس معناه رفعا لشأنهم
على سائر الاجناس وانما لان غير العرب كانوا احد رجلين :

- ١ - رجل اسلم ولم يرسخ الاسلام في نفسه - فكيف يامنه على شئون الامة ويشق به ؟
- ٢ - رجل لم يسلم - وهو اشد خطرا .

ويذكر (حتى) عند سرده لاسباب الفتح الاسلامي ، فيعزوها الى دوافع اقتصادية فيقول :

(لم تكن الحماسة الدينية بل الحاجة لاقتصادية هي التي دفعت بمعاشرا البدو ، الذين تكونت منهم اكثر جيوش الفتح ، الى ما وراء تخوم البادية ، الى الاراضي الخصبة في الشمال) (*)

٥٥

ونحن نقف مع (حتى) قليلا امام هذا الخبر لنبين للقارىء الى اى حد كان (حتى) مخطئا وحقودا ..

ان (حتى) ينكرو الحماسة الدينية في الفتح الاسلامي الاول لانه يجهل حقيقة الدافع الديني لدى المسلمين ومدى ايمان هؤلاء الاوائل بوجوب تحمل هذه المسئولية لانهم آمنوا بقول ربهم " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " (١) كما

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٤٤ (انظر النسخة العربية المترجمة صفحة ١٩٥)

(١) سورة البقرة - اية ١٩٣

امنوا بقوله تعالى " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " (١) " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " . (٢)

ومن هنا نجد ان الفاتحين خرجوا لانهم مكلفون بايصال هذا الدين الى اهل الارض كافة لان رسولهم ارسل للناس كافة .

فهم اتباعه والواجب عليهم ان يبدأوا من حيث وقف نبيهم لانهم مؤمنون بان تبليغ الرسالة الى الامم الاخرى مهمة قد نيظت بهم وأمانة قد القيت على عاتقهم فهم المكلفون بنشرها ولهذا خرجوا .

فالغاية من الخروج والجهاد هوبث الدعوة ونشر الدين الاسلامي في جميع أنحاء الدنيا لانه دين الله " ان الدين عند الله الاسلام " . وليس البحث عن مواطن الخصب فسيما وراء تخوم البادية الفقراء الى حيث منازل المطرء او منابت الكلاب كما يزعم (حتى) .

ونحن نقول لو خرج المسلمون بغية الثراء والغنى لاكتفوا بأرض الشام وطاب لهم المقام هناك ولكنهم لم يخرجوا لهذا وهو ما يؤيده المستشرق " موسـل " في رده على زميله " كيتاني الايطالي " : (ان الجيوش التي اشتركت في فتح العراق والشام وفلسطين لم تكن حجازية او نجدية فحسب بل فيها قبائل عراقية وشامية) (٣)

(١) سورة سبأ - آية ٢٨

(٢) سورة الانبياء - آية ١٠٧

(٣) علي : جواد - تاريخ العرب قبل الاسلام - ج ١ ص ٢٥٠

وهو يعنى بذلك أن الدعوة هي الهدف الاسي وحدها .

فلو كان الدافع هو الجوع والفقير الذي زعمه (حتى) لما خرج اهل الشام وأهل العراق مع الجيوش الاسلامية ؟ . ولما خرج العرب من الشام للقتال ماداموا قد بلغوا ارض الخصب والرخاء ؟ . ويستشهد الدكتور عبد المنعم ماجد بمستشرقين آخرين في هذا الصدد فيقول : (فليس لدينا ما يدل على أن حركة الفتح العربي سببها الجفاف او الجوع) . (١)

وقصارى القول ان رسالة الاسلام رسالة عامة لكافة البشر " قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين " . وفي الحديث (امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله ، ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) . (٢)

ورسالة هذا شأنها ، لا بد أن يحملها أصحابها الى كافة البلاد وان يرتفع صوتها في كل مكان وفي كل ارض سواء كانت خصبة ام كانت قفرة .

هذا منطق الدعوة - وهذا سبيل الدعوة .

ومن التجنى على هذه الدعوة السامية أن تتهم بمثل هذا الاتهام ، كما أننا نرى ان من واجب المؤرخ الحياد والاستشهاد بأراء المحايدين .

(١) ماجد : عبد المنعم - التاريخ السياسي للدولة العربية - ج ١ ص ١٦٥ القاهرة Arabia, P.7: Hunyyn.)
Islam at the Crossroads, London. 1923
P.2 O.L. Learys.

وحن قد ذكرنا رأي د . عبد المنعم ماجد في هذه النقطة رغم أنه أحد المتأثرين بالمستشرقين لانه قال كلمة الحق في هذا الموضوع .
(٢) سنن بن ماجه - ج ١ ص ٢٧

ومن هنا لا نضع في الاعتبار استدلال (حتى) بما جرى بين رستم قائم-
 الفرس وبين المغيرة بن شعبه مبعوث المسلمين ، لانه ذكر قول رستم فقط ولم يذكر
 رد المغيرة عليه . وكان الانصاف يقتضيه أن يسجل ما قاله المغيرة وهو : (ان الله
 بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته واتباعه ، وأمرنا بجهاد من
 خالف ديننا " حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاهرون " . ونحن ندعوك الى
 عبادة الله وحده ، والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيوف
 بيننا وبينكم) (١) . هذا النص الذي أخفاه (حتى) حتى تتوه الحقيقة ويظهرها
 في مظهر الاستجداء من أجل الحاجة والجوع ، ومتناسيا بذلك واجبه كباحث
 صادق .

هذا هو منطق القوة وقوة الايمان ، وقوة العقيدة ، وليس منطق الاستجداء
 أو الطمع .

—•—

(١) البلازرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى - فتح البلدان - ص ٢٥٧ القاهرة
 ١٩٥٩م ، تاريخ الطبرى - ج ٣ ص ٤٩٦ ، تاريخ ابن الاثير - الكامل فى
 التاريخ ج ٢ ص ٤٦٥ .

ثم يعود ويستطرد (حتى) :

(ان من الدوافع التي دفعت المسلمين الى الفتح
 هي الجزية فيقول : " فان العرب في حروبهم خارج الجزيرة
 كانوا يعرضون على اهل الكتاب من يهود ونصارى أمرا
 ثالثا غير القرآن والسيف ، هو اقرب الى مطامع المحاربين
 واصح لهم من كلال امرين الاولين - الجزية ٠٠) (*)

٥٥

ونحن حين نرد على (فيليب حتى) نقول ان العرب الفاتحين قد فرضوا
 الجزية على اليهود والنصارى ولكننا نختلف معه في ان الجزية كانت مطمعا للمحاربين
 وانما اختارها اهل الكتاب لانها في نظرهم آيسر من دخولهم في الاسلام او الدخول
 في حرب مع المسلمين :

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٤٣ . انظر النسخة العربية
 المترجمة ص (١٩٥) .

(١) فلم تكن الجزية مطمعا ماديا للمسلمين فرضوها من تلقاء انفسهم على اهل الكتاب وانما هي شريعة السماء في قوله تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون بدین الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " . (١)

وهذا نزل الكتاب - وما كان لمؤمن ان يخالف ما امر به الله
ومن هنا كان تطبيق الجزية طاعة لامر الله وتنفيذا لقانون سماوي ..

(٢) ولو كان فرض الجزية مطمعا ماديا - لفرضه المسلمون من البداية ولاخذوا من يهود بنى قينقاع - وبنى النضير - وبنى قريظة ، لكنهم تركوهم لان الابسة الكريمة لم تكن قد نزلت (٢) وما يقال عن هؤلاء يقال عن اهل خيبر الذين اقرهم الاسلام على فلاحة الارض وهادتهم هدنة مطلقة . (٣)

(٣) كما ان الاسلام لم يطلق فرض الجزية في جميع الاحوال وانما خصها بحالات معينة واشترط لفرضها شروطا .. فللجزية شروط وواجبات فهي لا تفرض على اهل الكتاب الا برفضهم الدخول في الاسلام فان قبلوا الاسلام فلا جزية ولا قتال ، وان رفضوا الدخول في الاسلام فلا كراه في الدين ، وما عليهم الا ان يدفعوا جزية رمزية مقابل عدم اشتراكهم في صف الجندية ، وذلك بسبب واضح لعدم اشتراكهم والاعتماد عليهم في الحروب ، ولكن يدفعون

(١) سورة التوبة - آية ٢٩

(٢) آية الجزية لم تنزل الا في السنة السابعة بعد الهجرة (ابن تيمية - الجواب الصحيح ص ٦٥)

(٣) ابن تيمية - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ١ ص ٦٥ القاهرة ٢٩ هـ

هذه الضريبة مقابل سلا متهم وعدم اشتراكهم في القتال كما أنها تكون مقابل حفظهم وأمانهم في داخل الدولة الإسلامية الجديدة .. هم وأهلهم و أموالهم .. وخير دليل على ذلك ما فعله ابو عبيدة بن الجراح لما علم بأن هرقل قد جهز لمهاجمة المسلمين كتب الى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم ببرد الجزية الى أهلها وكتب للناس يقول (انما ردونا عليكم اموالكم لانه بلغنا ما جمع لنا من الجموع وانكم قد اشتراطتم علينا ان نضعكم واننا لا نقدر على ذلك وقد ردونا عليكم ما اخذنا منكم ونحن على شرط ما كتب بيننا ان نصرنا الله عليهم) (١) . الجزية ضريبة على رؤوس الاشخاص الذين يستطيعون خوض المعارك ولا يدخلونها لاختلاف دينهم فتأخذ منهم مقابل امان المسلمين لهم) . (٢)

ولو نظرنا الى الجزية من حيث قيمتها المادية لوجدناها مبلغا رمزيا لا يحمل الطامع (اذا صح هذا التعبير) على التضحية بروحه في سبيل الحصول عليه - فضلا عن سقوطه اذا اعتنق اهل تلك البلاد الاسلام .

ويتضح الامر اكثر من ذلك وتسقط شبهة الطمع اذا عرفنا على من تجب .. فهي تجب على الرجل البالغ الحر العاقل القادر وتسقط عن النسوة والاطفال والعبد المملوك ودون الحلم كما أنها تسقط عن بعض القساوسة . (٣) وهنا نجد

-
- (١) جمال: احمد محمد - مقترحات على الاسلام - ص ٦٧ - القاهرة ١٣٩٥ .
 (٢) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب - الاحكام السلطانية ص ١٤٣ القاهرة
 ١٣٨٦ هـ .
 (٣) ابو يوسف: يعقوب بن ابراهيم - الخراج - ص ١٣٢ القاهرة ١٣٩٢ هـ .

من المنصفين المستشرقين مثل د ٠ ١٠٠ س. ترتون يذكر في كتابه الذي أسماه
(أهل الذمة في الاسلام) (ان المسلمين لم يلزموا أهل الذمة ببيع ما شبتهم لسدها
اذا لم يجدوا غيرها) . (١)

ومن هنا نجد أن رحمة الفاتحين بأهل البلاد قد اضعفت حجم الجزية لدرجة
أنها أصبحت لا تعتبر شيئاً مهماً بالقدر الذي تصوره (حتى) الذي يدفع المسلمون
الى القتال .

كما أن (حتى) عندما أراد ذكر الايات التي اعتمد عليها في دعم رأيه
هذا نجده ينقلها مبتورة حتى يشوه بها حقيقة الجزية فينقل عنها قوله تعالى :
" وقاتلوا . . . من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (٢)
محاولاً بذلك اعطاء القارىء صورة مشوهة عن حقيقة الفتح الاسلامى وأهدافه
ظناً منه أنه يستطيع الطعن في هذا البناء الشامخ حتى يدخل الشك في ذهن
القارىء .

(١) د ٠ ترتون ٠ ١٠٠ س. - أهل الذمة في الاسلام - ص ٢٣٠-٢٢٢ .
ارثر ستالى ترتون ولد سنة ١٨٨١ تعلم في كلية مانسفيلد والقديسة كاترين
واكسفورد وجوتنجن ، وعلم في مدرسة الاصدقاء في برمانا بلندن وعين مساعداً
استاذاً للعربية في جامعة أدنبرة عام ١٩١١ ، وقد وجه جل اهتمامه للغة وحاو
رهبان الموارنة في قراءة السويانية وترجمتها الى العربية وله عدد ضخم من
المؤلفات في مختلف الاحوال الشرقية وعدة بحوث وتحقيقات على بعض المؤلفات
الاسلامية ومن أشهر مؤلفاته الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين - طبعه
اكسفورد ١٩٣٠ وقد نقله الى العربية الاستاذ حسن حبشى - القاهرة ١٩٤٩
(٢) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول - ص ١٩٥

وكان من واجب الامانة العلمية على (حتى) أن يذكر الآية كاملة وهي توضح طبيعة أخذ الجزية ووجوب فرضها وهي في قوله تعالى : " وقَاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدعون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " . (١)

ومن هنا يتضح أن الجزية ليست هي الهدف الذي وضعه الفاتحون نصب أعينهم إنما خرجوا لانهم يؤمنون بأن الله لو هدى رجلا واحدا لكان خيرا لهم من حمر النعم فهذا هو الاجر والاصلح لهم وليس الجزية التي زعمها (حتى) .

—•—

ولا يكفى بذلك بل يعود ويذكر (حتى) في اثناء حديثه عن أسباب الفتح الاسلامي وانتشاره فيقول :

() وعندما أسلم معظم سكان الشام والجزيرة وفارس تحولوا الى العقيدة الجديدة لرغبتهم في الخلاص من الجزية وللمشاركة الطبقة الحاكمة ولايسة الأمور (*)

في هذه النقطة ، قد كانا مؤنة الرد على فيليب حتى مستشرق مسيحي ، هو السير توماس أرنولد^(١) في حديث له عن الدعوة الاسلامية وأسباب انتشارها

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٤٥ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ١٩٧) .

(١) توماس أرنولد - الدعوة الى الاسلام - ص ٨٩ القاهرة ١٩٧٠م
مستشرق انجليزي (١٨٦٤-١٩٣٠) تعلم في كمبريدج ، قضى عدة سنوات في الهند استادا بها وتقلب في عدة مناصب علمية فيها ، هو أول من جلس على كرسى الاستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن (١٩٠٤) وزار مصر عام ١٩٣٠ ، وكان معجبا بالاسلام ومعجبا من علومه منصفاً له في ابحاثه عنه .

(العفيفي : نجيب - ج ٢ ص ٥٠٤)

فيقول : (ان حالة الكنيسة الشرقية التي تدهورت في ذلك الوقت من الناحية الخلقية والروحية لا بد ان تكون قد دفعت كثيرين الى ان يلتمسوا جوارحيا أسلم وأصح فسي ذلك لئلا يدين الاسلامي) .

ثم يستطرد فيقول : (وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على ان ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الاسلام على نطاق واسع كان راجعا الى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكاهم المسلمين بل لقد تحول كثير من القبط الى الاسلام قبل ان يتم الفتح ، وسار كثير من القبط على نهج اخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة) . (١)

ومن هنا يتضح أن السبب الاساسي الذي دفع أهل البلاد من المسيحيين الى الدخول في الاسلام هو حسن معاملة الحكام المسلمين ورحمتهم بأهل البلاد المفتوحة وقد رأى أهل تلك البلاد أخلاق المسلمين وما هم عليه من نهج كريم ومعاملة حسنة سواء فيما بينهم أو فيما يتعلق بالآخرين من غير المسلمين ، وراوا فيهم الصدق والامانة كما راوا في دينهم البساطة والوضوح ، الذي لم يعرفوه في مسيحياتهم الغامضة كما يذكر المستشرق الايطالي كيتاني حيث يقول " ان انتشار الاسلام بين نصارى الكنائس الشرقية انما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة * المذهبية " (٢)

ويدل المستشرق الانجليزي ريلز برأى آخر يدحض رأى زميله الاستاذ (حتى)

* السفسطة : هي الادعاء الباطل الذي يقصد به تمويه الحقائق وهي كلمة يونانية الاصل (المنجد ص ٣٣٧)

(١) أرنولد : توماس - الدعوة الى الاسلام - ص ١٢٤ .

(٢) الغزالي : محمد - مع الله - ص ١٦٤ ، انظر أرنولد : توماس - ص ٨٩

فيقول في كتابه " معالم تاريخ الانسانية " (ان انتشار الاسلام كان يشبه ثورات على التقاليد السالفة ونضوجا في الوعي الانساني وتطلعا الى نور جديد) . (١)

هذه هي الحقيقة . .

اما أن تكون الجزية سببا في دخول الاسلام للام المغلوبة فهذا منطوق بعيد التصديق

فهذا هو عمر بن عبد العزيز يكتب الى أحد عماله وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن يقول له (كتبت تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس ، وعليهم جزية عظيمة وتستأذني في أخذ الجزية منهم . . وان الله جل شأنه بعث محمد صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ولم يبعثه جابيا) . (٢)

كيف يغير المرء عقيدته ويتركها لينجو من دفع مبلغ زهيد (قدره ثمانية وأربعون درهما من الموسر وأربعة وعشرون من المتوسط واثنان عشر من الفقير المعدم) في العام .

كيف يترك عقيدته ليتخلص من الجزية - وهو يعلم أنها كانت تؤخذ منه مقابل الامان على روحه وأهله وماله - وانه بدخوله الاسلام سيفرض عليه الجهاد ويعرض نفسه للقتل ، ويرفع عنه ذلك الامان .

(١) أرنولد : توماس - الدعوة الى الاسلام ص ٨٩

(٢) أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم - الخراج - ص ١٤٢ .

(٣) الماوردي - الاحكام السلطانية - ص ١٤٤ ، الفراء : محمد بن الحسين ص ١٥٥

أى الطريقين يكون أسلم .. أمان مقابل مال يسير ؟ أم تعرض للقتل حين يخرج للقتال والجهاد مقابل الاغناء من هذا المبلغ الرمزي ؟ .. اذا لم تكن الا العقيدة هي التي دفعت الى الدخول فى الاسلام .

على أنه لم يكن هناك الزام لغير القادر (الفقير) (١) - وكانت ترد السى أصحابها اذا لم يستطع المسلمون تحقيقى الامان لهم ، كما فعل أبو عبيده مع أهل الشام حينما عجز عن صد هرقل . (٢)

كما أنهم لم يكونوا مجهدين فى دفعها ، انما كانت تؤخذ على الرجل القادر دون النسوة والاطفال أو الرجال المسنين (٣) أى أنها كانت تؤخذ من الذى يستطيع أن يحمل السلاح . فكانت تؤخذ منه بدلا من دخوله أرض المعركة كما أنه هو ذاته اذا ادعى عدم القدرة على دفعها رفعت عنه . (٤)

فالجزية تؤخذ من أهل الذمة كما تؤخذ الزكاة من المسلمين للانفاق منها جسيما على مرافق الدولة من ادارة وأمن ، وتعليم ، ودفاع ، وضمان اجتماعى ، فى حالة الافتقار أو عجز أو شيخوخة ..

-
- (١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٥ ، أبو يوسف : الخراج ص ١٣٢
تريتون : د ١٠٠ ص . - أهل الذمة فى الاسلام - ص ٢٣٠
- (٢) جمال : أحمد محمد - مقتريات على الاسلام - ص ٢١١
- (٣) الفراء : الاحكام السلطانية ص ١٥٤ ، الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٤
أبو يوسف : الخراج - ص ١٣٢
- (٤) الفراء : الاحكام السلطانية ص ١٥٥ ، الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٢ ،
د تريتون - أهل الذمة فى الاسلام ص ٢٣٠

وقد ذهب عدد من الفقهاء الى أن ما يؤخذ من زكاة المسلمين يزيد على ما يؤخذ من أهل الذمة في حين يحظى الجميع بحماية الدولة الاسلامية ورعايتها على قدم المساواة والعدل والرحمة . (١)

كذلك يجب على المسلم أن يدفع ربع العشر من ماله كله اذا كان نقدا لا من أرباحه وحدها ، فلو كان هناك ذمي ومسلم ، يملك كل واحد منهما مليون درهم ، لا تأخذ الدولة من هذا الذي الاثنان وأربعين درهما فحسب — وهو نصاب الغنى — بينما تأخذ من المسلم خمسة وعشرين ألف درهم زكاة لما له .

هذه هي حقيقة الجزية التي يزعم أعداء الاسلام أنها كانت مظهرا للاستيلاء على أموال غير المسلمين فقد كانت في الواقع مظهر رحمة وحماية وعقبة من أموال غير المسلمين مع تمتعهم بكل ما يتمتع به المسلمون من حماية لأموالهم وممتلكاتهم وأرواحهم وعقائدهم ، وتمتع بحق التكافل الاجتماعي عند المرض والشيخوخة والعجز عن العمل . (٢)

ويتول الشبخ النزالي في هذا الصدد أن المصريين رغم انهزامهم العسكري أمام الرومان وسقوط واديهم الخصب في يد الدولة الجشعة ، ويقائهم ستة قسرون في قبضة حكاهم الغرباء أبوا برغم هذا أن ينهزموا روحيا أمام قوى الفاتحين وقوا على دين غير دين الرومان ثم على مذهب غير مذهب الرومان . . وتحملوا في ذلك طوفانا من الدم جعلوه بداية لتاريخهم ثم سلسلة من التضحيات العقيمة لم يجد شيء منها

(١) انظر د. الريس : محمد ضياء الدين — الخراج في الدولة الاسلامية حتى منتصف

القرن الثالث الهجري — ص ٢٢٤ — ٢٢٨ القاهرة ١٩٥٧ م

(٢) جمال : احمد محمد — مفتريات على الاسلام — ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

فى شئى عزائمهم عن العقائد التى ارتضوها ، فهل يصح فى الازهان أن قوما يظلمون
القرون على هذه الصلابة ثم يفتة يبيعون دينهم لانهم يرفضون البقاء عليه
نظير شمن بخس دراهم معدودة ؟ (١)

—•—

(١) الغزالي : محمد - مع الله - ص ١٦٤ - القاهرة ١٩٥٩

يذكر حتى في معرض حديثه عن خلافة علي بن أبي طالب فيقول :

() وكانت مشكلة علي الأولى هي التخلص من منافسيه في الوظيفة الكبرى التي تولاها ، وهما طلحة والزبير اللذان كانا يمثلان الحزب المكسي وانضمت عائشة أم المؤمنين زوج الرسول المفضلة الى صفوف المتمردين ضد علي في البصرة ، وكان قد سبق لها أن تسترت عن التمرد ضد عثمان (*)

ثم يستطرد فيقول :

() وكرهت عائشة عليا كرها شديدا لكرامتها المجروحة للحادثة التي جرت لها يوم أن تخلفت من ركاب النبي ، وارتاب علي في اخلاصها حتى نزل الوحي ببراعتها (*)

٥٥

وكلام فيليب حتى يقتضينا الرد عليه في أربع نقاط هي :

(١) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ١٧٩ (انظر النسخة العربية المترجمة ج ١ ص ٢٣٨) .

- ١ - تخلص عليّ من منافسيه في الوظيفة الكبرى التي تولاهما وهما طلحة والزبير .
- ٢ - انضمام السيدة عائشة الى صفوف المتمردين ضد عليّ في البصرة .
- ٣ - أن السيدة عائشة تغاضت أو تسترت على الثائرين ضد عثمان .
- ٤ - ان الذي دفع السيدة عائشة للخروج ضد عليّ هو حادثة الافك .

٥ ٥ ٥

(١) أما الرد على النقطة الاولى فنقول :

ان (حتى) عندما يذكر أن علياً قد اهتم أول شيء بمسألة القضاء على طلحة والزبير لاندري كيف تجرأ على هذا القول ولا أى المصادرا اتمد عليها ، فهذا للمنعرف شيئاً عنه ولم تذكر كتب التاريخ المعتمدة ، أن علياً قد جهز جيشاً للقضاء على طلحة ، والزبير ، كما أنهما لم يتركا المدينة الى مكة انكاراً على البيعة لعليّ أو من أجل تكوين حزب مخالف للخلافة ، بل خرجا من أجل أن يبيحا عن حل يقضيان به على الفتنة والنوغاء التي عمت المدينة .

وهذا يتضح من قولهما لعائشة حين سألتها عن سبب المجيء الى مكة وكان جوابهما أن قالا : (انا تحملنا هروبا من المدينة من غوغاء واعراب وفارقنا قوما حيارى ، لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم) (١) ثم خرجا الى البصرة مصطحبين معهم السيدة عائشة رجاء أن يرجع الناس الى أمهم فيرعون حرمة النبي واحتجوا عليها بقوله تعالى (لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) (٢) وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الصلح

(١) الطبرى ج ٤ ص ٤٥٠ ، ابن الاثير - الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٠٧-٢٠٨

(٢) سورة النساء - آية ١١٤

وارسل فيه فرجت المشوية . (١) وذلك رغبة منهم في القضاء على الفتنة التي ظهرت
في الشام من أجل المظالم بدم عثمان .

أما الآراء المختلفة التي يزعمها البعض ، وانها كانت هي السبب في الخروج
الى البصرة ومنها :

- أ - انهما خرجا انكارا لبيعة علي لانهما بايعا مكوهين .
- ب - أو لان أول من بايع هو طلحة وبيده مشلولة .
- ج - وعلى قول آخر انهما خرجا مطالبين بدم عثمان .

فهذه الآراء والاقوال أقوال مختلفة لاصحة لها ولا نصيب لها من الواقع
بدليل ما يأتي :

١ - فأما انهما خرجا انكارا لبيعة علي وأنهما بايعا مكوهين ، فالحقيقة أنهما
هما أول من عرض على علي الامامة ، وقالوا له (انا لا نعلم أحدا أحق بها
منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم) . (٢)

٢ - أما النقطة الثانية فيقول فيها ابن العربي (وأما قولهم " يد شلاء " لو صح
فلا متعلق لهم فيه ، فان بدا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتم لها كل أمر ويتوخى بها من كل مكروه) . (٣)

٣ - أما القول بأنهما لم يخرجوا الا من أجل الاخذ بشار عثمان فهذه فريسة

(١) ابن العربي - العواصم من القواصم - ص ١٥٢
(٢) ابن العربي - العواصم من القواصم - ص ١٤٤ ، انظر تاريخ الطبري ج ٤ صفح
٤٢٧ - ٤٢٨
(٣) ابن العربي - العواصم من القواصم - ص ١٤٤

ملفقة فهما يعرفان حق المعرفة أن المطالب بدم لا يصح أن يحكم على المطلوب منه ، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه الخروج عليه . (١)

(٢) أما النقطة الثانية وهي القول بانضمام عائشة الى مقاومي علي فهذا قول لا تؤيده المصادر والمراجع التاريخية :

وفي الحقيقة أن السيدة عائشة قد لاقت من محاولات الطعن في شخصيتها والنيل منها . . . وهذه حقيقة لا بد منها لأنها رضى الله عنها قد كانت أحب النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد حظيت بالشيء الكثير من الحب والتقدير منه صلى الله عليه وسلم ، مما أوغر قلوب الحاسدين عليها فحاولوا أن يسلبوها شيئاً من هذا التقدير وأن يضعوها في درجة غير التي وضعها فيها الله ورسوله وهيباتها أن يستطيعوا ذلك والله الذي حفظها من أفك المنافقين قد نجاها وحفظها من افتراءات المؤرخين وشاء الله العلي القدير أن يحفظ لها بين ثنايا أسطر التاريخ من الادلة والبراهين ما ينفي عنها كل افتراء وزيف ، فقد قال عنها عروة بن الزبير (لو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك لكفاها ذلك فضلاً وعلو مجد فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى الى يوم القيامة) . (٢)

فان الحقيقة التي ينبغي أن تعرف عن خروج السيدة عائشة مع طلحة والزبير فانها تستند الى ما ورد من نصوص في المراجع والمصادر التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها والتي لها قيمتها في عرف المؤرخين ونظرهم ، وخلصتها أنها خرجت للصلح بين

(١) ابن العربي - العواصم من القواصم - ص ١٦٤

(٢) الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله - طبقات الحفاظ - ج ١ ص ٢٧ بيروت دار احياء التراث

طائفتين متنازعتين من المسلمين والادلة على ذلك ما ياتى :

(١) يذكر ابن العربى أنهم خرجوا فى جمع طوائف المسلمين وضم نشرهم ورد هسم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح ولاشئ سواه . (١)

(٢) ان الامام عليا رضى الله عنه لما ارسل القعقاع بن عمرو لهم يسألهم عن سبب شخوصهم الى البصرة ، بدأ القعقاع بالسيدة عائشة رضى الله عنها فسلم عليها وقال : اى امة ، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : اى بنى اصلاح بين الناس . فلما سأل القعقاع طلحة والزبير امتبعان هما ام مخالفاً فقالا : متبعان . (٢)

(٣) لما خرجت السيدة عائشة مع طلحة والزبير فأتت الحفيرة فأتاها أهل البصرة وسألاها عن سبب حضورها فقالت : (والله ما شلى يخطى لبنيه الخير ، ان غوغاء المدينة ونزاع القبائل قد غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه وأروا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما نالوا من قتل أمم المسلمين بلاتره ، ولا عذر ، فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهـر الحرام فخرجت فى المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه ورائنا وما ينبغى لهم من اصلاح هذه القصة ، وقرأت (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) (٣) فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه . (٤)

(١) ابن العربى ص ١٥١

(٢) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٤٨٨

(٣) سورة النساء - آية ١١٤

(٤) ابن الاثير ج ٣ ص ٢١١

(٤) ويقول ابن العربي (فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين - رض الله عنهم - رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها بقوله تعالى " لا خير في كثير من نجواهم . . . " (١)

(٥) ويروي عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه فيقول : (. . . فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة : ما سمعتم اخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون ؟ فقلنا يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالا) . (٢)

(٦) يروي الطبري أن أحد أجناد طلحة والزبير وهو أبو الجرباء سأل الزبير ابن العوام أن يرسل ألف فارس إلى علي فقال الزبير (يا أبا الجرباء أنا لنعرف أمور الحرب ، ولكمهم أهل دعوتنا ، وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم وهذا أمر من لم يلق الله عز وجل فيه بعد انقطع عذره يوم القيامة ومع ذلك أنه قد فارقنا وافدهم على أمر ، وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فابشروا واصبروا) . (٣)

(٧) ويذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول عن ذلك فيقول (والتقى الفريقان كل منهم لا يريد الا الاصلاح ولكن في العسكر ناس ممن الخوارج فخافوا تما لواء العسكرين عليهم ، فتحيلوا حتى أثاروا الحرب بينهم من غير رأى) . (٤)

-
- (١) ابن العربي ص ١٥٢
 (٢) تاريخ الطبري - ج ٤ ص ٤٩٢
 (٣) تاريخ الطبري - ج ٢ ص ٤٩٥
 (٤) ابن عبد الوهاب : محمد - مختصر السيرة - ص ٤٩٤ - القاهرة ١٣٧٩ هـ

٨) وبيروى صاحب فتح البارى فى شرحه لصحيح البخارى ويقول (ان احدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا فى الخلافة ولا دعوا لاحد منهم ، ليولوه الخلافة) . (١)

فهذا هد فهم حين الخروج ولم يكن لديهم غيره وكادوا ينجحون فى مهمتهم لولا أن كان فى الجيش جماعة من قتلة عثمان فخافوا على أنفسهم الوقعة وخشوا ان حصل الصلح أن يقتضخ أمرهم فتشاوروا فى الامر واتفقوا على أن يفاجئوا كلا الطرفين ويقتلوا منهم فيسى . بعضهم الظن بالآخر فيفسد الصلح وينجوا هم بأنفسهم . . وهذا ما حفظته لنا كتب التاريخ أيضا . .

فيروى الطبرى فى هذا الصدد عدة أقوال ثبت ذلك :

٠١ فيقول الطبرى : أنه بعد أن انتشر خبر الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للمعاينة من الذى اشرفوا عليه . . ويات الذين اثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط . . وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على انشاب الحرب فى السر . (٢)

٠٢ كما يروى أيضا أن الثوار قالوا بعد علمهم بالصلح : أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما على فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأى الناس فينا والله واحد وأن يصطلحوا فعلى دماننا فهللوا ، فلنتواثب على على نلحقه بعثمان فتعود فتنة . (٣)

(١) على شعوط : ابراهيم - كتاب ابا طيل يجب أن تحى من التاريخ ص ١٧٢

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٥٠٦

(٣) الطبرى ج ٤ ص ٤٩٣

٠٣ ويروى أيضا عن شريح بن أوفى أن الثوار قالوا : أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا
 .. فانا عند الناس بشر المنازل ، فلا أدري ما الناس صانعون غدا اذا ما هم
 التقوا . (١)

٠٤ كما روى أيضا عن عبد الله بن سينا المعروف بابن السوداء فقال : يا قوم
 ان عزمكم في خلطة الناس صانعوهم واذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال
 ولا تفرغوهم للنظر ، فانذا من انتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع ، ويشغل الله
 عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكروهن فأبصروا الرأى ، وتفرقوا عليه
 والناس لا يشعرون . (٢)

هذا ما كان من شأن طلحة والزبير والسيدة عائشة - رضى الله عنهم - وموقفهم
 من على بن أبى طالب ، لا كما ذكره (فيليب حتى) من غير أن يدرس القضية دراسة
 علمية دقيقة .

(٣) وأما قول (حتى) أن عائشة قد تسترت أو تواطأت مع الثائرين على
 عثمان بن عفان ، فالحقيقة أن السيدة عائشة لم تكن قد تسترت على الثائرين ضد عثمان
 كما يزعم (حتى) بل أنها قد أسفت وندمت كل الندم على موت عثمان فهي القائلة :
 (واغضب لكم من السوط ولا اغضب لعثمان من السيف ؟ استعبتتموه حتى اذا تركتموه
 كالقند المصفى وصبتموه موص الاناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ثم قتلتموه)

(١) الطبرى ج ٤ ص ٤٩٤

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٤٩٤

قال مسروق قلت لها عمك : كتبت الى الناس تأمرينهم بالخروج عليه ، قالت عائشة (والذى آمن به المؤمنون ، وكفر بها الكافرون ما كتبت لهم سوادا في بياض) . قال الاعشى : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها (١) وهذا الأرجح والاصح ، فعائشة لم تتدنى الى هذا المنزلة بأن تكسب وتحرض الناس بالخروج على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم نر هناك سببا يدفع بام المؤمنين أن تؤلب على أولادها المبشرين بالجنة وهى زوجة المصطفى ، فهى القائلة عندما وصلت المريد لغرض الصلح كما تقدم (وكان الناس يتحدثون على عثمان ويذرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ، فننظر في ذلك ، فنجده بريئا نقيا تقيا ، ونجدهم فجرة غدرة كذبة وهم يحاولون غير ما يظهر (٢) .

(٤) أما ادعاء (حتى) في أن السبب الاساسى في خروج أم المؤمنين رضى الله عنها الى البصرة هو الحقد الذى تركه ارتياب على فى سلوكها رضى الله عنها (حديث الافك) فهذا ادعاء باطل ومردود ، لان عليا رضى الله عنه لم يبد ارتيابا ولن يكون فى سلوك رجل كعلى أن يرتاب فى سيدة مثل عائشة .

فموقف على بالنسبة للسيدة عائشة فى حديث الافك كان موقفا صريحا لم يظهر فيه شك أو ارتياب بالنسبة لها ، ولم يصدر عنه ما يجعل السيدة عائشة تحقد عليه فعند ما سأله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن رأيه فى عائشة أشار عليه بما يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم ويوصله الى براءة عائشة قبل الوحي حيث قال له :

(١) ابن العريى - العواصم من القواصم - ص ١٣٦

(٢) ابن الاثير - ج ٣ ص ٢١٣

(يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كبير ، وسل الجارية تصدقك
 قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بربيره فقال : أى ربيره هل رأيت من
 شىء يربيك ؟ قالت : له ربيره : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا قسطن
 أغصه ، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله) . (١)

أى شىء هنا يدعو الى الحقد ؟ وهو الذى أشار على الرسول بهذا الرأى
 الذى كان من نتيجته أنها ذكرت بخير ونفى عنها سوء .

كما أن قلب السيدة عائشة قد كان مليئا بالايمان وليس به مكان للحقد
 أو الضغينة على مسلم فضلا عن على صاحب الرأى والمكانة والسبق فى الاسلام .

فلو كان فى قلب عائشة مكان للحقد لكان حسان بن ثابت أولى به من على
 ابن أبى طالب ، فيروى أبو الاعلى المودودى فى تفسير سورة النور مدى تقدير السيدة
 عائشة لحسان بن ثابت فيقول (وكانت عائشة رضى الله عنها دوما تبدي عطفها على
 حسان بن ثابت ولا تقبله الا بالاحسان والتواضع وتلقى له الوسادة عندما يدخل
 عليها مع أن حسانا من الذين أذاعوا حديث الافك ولما ذكرها بعض الناس مرة
 بما فعل قالت " انه كان يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وقالت مرة أخرى
 " ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به الا رجوت له الجنة " . (٢)

وبعلق الدكتور ابراهيم شعوط على ذلك فيقول : (فاذا كان هذا هو

(١) صحيح البخارى - ج ٦ ص ١٥١

(٢) المودودى : أبو الاعلى - تفسير سورة النور ص ١٢٤ - بيروت دار الفكر

موقفها من حسان ، الذي خاض مع الخاضعين ، وقالت في شأنه انه كان يدافع عن رسول الله " أفلا يكون تقديرها أكبر لعلى بن أبى طالب ، الذي كان يريد تفریح كعب الرسول واخراجهم من الهم الذي شغله بقوله : " النساء غيرها كسيرات ^(١) ولم يرد طعنا في عائشة بمقدار ما كان يريد ابعاد الحزن عن الرسول صلى الله عليه وسلم) . (٢)

وقد سجلت كتب التاريخ رأى السيدة عائشة في على بصورة صريحة ، فقالت للناس بعد موقعة الجمل - بالنسبة لعلى - يا بنى لا يعتب بعضنا على بعض انه والله ما كان بينى وبين على في القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها - وانه على معتبى لمن الاخيار " فقال على : صدقت وبرت وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والاخرة) . (٣)

(فان قرية متهاققة مثل هذه القرية بعد ما عرفنا معاملتها لحسان بن ثابت وبعد ما عرفنا صفح ابيها عن مسطح بن اثانه أحد أقا ربه الذي كان ينفق عليه من ماله وكان من الخاضعين في حديث الافك ، فحلف أبو بكر الا ينفق عليه من ماله بعد ذلك ، ولكن لما نزل قوله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) . (٤)

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ١٩٧

(٢) د شعوط : ابراهيم - ابا طيل يجب أن تمحى من التاريخ - ص ١٧٠

(٣) ابن الاثير ج ٣ ص ٢٥٨

(٤) سورة النور - آية ٢٢

وسمعتها أبو بكر رضى الله عنه ، فقال (انى لاحب أن يغفر الله لى وأعطى
 مسطحا أكثر مما كان يعطيه) . . . ولا شك - والولد سر أبيه - أنها سمعت قوله
 تعالى الا تحبوا أن يغفر الله لكم (واثرت أن يغفر الله لها بعفوها عن المسىء بدليل
 عفوها عن حسان . (١)

كيف لا تصفح وقلبيها كله مغمم بالعلم والايمان كيف لا تصفح عن ابنائهم
 المؤمنين وهى أمهم المقررة من نبيهم حيث قال حين سئل : (يا رسول الله ، أى
 الناس أحب اليك . . قال : عائشة .) . (٢)

ويرى هشام عن أبيه قال ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة
 ولا بحلال وحرام ولا بشعر ، ولا بحديث العرب ولا بالنسب من عائشة (٣) وكانت
 عائشة : من أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة (٤) ويرى أبو بردة بن أبي موسى عن
 أبيه قال (ما أشكل علينا - أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - حديث قط فسألنا
 عائشة الا وجدنا عندها منه علما) . (٥)

فهل يوجد مكان للحقد فى قلب قد ملئ علما وايمانا . .

اذا لم يبق بعد ذلك الا أن نؤمن دائما ، بأن السيدة عائشة أم المؤمنين
 وسيدة نساء العالمين أبعد ما تكون عما نسب اليها فى هذه الدعوى بالنسبة لعلى
 رضى الله عنه . (٦)

-
- (١) د . شعوط : ابراهيم - ابا طيل يجب أن تحى من التاريخ - ص ١٧١
 (٢) بن ماجه : ابو عبد الله محمد بن يزيد - سنن بن ماجه ج ١ ص ٣٨ بيروت ٣٧٢
 (٣) طبقات الحفاظ للذهبي ط ١ ص ٢٧
 (٤) المصدر السابق
 (٥) المصدر السابق
 (٦) د . شعوط : ابراهيم - ص ١٧١

الفصل الثالث

بعض آراء (حتى) في عصر بني أمية وبني العباس والرد عليها

١

لقد أخذ (حتى) على معاوية عدة أمور منها :

- أولا : حمله الحسن على التنازل
- ثانيا : جعل الخلافة ملكا عضوا بتولية ابنه يزيد

٥٥

(واعتزل في المدينة الى حياة الراحة والمتعة وهو
خطوة اغراء بها ضمان معاوية بأن يقدم له هبة وعطايا
عظيمين ، واشترط الحسن أن يحمل اليه خمسة
ملايين درهم من بيت مال الكوفة) (١٢)

٥٥

ان فيليب حتى حين قرأ ما روته بعض الكتب العربية من اغراء معاوية للحسن

(١٢) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول - ص ١٩٠ - (انظر النسخة العربية
المترجمة ج ١ ص ٢٥٢)

بالمال نظير تنازله عن الخلافة ولم يدلل أن هذه الروايات التي وردت في الكتب التي نقل بعضها لم تكن على درجة وافية من الحقيقة لوجود روايات أخرى بجانبها تناقضها ولم يكن روايتها ممن يشق بهم، فكان من واجبه كباحث أن يدرس المراجع الأخرى التي ذكرت ما يخالف ذلك حتى يصل إلى حقيقة ثابتة .

ونحن نذكر الروايات التي تجاهلها " حتى " لنبيين للقارىء أن ما ذهب إليه (حتى) غير صحيح فنثبت هذه الروايات التي تدل على أن الحسن قد تنازل عن حقه في الخلافة حقنا للدماء لانظير مبلغ من المال يتقاضاه من معاوية .

ومن هذه الأقوال التي تثبت أن الحسن قد تنازل حقنا للدماء هي :

- ١ - ان الحسن أرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة بعده وعلى ألا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه (دم عثمان) . (١)
- ٢ - لما رأى الحسن أن الأمر عظيمه تراق فيه الدماء ورأى اختلاف أهل العراق سلم الأمر إلى معاوية وعاد إلى المدينة . (٢)
- ٣ - وكان الحسن يقول " ما أحببت أن أرى امرأة محمد صلى الله عليه وسلم على أن يراق في ذلك مججمة دم . (٣)

(١) بن الاثير: عزالدين أبو الحسن - أسد الغابة - ج ٢ ص ١٢ دار الشعب القاهرة .

(٢) أسد الغابة ج ٢ ص ٢١١

(٣) أسد الغابة ج ٢ ص ١٤

٤ - أن الحسن قال لعبد الله بن جعفر أنى رأيت رأيا أحب أن تتبعني عليه قلت : ما هو قال : رأيت أن أعمد إلى المدينة فانزلها وأخلى الأمر لمعاوية فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت السبل فقال عبد الله بن جعفر جزاء الله خيرا . (١)

٥ - فلما وافقه أخوه الخسبن على التنازل لمعاوية ، بعد معارضة بسيطة قام الحسن وقال : " يا أيها الناس انى كت أكره الناس لأول هذا الحد بيث وأنا أصلح آخره لدى حق أدبت إليه حقه ، أحق به منى أو حق حدث به صلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم . (٢)

٦ - ويقول ابن الجوزى " ثم بايع الناس الحسن بن على رضى الله عنهما . ثم كره سفك الدماء فتخلى عن الأمر لمعاوية وانخلع وبايعه . (٣)

٧ - ويعلق المستشرق ولها وزن على التنازل ويقول (ولم يكن الحسن يرغب فى الحرب وأن من قواته أربعون ألف رجل يتحمسون للقتال) . (٤)

وهنا ظهرت المعجزة النبوية فى قوله صلى الله عليه وسلم " ابنى هذا سيدى ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمين من المسلمين " . (٥)

-
- (١) ابن حجر العسقلانى - الاصابة - ج ١ ص ٣٣١ ، ويزيد تهذيب التهذيب جزاك الله عن أمة محمد خيرا وأنا معك على هذا الحديث ج ٢ ص ٢٩٩
 (٢) ابن الجوزى : جمال الدين أبوالفرج - تلقيح فهم أهل الأثر - ص ٨٢ القاهرة ١٩٥٥م
 (٣) ابن حجر العسقلانى - تهذيب التهذيب - ج ٢ ص ٣٠٠
 (٤) ولها وزن : يوليوس - الدولة العربية وسقوطها - ترجمة يوسف العشى ص ٨٧ دمشق ١٩٥٦م
 (٥) البخارى - كتاب " فضائل الصحابة " ج ٤ ص ٢١٦

فهذا هو الدافع الذى دفع بالحسن الى التنازل وهو رغبة منه فى حقن دماء المسلمين ، ولم شعث الامة وجمع كلمتها وابعادها عن الفرقة التى تمزق أو اصرها وليس العطاء المادى الذى ظنه (حتى) وغيره من المفرضين أو الناقلين ثم أى شرف أعظم من شرف من سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم " سيدا " فهذا يكفيه فخرا وشرفا من الخلافة .

ولم يكن تنازل الحسن عن الخلافة تخليا عن واجب أو اهمال حق الامة المحمدية أو تركها لغير كفو فهو بتنازله هذا كان يرى فى معاوية الكفو لهذه المسئولية الامين على مصالح الامة كما كان يرى ذلك فى نفسه .

وهذا ما يظهر من تعليق الحافظ بن حجر على حديث (ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فيقول ابن حجر " تساوى بينهم فى الاسلام - وقال فيئتين - ولم يذكر مرجحا لاحدهما اعلاما باستوائهم فى أصل الثواب) . (١)

—•—

(ورغم مناقب معاوية الا أنه لم يكن مفضلا عند كثير
من المؤرخين الذين وصلت كتبهم اليها فقد اعتبروه أول ملك
في الاسلام . . . واتهموه بأنه جعل الخلافة ملكا (أى . .
سيادة دنيوية) (*)

٥٥

ان (حتى) عندما نقل عن ابن خلدون فإنه لم يفهم رأى ابن خلدون في هذا
الموضوع أو فهمه ولكن متجاهل ما قصده ابن خلدون . . تاركا واجبه كباحث يجب عليه
النقل بأمانة حتى يظهر الحق ويذهب الباطل . .

فابن خلدون عندما ذكر هذا نراه يقول بعد ذلك " فقد رأيت كيف صار
الامر الى الملك ، وبقيت معانى الخلافة ، من تحرى الدين ومذاهبه والجري على
ضهاج الحق " . (١)

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول - ١٩٧ (انظر النسخة العربية
المترجمة ص ٢٦٠)
(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٥

وزراه أيضا في مكان آخر من مقدمته نفسها يعلل قيام معاوية بهذا الامر فيقول
 (ان الذي دعا معاوية لا يشار ابنه يزيد بالعهد دون سواء انما هو مراعاة الصلحة
 في اجتماع الناس ، واتفاق اهوائهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى امية
 ونوا امية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصبة قريش ، واهل الملة اجمع ، واهل الغلب
 منهم فآثره بذلك دون غيره بمن يظن أنه أولى بها ، وعدل عن الفاضل الى المفضول
 حرصا على الاتفاق ، واجتماع الاهواء الذي شأنه أهم عند الشارع) . (١) ولكن
 (حتى) تجاهل هذا كله واكتفى بهذه الكلمة فقط محاولا الطعن في خليفة مثل معاوية
 رضى الله عنه وفي الحقيقة أن البعض الذين حاولوا الطعن في معاوية من هذه
 الزاوية ، قد وصفوه بالخروج عن المألوف فاعتبروا تولية معاوية لابنه يزيد الخلافة
 خروجا عن سابقه وانه قد ابتدع بدعة لم يعرفها المسلمون وانه قد قضى على نظام
 الخلافة الاسلامي واستعاض عنه بنظام الملك الكسروي وبفعله هذا قد قام بعملين
 منكرين معا :

الاول : انه عين الخليفة قبل الوفاة .

الثاني : انه لم يختار غير ابنه يزيد مع وجود الصحابة .

وقبل أن نعرف الدوافع التي دفعت بمعاوية لسلوك هذا المسلك نسرى
 أنه من الواجب علينا أن نعرف من هو معاوية ؟؟

ان المنصفين الذين تحدثوا عن معاوية في ضوء العدل والحق يصفونه فسى
 المكان اللائق به :

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠

١ - يقول القاضي ابن العربي " واما معاوية فعمر ولاءه وجمع لها الشامات كلها وأقره عثمان بل انما ولاءه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لانه ولي أخاه يزيد واستخلفه يزيد فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لاجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر وأقره فانظروا الى هذه السلسلة ما أوثق عراها ولن يوتى مثلها أبدا بعدها " . (١)

٢ - ويذكر البلازري " ان النبي صلى الله عليه وسلم ولي معاوية شيئا من علمه قبل ان يوليه أبو بكر وعمر " . (٢)

٣ - ويقول عثمان بن عباس رضي الله عنهما " ما رأيت أحدا أخلق بالملك من معاوية (٣)

٤ - ويروى عنه سعد بن أبي وقاص وهو أحد العشرة (ما رأيت أحد بعد عثمان أقتضى بحق من صاحب هذا الباب يدعى معاوية) . (٤)

٥ - ويروى الامام الترمذي أن عمر بن الخطاب لما عزل عمر بن سعد الانصاري الاوسي عن حمص وولى معاوية مكانه قال الناس : عزل عمر وولى معاوية فقال عمر في خلفه على عمله لا تذكروا معاوية الا بخير فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اهد به " (٥) وعمر كان من الزهاد وقد وصفه عمر ابن الخطاب بأنه نسيج وحده " . (٦)

(١) ابن العربي - العواصم من القواصم - ص ٨١
 (٢) البلازري - فتح البلدان - ص ٤٨
 (٣) الطبري - ج ٤ ص ٣٣٧
 (٤) ابن كثير ج ٨ ص ١٣٣
 (٥) ابن العربي ص ٨٣ الهامش
 (٦) المصدر السابق

٦ - ويقول الامام ابن تيمية عن معاوية (كانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة وكانت رعيته يحبونه وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين يبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم " . (١)

٧ - ان معاوية رضى الله عنه بعد من رواية الحديث وقد روى عنه من الصحابة طائفة وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق (٢) . فقد ذكر ابن حزم أنه روى مائة حديث وثلاثة وستين حديثا . (٣)

ونحن عندما نجد أحدا من الصحابة راوية لحديث رسول الله لانحتاج لكثير من الجهد في اثبات عدالته وبلوغه صفة الكمال ، وانه قد بلغ حدا من الثقة التي لا تقبل شكاً ولا يليق معها الجدل في شأن رواية الحديث وخاصة اذا كانوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٤)

٨ - ويرى الازعى فيقول عن معاوية " ادركت خلافة معاوية جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتزعوا يدا من طاعة ولا فارقوا جماعة وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية . (٥)

٩ - ويصفه أبو الدرداء لاهل الشام فيقول (ما رأيت أحدا أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أممكم هذا ، يعنى معاوية) (٦)

- (١) منهاج السنة ج ٣ ص ١٨٩
 (٢) د . شعوط - ابا طيب يجب أن تحي من التاريخ الاسلامي - ص ٢٣٤
 (٣) مخطوط أسماء الصحابة والرواة وبالكامل واحد من العدد - بن حزم الظاهري رقم الأيداء ٢٥٤ دار الكتب المصرية ص ١٢
 (٤) د . شعوط - ص ٢٣٤
 (٥) ابن عبد البر - الاستيعاب ج ٣ ص ١٤٢ القاهرة - دار الشعب
 (٦) احمد بن عبد الحليم - منهاج السنة ج ٣ ص ١٨٥ - القاهرة ١٣٢١

١٠- ويروي ابن تيمية : قال كنا عند الاعشى فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله : فقال الاعشى : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا في حله ؟ قال لا والله في عدله ؟ . (١)

١١- ويقول ابن حجر الهيثمي عن معاوية (فوجبت محبته - معاوية - له هذه الامور التي اتصف بها بالاجماع منها شرف الاسلام وشرف الصحبة وشرف النسب وشرف مصاهرته له صلى الله عليه وسلم المستلزمة لمرافقته له صلى الله عليه وسلم ولكنه معه فيها وشرف العلم والحلم والامارة ثم الخلافة بواحدة من هذه تتأكد المحبة لاهلها فكيف اذا اجتمعت) . (٢)

١٢- ويقول ابن حجر أيضا (وقد شكى أهل الاقطار كثيرا من ولاتهم الى عمر وعثمان فعزلا عنهم من شكوهم وان جلت مراتبهم وأما معاوية فأقام في امارته على دمشق والشام هذه المدة الطويلة فلم يشك أحد منه ولا اتهمه أحد بجور ولا مظلمة) . (٣)

هذا معاوية وهذا وضعه بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين معاصريه تقدير وثقة واعجاب فهل يجدر بعأن يحيد عن الصواب ؟

أما عن اختياره خليفة له قبل وفاته فنقول انما الذي فعله من تعيين الخليفة

(١) المصدر السابق

(٢) ابن حجر الهيثمي : تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بمثالب معاوية

ابن أبي سفيان - مخطوط رقم ٢٥٠ ايداع مكتبة الجامعة بمكة ق ٣

(٣) المصدر السابق ق ١٢

قبل الوفاة انما فعله وهو اقتداء بما فعل أبو بكر من اختيار الخليفة للمسلمين قبل وفاته . وبما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قيل له اعهد بالخلافة فقال : (ان اعهد فقد عهد من هو خير مني وان أترك فقد ترك من هو خير مني) وانما فعل ذلك أبو بكر وعمر لعلمهما انهما مسئولان أمام الله عن اختيار خليفة المسلمين قبل وفاتهم .

وكذلك فعل معاوية خشية أن تقع الفتنة بعد وفاته في اختيار من يخلفه فيتصدع بنيان الدولة وتتفرق وحدة الأمة كما حدث بعد وفاة عثمان .

انما الذي فعله من تعيين الخليفة قبل الوفاة انما فعله بقوة ايمانه وصدق سريرته ولقد كان لديه الدافع لذلك وما يجيز له ذلك . . فلو أردنا أن نعرف ما هو الدافع الذي دفع بمعاوية للتعيين قبل وفاته ، وهل كان له دليل يعتمد عليه ، لتعيين خليفة للمسلمين قبل وفاته ، لوجدنا أن الدافع والدليل موجودان ، وليس معاوية ذلك الذي يتخلى أو يجحد ، فالدافع الذي دفع بمعاوية الى اختيار خليفة وتعيينه نفس حياته هو قوة ايمان معاوية وحرصه الشديد على هذه الأمة ، وانه وجد نفسه مكلفا بها فهو وليهم ، والامين على مصالحهم ، فان كان هذا في حياته فلا بد من أن يسأل عنه حتى بعد وفاته ، ولا يسد له أن يطمئن على أنفسهم . . وان يقوم على حفظ مصالحهم .

فمعاوية كان يرى ذلك كله من واجبه ، فخاف أن يتخلى عن شيء منه وخشى على الأمة أن تقع في فتنة وانفراق كلمة ، مثلما حدث بعد عثمان وكان يريد أن يضيع حلا لمسألة الخلافة وایجاد سلطة دائمة للاسلام وصنيعة هذا أبعد الأمة عن

شر الاختلاف . فهل ينكر عليه ذلك ؟ . ان السابقين لم يضعوا قانونا لانتخاب الخلفاء ولم يرسوا قاعدة ثابتة يلتزم بها المسلمون ، فليس في تصرف معاوية خروج على المألوف ولا مجاوزة لقاعدة . لكنه اجتهد ترسم فيه طريق من سبقوه وذلك ما فعله أبو بكر حين اختار عمر للخلافة من بعده بمحض من الصحابة فأجازوه ولم ينكروه . وهو دليله في عمله هذا . فهم يعلمون أن طاعة الخليفة واجبة عليهم فيما يبراه صالحا لهم فهم راضون بأبي بكر راضون بمن اختاره لهم من بعده وهم أيضا رضوا بمعاوية وثقوا به ، فلا بد أن يتقوا فيما ينظر لهم من مصلحة .

ونعتمد في تأييد وجهة نظرنا هذه على ما أورده بن خلدون في مقدمته — حيث قال (ولا يتهم الامام في هذا الامر ان عهد الى ابيه أو ابنه ، لانه مأون على النظر لهم في حياته ، فأولى الا يحتمل فيها تبعة بعد مائة) .

ثم يقول : وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدايته وصحته مانعة من سوى ذلك ، وحضور أكبر الصحابة لذلك ، وسكوتهم عنه ، دليل على انتفاء الريب عنه فليسوا ممن تأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذهم الحزبة في قبول الحق فانهم — كلهم — أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه) . (١)

ولعل ما حمل معاوية من تولية ابنه يزيد انه لم يقدمه على غيره لمجرد أنه ابنه وان عاطفة الابوة هي التي دفعتة الى ذلك وانما اختاره لما عهد فيه من كفاية وفضل وعدل فقد روى عنه أنه قال في إحدى خطبه عندبيعة يزيد (اللهم ان كنت

انما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه ، وان كنت انما حملتني
على ذلك حب الولد لولده ، وانه ليس بأهل فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك . (١)

ولماذا لم يختر معاوية الا يزيدا ولم يختر أحدا من الصحابة فنقول أن هذا
لا ينقص صحةبيعة يزيد فقد قال الفقهاء في ذلك وأجازوابيعة المفضول مع وجود
الافضل . (٢)

—•—

(١) العصامي : عبد الملك بن حسن : سخط النجوم العوالي ج ٣ ص ٤٥ المكتبة
السلفية القاهرة .
(٢) ابن العربي ص ٢١١

أما الغربة التي افتراها (حتى) على عبد الملك بن مروان فهي أنه :

(قد ابتنى في بيت المقدس قبة الصخرة
وكان غرضه أن يحول إليها أفواج الحجاج من
مكة والتي استعربها منافسة بن الزبير) (*)

٥٥

قبل أن أبدأ في الرد على (حتى) رأيت أن أبين من هو عبد الملك بن مروان في أوثق المراجع وعند أعدل الرواة .

- ١ - قيل لابن عمر من نسأل بعدكم قال : ان لمروان ابنا فقيها فسلوه . (١)
 - ٢ - وقال عنه ابن عمر أيضا " ولد الناس أبناء وولد مروان أبا " . (٢)
 - ٣ - ويصفه صاحب فوات الوفيات أنه كان غابدا ناسكا . (٣)
 - ٤ - ويدعو أهل الأثر أنه من أفقه أهل المدينة فقال أبو الزباد " فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن زويب وعبد الملك بن مروان " (٤)
-
- (*) حتى : تاريخ العرب المطول - ٢٢٠ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٨)
(١) ابن حجر - تهذيب التهذيب - ج ٦ ص ٤٢٢
(٢) الكشي - محمد بن شاكر - فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٢ بيروت ١٩٧٣ ، ابن كثير ج ١ ص ٦٢
(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١
(٤) ابن الأثير ج ٤ ص ٥٢٠ ، فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١

٥ - وقال جوير بن حازم ، سمعت نافعا يقول " لقد رأيت المدينة وما بها أشد
تشميرا ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك " وقال " ولا أطول صلاة
ولا أطلب للعلم " . (١)

٦ - ويروي ابن حجر في تهذيب التهذيب أيضا عن اسماعيل بن خالد قال :
" ما جالست أحدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فأنى ما ذاكرته
حديثا الا زادنى فيه " . (٢)

٧ - وهذا مالك (٣) رضى الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان فى موطنه
وأبرزه فى جملة قواعد الشريعة . (٤)

هذا هو عبد الملك كما تراه أوثق المراجع وأعدل الرواة .

ثم بعد ذلك نرد على افتراءات (حتى) ونقول :

ان (حتى) فى فريته هذه قد اعتمد على ما انفرد به اليعقوبى (٥) من هذه
الرواية فلهذا ذكرها أحدا غيره ، فلا ينبغى الاخذ به لما عرف من تشيع هذا الكاتب
وما عرف من الخصومة القائمة بين أهل السنة والشيعة .

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ٥٢٠ .

(٢) ابن كثير ج ٩ ص ٦٢ .

(٣) هو مالك بن أنس بن مالك الاصبهى الحميرى (٩٣-١٧٩ هـ) أمام دار الهجره
واليه تنسب المالكية (انظر الاعلام ج ٦ ص ١٢٨)

(٤) موطأ مالك ج ٢ ص ١١٦ ص ١٤٦ - القاهرة ١٣٧٠

(٥) اليعقوبى : احمد بن اسحاق - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٦١ بيروت ١٣٧٩

تلك التهمة التافهة أملاها على اليعقوبى حقه على بنى أمية وصفة خاصة -
على عبد الملك لان اليعقوبى شيعى متطرف يعمل دائما على طمس كل مكرومة لبنى أمية (١)

وانما اعتبرنا ما نقله (حتى) فى هذه القضية فرية لانه من مصدر غير موثوق
به وكان جد يربه أن يرفضها لمجرد أن ناقلها هو اليعقوبى ولكن رغبته فى تشويه
سمعة عبد الملك بن مروان هى التى جعلته يركز على هذه الرواية دون تحقيق .

ومع ذلك فان أحد الذين تأثروا بالمستشرقين فى كتبهم وهو الدكتور
عبد المنعم ماجد فى هذه الرواية يقول (ونحن لا نستطيع أن نقبل الرواية القائلة
أن عبد الملك قصد من بناء مسجد الصخرة جعل الناس ترحح اليه وضعهم من الحج الى
مكة من أجل ابن الزبير فليس لدينا أى اشارة عن ذلك فى سير عبد الملك ، ولا سيما أنه
كان لبنى أمية أيام ابن الزبير لواء يحجون فى ظله) . (٢)

ويذكر المقدسى أن سبب بناء عبد الملك لمسجد الصخرة هذه ألا يترك
المسلمين يسيرون ببناء كنيسة القيامة . (٣)

فاتهام (حتى) لعبد الملك بتحويل الحجيج الى بيت المقدس ، يودى الى
تكفير عبد الملك لانه صرف الناس عن البيت الى مكان آخر كما أراد أن يصنع أبرهسة ،
ومع ذلك لم يذكر أحد من المسلمين أن عبد الملك خرج عن الاسلام واذا كانت قبسة

(١) د . ابراهيم شعوط - اباطيل يجب أن تحصى من التاريخ - ص ٣١٣

(٢) د . ماجد : عبد المنعم - التاريخ السياسى للدولة العربية - ج ٢ ص ١٨٩

انظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٠٤

(٣) المقدسى : ابو عبد الله محمد بن احمد - أحسن التقاسيم - هامش ص ١٦٨ - ١٩٠٦

الصخرة تحل محل الكعبة فأين الصفا والمروة الذي لا يتم الحج الا بالسعى بينهما •
وأين عرفان الذي قال فيه المصطفى (الحج عرفة) •

٥٥

ونجد بعد ذلك اتهام (حتى) لعبد الملك وابنيه الوليد وهشام في صفحة
٢٢٧ بتناول الخمر حيث يقول عن عبد الملك : (٣)

(أما عبد الملك فيشرب الخمر في الشهر
مرة بكثرة يجعله لا يفيق نفسه الا باستخدام
المغنيات)
ويقول عن الوليد :
(فكان فيما روى يشرب يوما ويدع يوما)
وعن هشام :
(واعتاد هشام الشرب يوم الجمعة بعد الصلاة)

٥٥

فواضح أن هذه فرية مردودة عليه لاننا لو نظرنا الى مرجع (حتى) الذي
اعتمد عليه لوجدناه أبو الفرج الاصفهاني في كتابه " الاغانى " الذي قال فيه انه

(*) حتى - ص ٢٢٧ (النسخة العربية المترجمة ص ٢٩٥)

كتاب يتوخى ما فيه روثق يروق الناظر ويلهى السامع فما دام هذا هو شأن صاحب
الاغاني وفيليب حتى يعرفه هذا الطابع فما كان ينبغي أن يجعلها قضية ويزكوها
هو في كتابه لتشيع بين قراء هذا الكتاب سواء باللغة العربية أو الانجليزية ، ويكفينا
هذا ردا على حتى في هذه القضية ومن هنا تنهار كل اتهاماته في موضوع شرب الخمر
الذى نجاه على عبد الملك ، والوليد ، وهشام ، لان المصدر الوحيد الذى اعتمد
عليه وهو نفس المصدر الذى يعلم أن صاحبه لا يقصد منه ذكر الحقائق التاريخية
انما يقصد أن يذكر ما فيه من روثق يروق الناظر ويلهى السامع .

يذكر (حتى) في معرض حديثه عن الاسطول الاسلامي في عهد معاوية بن ابي سفيان فيقول :

(وليس هناك مجال للشك في أن بحارة هذا الاسطول كانوا من الشاميين اليونانيين الذين مارسوا ركوب البحر . أما اعراب الحجاز دعمة الاسلام ، فقد كان لديهم الماه سيط بركوب البحر) (١)

٥٥

هذه القضية الذي يذكر فيها عروبة أهل الشام تقتضينا أن نرد على (حتى) بأن أهل الشام كانوا من الجنس العربي منذ القدم وكانت تقوم في بلاد الشام دولة عربية من قبل الاسلام وهي دولة الغساسنة وهؤلاء كان لهم علم كبير بأمر البحر ، وأن دخولهم في سلطان الدولة اليونانية أو البيزنطية لا يخرجهم عن جنسيتهم العربية المعروفة ، ويكفينا لاثبات عروبة أهل الشام وعلمهم بالبحر ما ذكره جوستاف لوبون حيث قال (انه لا أحد ينكر مهارة عرب الشام في تجارة البحر الأبيض) (١)

(١) حتى - تاريخ العرب المطول ص ١٩٤ - انظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٥٦

(١) جوستاف لوبون - ص ٤٦٥

أما لو كان قصد من ذلك هو تقسيم أهل سوريا وجعلهم أرواما وعربا وخص معرفة أمور البحر بالأروام وانكرها على العرب السوريين ، فكفانا أن نقول أنه لأحد ينكر مهارة بحر الشام في تجارة البحر الأبيض وانهم قاموا خير قيام بعمل الوسطاء بين تجار الشرق والجنوب وبين تجار أوروبا في الشمال ، كما أن أهل سوريا بحكم الموقع الجغرافي على البحر المتوسط وامتداد السواحل على هذا البحر بحكم الطبيعة ينشئ عندهم العلم بالبحر وطريقة استغلاله في استخراج ما فيه من ثروات يمكن استعماله للتجارة والاتصال بالبلاد الواقعة على هذا البحر فهم بحق سادة البحر الأبيض المتوسط . (١)

أما الفرية الأخرى وهي دعواه بأن أهل الحجاز لم يكن لديهم العلم بشئون البحر ويدعى كما ادعى غيره أنهم لا يعرفون البحر ولا علاقة لهم به ، وأن سفنهم هي الجمال فقط وأن بحارهم هي الرمال . وقالوا أن الجمل هو سفينة الصحراء ، ومن هذه العبارة استنتج المستشرقون منها وفهموا أن العرب لا يعرفون شيئا عن السفن ولا ركوب البحر . . . والحقيقة أن تشبيه العرب للجمل بالسفينة لا يعنى عدم معرفتهم بالبحار بل هو نفسه دليل على المعرفة الخفة لأنهم لو لم يعرفوا قيمة السفينة ماشبهوها الجمل بها فتشبيهم إياه بها دليل على إدراك قيمتها وهو بالتالى دليل على معرفتهم بالبحر وخبرتهم فيه ، نضيف إلى ذلك الموقع الجغرافى للبلاد الواقعة على البحر وأن امتداد ساحل البحر الأحمر من شمال الجزيرة إلى جنوبها يزيد هم معرفة بعلم البحار وأن العرب في الجزيرة العربية كانوا على علمهم بأمور البحار فسى سفرياتهم وفي معاشهم ومنافعهم المادية . ونجد في القرآن الكريم آيات لا حصر لها فسى

فى ذكر البحر وفضل الله على العرب فى تسخير البحر لهم لياكلوا منه لحما طريفا
ويستخرجوا منه حلية يلبسونها •

كما أن القرآن الكريم الذى أنزله الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - يخاطب
به العرب الذين يعيشون فى الجزيرة العربية قد ذكر البحر ومنافعه وما فيه من
خيرات فى سورة المكية والمدنية مخاطبا بها المؤمنين ودهى أن ذكر هذه الآيات
التي اشتملت على ذكر البحر تؤكد لنا علم هؤلاء المخاطبين به وانتفاعهم منه •

فاننا نجد القرآن الكريم قد أشار فى السور المكية والمدنية على السواء الى معارف
العرب عن البحر والسفن •• فقال تعالى :

" قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرط وخفية لئن أنجا منا
من هذه لنكونن من الشاكرين " (١) (مكية)

" وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، وقد
فصلنا الآيات لقوم يعلمون " (٢) (مكية)

" هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم برىح
طيبة وفرحوا بها جاءتها ربح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط
بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجبتنا من هذا لنكونن من الشاكرين " (٣) (مكية)

(١) سورة الانعام - آية ٦٣

(٢) سورة الانعام - آية ٦٧

(٣) سورة يونس - آية ٢٢

" الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به ———
الشمات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار " (١) (مكية)

" وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريها وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " (٢) (مكية)

" ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ولتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا " (٣)
(مكية)

" وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم الى البر
أعرضتم وكان الانسان كفورا " (٤) (مكية)

" ان يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
أله مع الله ، تعالى الله عما يشركون " (٥) (مكية)

" ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليربكم من آياته " (٦) (مكية)
" ومن آياته الجوارى فى البحر كالأعلام " (٧) (مكية)

(١) سورة ابراهيم — آية ٣١ — ٣٢

(٢) سورة النحل — آية ١٤

(٣) سورة الاسراء — آية ٦٦

(٤) سورة الاسراء — آية ٦٧

(٥) سورة النمل — آية ٦٣

(٦) سورة لقمان — آية ٣١

(٧) سورة الشورى — آية ٣٢ — ٣٤

" الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون " (١) (مكية)

" وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح أجاج ومن
كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلبة تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون " (٢) (مكية)

" ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى
البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم
يعقلون " (٣) (مدنية)

" ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك لتجرى فى البحر بأمره ويمسك
السماء أن تقع على الارض إلا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم " (٤) (مدنية)

" ولما الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام " (٥) (مدنية)

فهذه الآيات كلها قد نزلت فى أهل الحجاز وما نزلت فيهم الا لتذكروهم بنعمة
الله عز وجل عليهم ولولا انهم يعرفون البحر ولهم فيه طول باع ومصالح تعود عليهم

-
- | | |
|-------|-----------------------|
| (١) | سورة الطور - آية ٦ |
| (٢) | سورة فاطر - آية ١٢ |
| (٣) | سورة البقرة - آية ١٦٤ |
| (٤) | سورة الحج - آية ٦٥ |
| (٥) | سورة الرحمن - آية ٢٤ |

بالنفع والخير العميم لما ذكرهم بفضل البحر عليهم ولكن ما كان ذلك الا لمعرفةهم به ولحاجاتهم الماسة اليه ولا تصالهم الدائم به بحكم الموقع الجغرافي واحاطة البحر بالجزيرة العربية من نواحيها الشرقية والجنوبية والغربية •

وهذه الايات السالفة لذكر هي التي تخص أهل الحجاز فقط بينما يوجد الكثير الذى فيه لفظ بحر ولكن لم أذكرها لانها لا تخص أهل الحجاز ولكن لو لم يكن أهل الحجاز يعرفون البحر لما قص الله عليهم قصص الاقوام الاخرين الذين لهم علاقة بالبحر •

فمن هذه الايات الشريفة يتضح لنا مدى علاقة أهل الحجاز ومكة بالبحر وقوة صلاتهم وغزارة معرفتهم به •

ويقول الدكتور جواد على فى هذا الصدد : ولجزيرة العرب سواحل طويلة تحيط بها من جميع جوانبها الثلاثة ••• وقد عرف أهل السواحل البحر وعركوه ، وعملوا على استغلال ثرواته قدر طاقاتهم ، وتعاملوا مع أهل السفن الذين كانوا يقصدونها من مسافات بعيدة وركب جميع منهم السفن للتجار مع السواحل المقابلة لهم فباعوا فى أسواقها واشتروا • (١)

وفى الواقع أن مكة بالذات كان لها عظيم صلة بأمر البحر وبأهله فقد كان الحجاز جسوا يربط بلاد الشام وحوض البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال •• والسواحل المطلة على المحيط الهندى وكان لذلك أعظم الاثر فى قيام مدن تجارية

بالحجاز تعتبر محطات تجارية واقعة على هذا الطريق البرى وفى قيام موانى تجارية
 بالحجاز مثل الشعبية (٣) فقد كان مرفأ أهل مكة . (١)

كما كان أهل مكة يقومون بدور الخفارة على التجارة البحرية المتجهة إلى
 الشمال (٢) فكانت لهم علاقة مع أهل الشمال من غير العرب فقد سعى أهل بيزنطة
 للاستعانة بالقرشيين كوسطاء للتجارة الهندية . (٣)

وكانت مكة ذاتها تسعى للحصول على ضمانات لتأمين تجارتها البحرية مع
 الدول المجاورة لبلاد العرب (٤) وقد نجحوا فى ذلك مع بيزنطة (٥) وكانت على علاقة
 تجارية بحرية مع أهل مصر من قبل الاسلام . (٦)

وليست هذه العلاقات البحرية الحجازية قاصرة على أهل الشمال ، فقد كانت
 لمكة وأهلها علاقات بحرية قبل الاسلام مع أهل الحبشة أيضا .

فكانت مكة على اتصال وثيق ببلاد الحبشة ويدل على ذلك وجود طائفة مسن
 الصناعات تعرف بالاحابيش أو عبدان مكة . (٧)

(٣) الشعبية : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز والشعبية كان مرفأ مكة ومرسى
 سفنها قبل جدة . وقال ابن السكيت : الشعبية قرية على شاطئ البحر على طريق
 اليمن (ياقوت الحموى - معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥١ بيروت ١٩٥٧ م)

(١) الأزرقى : ابوالوليد محمد بن عبد الله - أخبار مكة ج ١ ص ١٠١ القاهرة ١٣٥٢ هـ
 جواد على - المفصل ج ٧ ص ٢٥٩

(٢) زيدان : جورجى - العرب قبل الاسلام ص ١٨٠ دار الهلال القاهرة

(٣) سالم : عبد العزيز - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٢٤ الاسكندرية ١٣٩٣

(٤) المصدر السابق ص ٢٢٤

(٥) المصدر السابق

(٦) المقرئى - الخطط - ج ٢ ص ٢٩

(٧) عبد العزيز سالم ص ٢٢٣

ولو أن البعض ينكر أن الاحباش كانوا من أهل الحبشة ، إلا أن المستشرق
اليسوعي الأب لمانس يؤكد أنهم من الاحباش . (١)

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى الحليس بن علقمة وهو سيد
الاحباش وقد أرسلته قريش للتفاوض مع الرسول يوم الحديبية قال (ان هذا من قوم
يتألهون) - أى يتعبدون - ذكر ذلك الامام الطبري في هامشه . (٢) وهذا يعنى
أنه من غير بقية القوم . أى قريش .

وعن الاحباش عرف أهل الحجاز أيضا بعض الادوية . (٣)

واننا نلاحظ أن أثر هذه العلاقات الحبشية القرشية قد تجلى في الهجرة
الى الحبشة ، فالمسلمون عندما اضطهدوا من قبل أهلهم الذين لهصدقوا النسبى
الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم الا أن لجأوا الى الحبشة . . فلماذا لم يلجأ
أولئك العرب الا الى الحبشة ؟ . . ان تصرفهم هذا يعنى أنهم ما أقدموا على
الهجرة الى الحبشة الا وهم عارفون سبلها والطرق المؤدية اليها فهم لم يذهبوا الى
بلد يجهلونه ولكن لابد أن تكون لهم به علاقات حسنة يستطيعون بواسطتها أن يهبثوا
لانفسهم جوا هادئا أيضا فيه . . كما كانوا يعرفون حالة الامن فيها وعدالة ملكها
ولذلك نصحهم الرسول بقوله (لو خرجتم الى أرض الحبشة فإنها بها ملكا لا يظلم
عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا) . (٤)

- (١) د . العبادى : عبد الحميد - مجلة كلية الاداب عدد مايو ١٩٥٢ مجلد ١ ج ١ ص ٩٥
(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠ ، تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٢٨
(٣) البازرى : أبو الحسن احمد بن يحيى - انساب الاشراف ج ١ ص ٤٤ القاهرة ١٩٥٩ م
(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٠

ولو لم يكن لاهل الحجاز عزيز صلة باهل الحبشة ، وعظيم قدر عند أهلها
من الناحية الاقتصادية لما تجرأ القرشيون على تبليغ التهديدات للنجاشي بتسليمهم
اللاجئين (المهاجرين) (١)

فأهل الحجاز كانوا على صلة دائمة بالبحر وأهله وكانوا أهل بحر وتجار بحر
والا لما كانت هذه العلاقات البحرية البيزنطية القرشية الحبشية القرشية . . لو لم
يكن لاهل الحجاز كبير الملم بأمور البحر لما كان النصر المؤزر في معركة ذات الصواري
التي حصلت في عهد عثمان وكان معظم جندها من الصحابة من مهاجرين وأنصار
أى من أهل الحجاز .

أما الاقوال التي تذكر أن عرب الحجاز كانوا يخافون البحر معتمدين على تردد
عمر بن الخطاب في بادىء الامر في فتح مصر فليس لها أصل يعتمد عليه . . لان عمر لم
يكن يخاف البحر بل كان التردد بسبب رغبته في دعم الجيش الاسلامي في بلاد الشام
لمحاربة الروم فخشى عمر أن يوزع قوة المسلمين في جبهتين بعيدتين في وقت
واحد . (٢)

أما رواية ابن خلدون التي ذكرها على لسان عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب
يوصف البحر فليس لها ما يؤيدها من الواقع وخاصة بعدما سردنا من الأدلة من آيات
القرآن الكريم وآراء بعض من المؤرخين والجغرافيين ومما نلاحظه أن عمر بن الخطاب
لم يكن بحاجة الى من يعلمه بشئون البحر وقد كان سفيرا لقريش في الجاهلية يذهب

(١) سرور : جمال الدين - الحياة السياسية في الدولة العربية ص ٤٧

(٢) عثمان : حسين - البحر الاحمر كطريق تجاري في عهد البيزنطيين والعرب

والماليك ص ٦٨ القاهرة ١٣٥٨

الى الشام واليمن والحبشة مارا بالبحار المختلفة • كما أنه شارك في غزوة تبوك حيث
عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سكان خليج العقبة صلحا •

ولو كان عمر يخاف البحر لما طلب من عمرو بن العاص بعد الفتح إعادة فتح
القناة القديمة التي كانت تصل القلزم البحر الاحمر - بالنيل لارسال القمح
الى الحجاز (١) ، فعمر هو اول من حمل الطعام في السفن من البحر •

وهنا أيضا يسعفنا " بروكلمان " الذي نرد على افتراءاته بما يؤيد رغبة عمر
في فتح مصر وعلمه ببحارها وانهارها ، فقال : (بعث عمر بالزبير ، أحد أصحاب
رسول الله المقدمين - على رأس قوة مؤلفة من خمسة آلاف رجل ابتغا " نجدة عمرو) (٢)

—•—

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٨٢

(٢) بروكلمان ص ١٠٠



أما عن الدولة (العباسية) فيذكر (حتى) في حديثه عن البرامكة وقصة العباسة أخت الرشيد وزوجها الصوري من جعفر البرمكي ، ليحل له النظر وما أسفر عنه الزواج من انجاب طفل دون علم الرشيد ويجعل (حتى) هذه القصة سببا من أسباب النكبة فيقول :

(والسبب الذي يذكره المؤرخون عادة أن الخليفة الرشيد سمح لجعفر ، باعتباره نديما له ، بأن يتزوج اخته المفضلة العباسة دون أن يمسه ، ولكن الرشيد اكتشف بعد ذلك عندما حج أن العباسة قد ولدت سرا من جعفر غلاما وانها أخفته عند حواضن في مكة) . (*)

٥٥

وللرد على هذه الفرية - ونقول فرية لأنه اشترك مع المفترين في شروبيجها - دون التحقق في مدى صحتها - نقول :

(*) حتى : فيليب - تاريخ العرب المطول ص ٢٩٦ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٢٢)

ان قصة العباسية وزواجها من جعفر قد لاقت رواجا في مجال الادب الرخيص وقد جعل كتاب القصة منها أساسا لقصصهم ومنهلا يستقون منه الخيال لكتابة القصص الغرامية الخرافية التي لا أساس لها من الصحة . . لا فرق بين عربى ومستشرق فنرى جورجى زيدان يكتب بالعربية في كتابه (العباسية) ولا هارب بالفرنسية وفون هامار بالالمانية . (١)

وفي الواقع أن نكبة البرامكة قد أذهلت الناس خاصة أن الرشيد لم يذكر لها سببا حتى مات ودفن سره معه ، فهو القائل " لو أعلم أن قبيصى يعلم ذلك لأحرقتة " (٢)

فالسبب الرئيسى لنكبة البرامكة لم يستطع أحد أن يعرف حقيقته الى الوقت الحاضر . . وكل ما ذكر من أسباب ليس الا توهمات ، وتوقعات ، طرأت لدى البعض فأسند تلك الحادثة الى تلك التوقعات ، ويقول د . حسن الباشا في ذلك " والاسباب المباشرة لهذا التحول وتلك النكبة غير معروفة على وجه التحقيق ، كما أن دوافعه الكامنة أو الاسباب غير المباشرة وتفسيراتها ذكرت فيها آراء مختلفة (٣) بل أن معظم الذين ذكروا هذه القصة لم يؤكدوا صحتها مثل : الطبرى (فنراه يؤكد الاختلاف فى صحتها (٤) ويقول ابن كثير " ومن العلماء من أنكروا ذلك " (٥) وكذلك بعض المؤرخين الذين يعرفون العراق وأخباره لقربهم من عهد الرشيد لا ذكر لها فى كتبهم مثل الدينورى . (٦)

(١) عبد الله غان : محمد - تراجم اسلامية - ص ٢٠ - هامش الكتاب القاهرة ١٩٥٠ هـ

(٢) ابن كثير ج ١٠ ص ١٨٩

(٣) الباشا : حسن - دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٣٢ القاهرة ١٩٧٥ م

(٤) الطبرى ج ٨ ص ٢٨٧ - تاريخ الطبرى .

(٥) ابن كثير - البداية والنهاية - ج ١٠ ص ١٨٩

(٦) الدينورى - الامامة والسياسة - ج ٢ ص ١٩٩ القاهرة ١٣٨٨ هـ .

ويقول الجهشيارى " قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان : سألت مسرور الكبير وهو الذى قتل جعفر بيده بأمر من الرشيد - أيام التوكل وكان قد عمر اليها ومات فيها ، عن سبب قتل الرشيد لجعفر وابقاع بالبرامكة فقال كأنك تريد ما تقول العامة فيما ادعوه من أمر المرأة ، فقلت له ما أردت غيره فقال : لا والله ما لشيء من هذا أصل " .

وأبطلها ابن خلدون حيث قال : " انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية " . (٢)

ويروى الجاحظ " ان مسرور الخادم قال : (أشهد بالله لكت من الرشيد وهو متعلق بإستار الكعبة بحيث يمس ثوبى ثوبه ، وهو يقول فى مناجاته ربه " اللهم انى استخرتك فى قتل جعفر بن يحيى " ثم قتله بعد خمس سنين أو ستة " . (٣)

وفى العقد الفريد أن الرشيد شك فى البرامكة لفرية ما ، وكان قتلهم بعد ست سنوات من ذلك اليوم . (٤)

وذكر د . شاكرو مصطفى " ان النكبة لم تكن بسبب ثورة طائفية ، ولكن اصرار الرشيد عليها منذ سنة ١٨٧ الى سنة ١٩٣ لا يدع مجالاً لشل هذا الفرض . فهم لم

-
- (١) الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن موسى - الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٣٥٧
 - (٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥
 - (٣) الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر - التاج فى اخلاق الملوك ص ٦٦ القاهرة ١٣١٢
 - (٤) ابن عدي ربه : احمد الاندلسى - العقد الفريد - ج ٣ ص ١٦٣ - بيروت دار الشروق .

يقتلوا جميعا فلم يقتل جعفر فقط ، وقد بقي منهم ومن أنصارهم في السجون حتى موت الرشيد فلو كان الأمر نزوات نفسية لسكنت هذه النزوات في الست السنوات التي تلت النكبة . (١)

فلو كان سبب القتل تدنيس شرف وهتك عرض لما انتظر الرشيد هذه الفترة التي تتراوح بين خمس سنوات وبين ست . . . وكذلك أنكرها المحدثون من المؤرخين مثل محمد عبد الله غان حيث يرجع النكبة الى استئثار البرامكة بكل سلطان في الدولة ولا نراه يذكر شيئا عن قصة العباسة . . (٢)

واننا نقف مع (فيليب حتى) ومن سار في ركابه فنقول أن هذه التهمة الخاصة بنكبة البرامكة عن طريق زواج العباسة واتصالها بجعفر سرا دون علم الرشيد قد ذكرت في بعض المراجع العربية نقلا عن روايات غير موثوق بها وقد أنكرها بصورة قاطعة عدد كبير من المراجع والمصادر العربية الموثوقة ، فكاننا لزاما على (حتى) وهو يكتب بطريقة العلمية الحديثة أن يستوعب ما قيل في المراجع العربية حتى يمكن معرفة الحقيقة في هذه القضية .

لكنه اعتمد على روايات لا أصل لها ، ورغبة منه في التشنيع على المسلمين والاساءة الى الاسلام في شخص خليفة المسلمين هارون الرشيد .

ومن أجل ذلك نحمله مسؤولية نشر هذه الفرية باعتباره يتحمل وزر نشرها دون التحقق من صحتها .

(١) د . مصطفى : شاکر - دولة بني العباس ج١ ص ٤٦٦

(٢) محمد عبد الله غان - تراجم اسلامية ص ٢٤

هذا الذى ذكرناه يدحض هذه الفرية من الناحية النقلية . . . ولو نظرنا الى
 المسألة من زاوية العقل والمنطق السليم ، لرأيناها متنافية مع الواقع والرشد الرجل
 الفاضل الصالح الذى ذكر الرواه صلاحه وقوة ايمانه وانه كان يصلى فى كل يوم مائة
 ركعة الى أن مات . . . ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ويحج عاما ، ويغزو
 عاما . . . والرشد الورع المتمسك بدينه والعالم - الفقيه - ذو الصبغة الفاضلة
 من اهل العلم . . . يكفيه ذلك مانعا من أن يقدم على عمل مثل هذا بأن ينح زوجا
 شرعيا من أن يتصل بزوجه ويجعله زواجا سوريا من الناحية الشكلية فقط ليجعل من
 ذلك وسيلة لجلوس العباسية مع جعفر فى مجلسه وهذا أمر تأباه الشريعة الاسلامية
 كما تأباه على حاله هذه الغيرة العربية .

وفى مجال التحقيق العلمى قد ابعدها المؤرخون المحدثون وبعض المؤرخين
 القدامى ، فلم يجدوا من الادلة ما يجعل هذه القصة ذات بال حتى يثبتوها فى
 كتبهم ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر من القدماء القلقشندي فى كتابه
 "مآثر الانافة" وسيد أميرعلى فى كتابه "مختصر تاريخ العرب" ، واحمد الرفاعى
 "عصر المأمون" وجمال الدين سرور "تاريخ الدولة الاسلامية" وأسعد طلس وبوجينا
 غيانه فى كتابها "تاريخ الدولة الاسلامية" .

فنكبة البرامكة لاسباب بعيدة كل البعد عن مسألة العباسية .

القسم الثاني

بعض آراء (كارل بروكلمان) في التاريخ الاسلامي والرد عليها

- الفصل الاول : بعض آراء بروكلمان في عصر الرسول (ص) والرد عليها
الفصل الثاني : بعض آراء بروكلمان في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها
الفصل الثالث : بعض آراء بروكلمان في عصر بني امية وبني العباس
والرد عليها

الفصل الاول

بعض آراء بروكلمان في عصر الرسول (ص) والرد عليها

١

يقول كارل بروكلمان عن الحجر الاسود وهو يتكلم عن الكعبة :

(وفي ركنها - الكعبة - الشرقى الحجر
الاسود الذى هو بحق أقدم من معبود هناك) (*)

٥٥

أحب أن أبدأ حديثى هنا بتعريف الوثن .. وهو كل قطعة من خشب أو
حجر أو فضة ينحت ويعبد من دون الله ولم تكن له صورة . (١)

لعل هذا التصوير للوثن قد يكون هو الدافع لبروكلمان بأن يجعل الحجر
الاسود من ضمن الاوثان التى تعبد ، وهو قد يعنى بذلك أو يحاول أن يثبت وجود
العبادة الوثنية فى هذه البقعة من الارض الاسلامية والمعروف أن الوثنية والاسلام
ديانتان أو عبادتان متباعدتان كل البعد عن بعضهما فالوثنية هى عبادة الاحجار

(*) بروكلمان : كارل - تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١١ (انظر النسخة العربية
المتريجة ص ٣١)

(١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم - لسان العرب - ج ١٢ ص
٣٤٩ بيروت - دار صادر

والاصنام المتعددة والاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا ما لا يخفى على عاقل ، فكتب التاريخ مليئة بتلك الحروب التي خاضها المسلمون ضد الوثنيين ، فكيف يكون في ارض الاسلام ومنبته وثن أو عبادة وثن ، ومعلوم أيضا أن الاسلام قد سعى جاهدا في محاربة الوثنية القرشية من بداية الدعوة وحطم أصنام قريش وازال أوثانها ودنس آلهتها المتعددة ، ولو كان الحجر الاسود أحد الاوثان لما أبقى عليه الاسلام .

فالحجر الاسود موجود مع وجود الكعبة ولم يتجه اليه أحد من العرب بالعبادة ولم يكن يوما من معبودات العرب فهو حجر لم تقده العرب ولهذا لم يعرف ضمن الاصنام ولا الاوثان التي كان العرب يعبدونها ومن أجل ذلك لم يأمر النبي بتحطيمه كما حطمت الاصنام والاوثان لانه لم يخطر على بال أحد من العرب أنه يعبد كما تعبد الاصنام والاوثان .

وكل ما فعله الاسلام هو أنه جعل الحجر في منزلة الكعبة من التقديس فحيث يعظم البيت يعظم هذا الحجر .

وهو أمر تعبدى ليس للعقل فيه مجال وإنما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فوجب على المسلمين الاقتداء به .

ومن أجل ذلك قال عمر عندما قبله (والله انى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) . (١)

(١) النيسابورى : أبو الحسن مسلم بن الحجاج - صحيح مسلم - ج ٤ ص ٦٧ - دار الفكر - بيروت .

فليس كل حجر يوجد في بلاد العرب يعتبر معبودا لهم أو وثنا يعبد ، فهناك حجر في منى يرجم في الوقت الذي يقبل فيه هذا الحجر فلو كان الامر أمر حجر فقط لقد ست جميع الحجارة في بلاد العرب •

لكن الذي نهى الله عنه هو ما كان معبودا لهم قبل الاسلام •

قال تعالى " فاجتنبوا الرجس من الاوثان " (١) " يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب* والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " (٢)

ويذكر ابن الاثير أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما طاف بالكعبة يوم الفتح وكان عليها ثلاثمائة وستون صنما وكان بيده قضيب فكان يكسر به الاصنام وهو يقرأ (وقل جاء الحق وذهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) وأمر فأخذت وكسرت • (٣)

فلو كان الحجر الاسود منها لكسر معها ، كما أن العبادة والدعاء والطلب كانت لله ولم يحدث أن المسلمين قد طلبوا ودعوا الحجر الاسود في يوم من الايام لقضاء حاجة من حوائجهم بل لا يدعون ولا يلجأون الا الى الله عز وجل •

ولعلنا نقبل من (بروكلمان) عذره اذا اعترف بعجزة عن ادراك الحكمة الالهية لوجود الحجر الاسود • • وتقيله • • لان عمر بن الخطاب على علو في مكانته وغازاة علمه وعمق تفكيره عجز عن ادراك هذه الحكمة وعبر عن عجزه بقوله (لولا أنى رأيت رسول الله (ص) يقبلك ما قبلتك) • (٤)

-
- (١) سورة الحج آية ٣٠
 (٢) سورة المائدة - آية ٩٠ -
 (٣) ابن الاثير - الكامل ج ٢ ص ٢٥٢ ، ابن كثير - البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠١
 ابن خلدون - ج ٢ ص ٤٤
 (٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ٦٧

وهذا هو الفارق بين عمر " نموذج الاهتداء " وبين بروكلمان " نموذج الادعاء "

روى ابن ماجة في سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به ، يشهد على من يستلمه بحق " . (١)

وبروى ابن ماجة أيضا عن عمر قال : " استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال " يا عمر هنا تسكب العبرات " . (٢)

أما عن أصله ومن أين أتى به فقد اتفقت معظم المراجع والروايات العربية على أنه يا قوتة نزلت من الجنة مع آدم عليه السلام وقد أودعها الله جبل أبي قبيس أثناء طوفان نوح عليه السلام (٣) فيروى الترمذى في سننه ما ثبت ذلك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بيضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم) . (٤)

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام يا قوتان من يا قوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لاضاعت ما بين المشرق والمغرب . (٥)

(١) ابن ماجة ج ٢ ص ١٨٢

(٢) ابن ماجة ج ٢ ص ١٨٢

(٣) الارزقي ج ١ ص ٣٢٩ - القرشي : جمال محمد بن ظهير الله - الجامع اللطيف في فصل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ص ٣٣ بيروت ١٣٩٢ هـ ، ابن احمد الضباع : محمد - تحصيل النرام في اخبار البيت الحرام - (مخطوط) رقم ٦٨ ص ٥٥ ، ابن حسن العجيبى : على - تاريخ مكة والمدينة والطائف - مخطوط رقم ٦١ بمكتبة الحرم ٥

(٤) الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى - سنن الترمذى ج ٣ ص ١٧ القاهرة ١٩٦٥ م

(٥) المصدر السابق .

ويذكر الشيخ عبد الكريم محب الدين أن ابراهيم لما قام ببناء الكعبة انتهى الى مكانه فقال ابراهيم لاسماعيل اثنتى بحجر اضعه هنا ليكون علما للناس يتدون منه الطواف فذهب اسماعيل في طلبه فجاء جبريل الى سيدنا ابراهيم بالحجر الاسود . (١)

وعلى كل حال ففكرة وثنية الحجر الاسود هي فكرة غريبة بثقتها حركتة الاستشراق في كتب التاريخ الاسلامي وسعت لترويجها منذ زمن بعيد ولم يكن بروكلمان مبتدع لها فقد سبقه اليها امثاله من المستشرقين مثل "درايكت" حيث يقول (الحجر الاسود وتقبيله من بقايا الوثنية القديمة) (٢) بل ان البعض من هؤلاء المستشرقين بعد الكعبة نفسها وثنا من الاوثان . . مثل (بوشورت سمث) حيث يقول : (لكن المقدس الاكثر شهرة وقد ما في القطر كان هو الكعبة وكان يدعى بيت الله وكان مبنيا على هيئة مكعب ويشكل الالهة الحقيقية لجميع الجزيرة العربية) . (٣)

فليس أبعد عن الحقيقة والرسوخ في الظلم والبهتان من محاولة الصاق طقموس الوثنية بالاسلام أو مهادنته لعبادة الاوثان أو اعترافه بهذه الالهة . . فالحجر الاسود لم يعامل كوثن . . والمسلم يعتبره حجرا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر

(١) ابن محب الدين الحنفى :- عبد الكريم اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد

الحرام مخطوط رقم ٩٣ ق ٧ مكتبة الحرم المكي .

G.M.Draigcatt, Mohamet founder of Islam London (٢)
1916 P.2

R.Bosuiath Smith, Mohommedan Mahnedanism , P.86 (٣)

ولا يعتقد فيه أبدا ما يعتقدُه النصراني في " الايقونات " (١) ولقد كانت شعائر المسلم ومفتاح دخوله الاسلام منذ نزل على رسوله قوله تعالى " يا أيها المدثر قم فأندِر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فأهجر " (٢) وهي ثاني ما نزل من القرآن - شعار دخوله الاسلام قوله " لا اله الا الله محمد رسول الله " والرجز المأمور به جره هو عبادة الاوثان والاشراعي بالرحمن وكم حاول مشركوا مكة أن يجدوا تساهلا من الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه آلهتهم ليكفوا عنه ، ساوموه على صلح أن يعبدوا الله ويعبد آلهتهم فقال له ربهم : " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين " (٣) (٤)

- ٥ -

-
- (١) الايقونة هي كلمة يونانية تعني الصورة أو التمثال - اشارة الى الصورة الموجودة في الكنائس - المنجد ص ٢٢ بيروت ١٩٦٠ .
- (٢) سورة المدثر : آية ١-٤
- (٣) سورة الكافرون
- (٤) أحمد حماني - مجلة جوهر الاسلام - العدد الخامس من السنة الخامسة ص ٤٤ ، انظر ابن هشام - السيرة النبوية ج ٢ ص ١٠

ثم يتحدث بروكلمان عن مدى ايمان النبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل
فيقول :

(ان العقيدة في الله كانت تملأ قلبه أكثر
فاكثر وقد جعلته يرى أن الآلهة الاخرى
لا وجود لها (باطلة) ولكن في السنوات الاولى
من دعوته لا يد أنه اعترف بالآلهة الكعبة
الثلاث اللاتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات
الاله . وقد وصفها في احدى تجلياته كأنها
كائنات عالية (غرائب) ترجى شفاعتها)^(*)

٥٥

هذا رأى بروكلمان كغيره من الزنادقة الذين وضعوا هذه الفرية ومن شايعهم
من المستشرقين الذين روجوا لها وسعدوا جاهدين في محاولتهم للطعن في أهم
دعائم هذا الدين - القرآن - ومحاولتهم أن يتسرب اليه الشك في قلوب المسلمين
حتى يضعف ايمانهم به مثل درايكوت .^(١)

(*) بروكلمان : كارل - تاريخ الشعوب الاسلامية - ص ١٣ (انظر النسخة المترجمة

ص ٣٤)

9.M. Draycatt, OP,Cit, P83

(١) انظر

اما نحن المسلمون فلا ينبغي لنا أن نقل هذا ، فمسألة الغرانيق مسألة مردودة ومكشوفة قلدى كل باحث في هذا الباب ، فهى فرية واهية ، ذكوت في بعض كتب التفسير عند تفسير آية " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته " (١) . . . وبعض كتب السير والتاريخ عند ذكرهم رجوع المهاجرين الاول من الحبشة (٢) ، فما كان ينبغي لبروكلمان أن يعتمد على هذه الرواية بدون تحقيق .

ومناسبة هذه القصة عند مروجيها من المفسرين وتفسيرهم الخاطىء لآية " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته " من سورة الحج ومن تبعهم من المؤرخين ، فيقول (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفته عشيرته ولمتشايحه على ما جاء به تمنى - لفرط هجره من اعراضهم ولحرصه وشها لكة على اسلامهم - ألا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزاهم عن غيهم وغادهم ، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة (النجم) وهو في نادى قومه وذلك التمنى في نفسه فأخذا يقرؤها . . . فلما بلغ قوله " وما اما الثالثة الاخرى - (القى الشيطان في أمنيته) التي تمنها أى ، وسوس اليه ما شايحها به ، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال : " تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى " . (٣)

(١) سورة الحج - آية ٥٢

(٢) الحلبي : على بن برهان الدين - السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٤ بيروت دار الفكر

سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢ .

(٣) الزمخشري - تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٩ تفسير سورة الحج ، طبقات ابن

سعد ج ١ ص ١٨٨ ، الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٥٣

ثم بعد ذلك جاء جبريل ليستعرض معه سورة والنجم وبلغ الكلمتين (تلك الغرائيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى) فقال له ما جئتك بهاتين (١) فاستدرك الرسول وحزن حزنا شديدا . . . فقال واضعوا هذه القرية أن الله أنزل عليه قوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أميته " (٢) فسروا كلمة (تمنى) فى الآية بمعنى (قرأ) وهذا ما لا يوجد فى فصيح لغة العرب ثم حاولوا أن يدعموا رأيهم هذا ببيت من الشعر وضعوه لهذا الغرض لا محالة وهو :

تمنى كتاب الله أول ليلة ٥٥ تمنى داود الزبور على رسل (٣)

وقالوا : أنزل عليه أيضا قوله تعالى : " وان كادوا ليفتنوك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا " (٤) فخاضوا فى هذه الفتنه وزعموا بأن هذه الوسوسة التى تمنها صلى الله عليه وسلم أنه سجد فى نهاية سورة النجم وسجد كل من كان فى النادى من مسلم ومشرك فقالوا ان الصلح تم بين الرسول ومشركى قومه ، واتخذوا من رجوع المهاجرين الى الحبشة دليلا على صحة دعواهم . (٥)

نقول : كان على بروكلمان أن يستعمل الاسلوب العلمى الحديث فى تفتيش هذه الرواية .

-
- (١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٣٧ (٢) سورة الحج - آية ٥٢
 (٣) ارجع فى هذه القصة وتفسير كلمة تمنى لكتاب " اباطيل يجب أن تحى من التاريخ " للدكتور ابراهيم شعوط ص ٥٨ - ٦١
 (٤) سورة الاسراء - آية ٧٣
 (٥) تفسير القرطبي - ج ٦ ص ٨٠

هكذا قالوا .. وهذه أدلتنا لتفنيد أباطيلهم :

أولا سياق الايات فى سورة النجم : ان سياق الايات فى سورة النجم يجس على نمط واحد وهو ذم وتحقير للاوثان والاصنام بدون انقطاع هكذا قال تعالى " أفرايتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ، الكم الذكر وله الانثى ، تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى " . (١)

فترى أن موضوع الايات تحقير للالهة .. فكيف يجوز له فى القرآن أن يمجد هذه الالهة ثم يبلغ بعد ذلك فى تحقيرها والسخرية بها ؟ فاذا تجاوزنا المعنى الى الاسلوب لنقارن بين القرآن وبين ما قالوا (وان كانت المقارنة غير واردة) لرأينا عجبا ..

القرآن ببلاغته - فى ذلك التقطيع بين الجمل وتوافق الفواصل - وهذا الانكار الساخر وتلك المقابلة بين الذكر والانثى .. والتعبير بكلمة (ضيزى) عن القسمة غير العادلة .. وما فى الكلمات من موسيقى واسلوبى القصر المؤكدان للفكرت هل يتناسب ذلك السمو البلاغى المعجز فى آيات القرآن - مع هذا الزيف المسف الذى ادعوا كذبا أنه جزء من التنزيل ؟ (تلكم الخرائيق العلا .. الخ) .

أليس من التناقض أيضا - قولهم " ان زعماء قريش قد سجدوا فى نهابة

فالشيطان هنا شيطان الانس والضمير في أمنيته عائد على الشيطان أى فى
أمنيته نفسه ، ومفعول ألقى محذوف لفهم المعنى وهو الشر والكفر . . ومعنى فينسخ
الله ما يلقى الشيطان أى يزيل تلك الشبه شيئاً فشيئاً حتى بسلم الناس كما قال تعالى :
” ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ” . (١)

ثانياً ويعيد كل البعد بل مستحيل أن يكون الرسول صلى الله عليه
وسلم قد غير فيما أنزل عليه من وحى . . تلاوة أو فهماً . . قال تعالى : ” ولو تقول علينا
بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد
عنه حاجزين ، وانه لتذكرة للمتقين ” . (٢)

وقد وصفه الله تعالى بقوله : ” وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ” (٣)
وكما قال تعالى : ” قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أن أتبع الا ما يوحى الى
أنى أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ” (٤) فكيف بعد هذه الايات البينات يخطر
على بال أحد من المتصنفين أن يغير رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فيما أوحى
ليه ، فضلا عن أن الموحى هو الشيطان القدى ليس له سبيلا على المؤمنين .

ثالثاً لاتناسق ولا ترابط بين أطراف القصة المفتراه ، من الناحية
الزمنية فسورة النجم صورة مكة والقصة التى نسجت حولها كانت مكة محيطة بها (٥) ، وآية

(١) بن حبان : محمد بن يوسف - تفسير البحر المحيط - ج ٦ ص ٣٨٠ و ٣٨١ -

بيروت - ١٣٩٨

(٢) سورة الحاقة - آية ٤٤-٤٧

(٣) سورة يس - آية ١٧ (٤) سورة النحل - آية ٣٥

(٥) الزركشى : بدر الدين - البرهان فى علوم القرآن - ج ١ ص ٩٣ القاهرة ١٣٧٦

العزاء - فى نظرهم - " وما أرسلنا من قبلك من رسول " هى فى سورة الحج وهذه
 السورة مدنية (١) بالاجماع ومع ذلك سمحت لهؤلاء المفترين سماجتهم أن يقولوا :
 ما قالوا (٢) فاذا كانت سورة الحج نزلت - كما زعموا - عزاء لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم فكيف يكون العزاء بعد الحادث بسنوات وفى مكان غير المكان الذى
 نزلت فيه ؟ ٢٠٠ ؟

رابعاً وقول المؤرخين أن عودة مهاجرى الحبشة كانت نتيجة هذا الصلح
 ونحن نقول لهم أن عودة المهاجرين من أرض الحبشة لم تكن بسبب ذلك الصلح المزعوم
 لكنها كانت لاحد احتمالين : اما لعلمهم باسلام عمر بن الخطاب وبقينهم بأن عمر
 سيكون شديد على الكفار مثلما كان شديداً على المسلمين فى كفره وفى هذا سند لهم
 وعون ••• يمكنهم من أداء عبادتهم فى طمأنينة وأمن •

واما أن تكون لتلك الثورة التى حصلت يومئذ على النجاشى بالحبشة وقد يكون
 من أسبابها ان لم يكن سببها الوحيد ما أبداه من عطف على المسلمين (٣) وخير دليل
 على عدم وجود الصلح انه لم يدخل أحد من المهاجرين مكة الا مستخفياً (٤) بل
 عادوا الى الحبشة مرة ثانية وانضم اليهم عدد كبير من المعذبين الذين فروا بدينهم
 من قريش •

(١) المصدر السابق ص ١٩٤

(٢) احمد الحمانى - مجلة جوهر الاسلام ص ٤٥

(٣) هيكل - حياة محمد ص ١٦٣

(٤) ابن هشام - السيرة النبوية ج ٢ ص ١٢

اذن لا صلة البتة بين مسألة الغرائيق وبين عودة المسلمين من الحبشة .

خامسا هناك سبب آخر ذكره المرحوم الشيخ محمد عبده حين كتب عن قصة الغرائيق فقال (ان وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرائيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جاريا على ألسنتهم . . وانما ورد الغرنوق والغرائيق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض ، والشاب الابيض الجميل ولاشئ " من ذلك يلائم معنى الالهة أو صفها عند العرب) . (١)

سادسا الفرية تتعارض مع العصمة النبوية ومع صفات النبوة وهي الصدق والامانة والتبليغ والفظانة .

٥ ٥ ٥

فبعد ما قدمنا من الادلة والبراهين على كذب هذه القصة التي جعل الشيطان سبيلا لوجودها في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم مع اننا قد عرفنا من القرآن الكريم أن الشيطان ليس له سبيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على المؤمنين ممن منطوق هذه الآية " انه ليس له سلطان على الذين آمنوا " . (٢)

وقال تعالى " ان عبادي ليس لك عليهم سلطان " (٣)

وقال تعالى " وما تنزلت به الشياطين "

(١) هيكل - حياة محمد ص ١٦٥ ، انظر لسان العرب ج ١٠ ص ٢٨٦

(٢) سورة الحجر - آية ٤٢

(٣) سورة الحجر - آية ٤٢

وأخيرا ، فكل ما تمهد فاليه هذه القصة ويقصد اليه خصوم الاسلام هـ
أن يشككوا المسلمين في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
- القرآن الكريم - لأنه اذا ثبت أن الشيطان قد وضع كلمة أو حرفا فإنه ستصبح كل
كلمة في القرآن في مظنة أنها من وضع الشيطان . . . وحاشي لله أن يحدث ذلك .

يقول بروكلمان في التشكيك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم :

(فكان يضح في نفسه هذا السؤال : الى متى
يمدهم الله في ضلالهم ، مادام هو عز وجل قد
تجلى آخر الامر للشعوب الاخرى بواسطة أنبيائه ؟
وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه قد يكون مدعوا
الى أداء هذه الرسالة .. رسالة النبوة ..
حتى أعلن ما ظن أنه سمعه كوحى من عند الله (*)

٥٥

محمد الرسول - في نظر بروكلمان - مدع - نضجت فكرة النبوة في ذهنه
ورأى نفسه صالحا لها وصدق نداء نفسه الداخلى وأعلن هذا الظن على الناس
على أنه وحى من عند الله .

وقد تصدى للرد على بروكلمان عدد من كتاب المسلمين بوسائلهم وأساليبهم
المختلفة .

فيقول الدكتور عمر فروخ في هامش كتاب بروكلمان نفسه : (١)

(*) بروكلمان : كارل - تاريخ الشعوب الاسلامية - ص ١٣ (انظر النسخة
العربية المترجمة ص ٣٦)
(١) بروكلمان ص ٣٦ هامش الكتاب .

(وما ذلك الا من قبيل التعصب الدينى البنى على عداة سياسى .. انهم ينكرون ان يكون محمد ذا نبوة صحبحة بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع انبياء بنى اسرائيل) ..

كما يقول الشيخ الغزالي معلقا على نفس الموضوع :

" ونحن نتساءل هل هذا المستشرق ينكر الوحي جملة ؟ ان كان الامر كذلك فلا نبوات البتة ، وسقطت ديانته قبل ان تسقط الديانة التي يهاجمها .. وان كان يؤمن بالوحي ويصدق انبياء اليهودية والنصرانية وحدهم - قلنا له ما سر هذه التفرقة ؟ .. اهو تعصب لما ورثت عن اباائك وقومك ؟ لك ذلك - ولكن لانسى هذا المسلك علما نزيها ولا بحثا محايدا " . (١)

لو أنكروا بروكلمان نبوة محمد أو أراد أن يتجاهلها .. فلماذا لم ينكر غيرها من النبوءات ولماذا لم يتجاهل نبوءات بنى اسرائيل أو لان محمد لم يكن من بنى اسرائيل أو لان محمد أتى بكتاب كذب فيه افتراءات كتبهم وأبطل كل ما فيها من حشو وضعوه هم بأيديهم من أجل اشباع رغباتهم وقضاء مطالبهم التي يزعمونها .

أم لأن محمد أتى بكتاب بقى هذه الفترة من الزمن وهى ما يزيد عن ألف وثلاثمائة سنة دون أن يمسه شئ من التغيير وبقى معجزة اعترف بها العدو وقيل الصديق ، أم لان محمدا أتى بدین جعل من معتقيه سادة على أهل الارض قرونا عدة .

(١) الغزالي : محمد - دفاع ضد مطاعن المستشرقين - ص ٢٣

أم كان لبروكلمان دليل قاطع على صحة نبوة عيسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل
وصحة كتبهم ولم يكن لديه الدليل بذلك على صحة نبوة محمد . (١)

أم من أجل أن نبوءات بني إسرائيل كانت خاصة وجاءت رسالة محمد عاممة
فحسدوها ولم يقبلوها من محمد صلى الله عليه وسلم .

أفمن أجل هذا لم يستطع بروكلمان أن يصدق نبوة محمد أو أنه صدقها
إلا أن التعصب الديني أو الدوافع السياسية هي التي أجبرته على هذا الادعاء من
انكار نبوته صلى الله عليه وسلم .

ونحن حين نرد على بروكلمان لا نعتمد في ردنا على القرآن الكريم لأنه لا يؤمن
به وإنما نرد عليه بأراء بعض المستشرقين الذين لم يتأثروا بالتعصب الاعى ثم نرد
على اهل التوراة بما جاء فيها وعلى اهل الانجيل بما جاء فيه . . أما ردنا ببعض
آراء المستشرقين في هذا الصدد فهو كما يأتي :

١ - ذكر المستشرق جونسون عن حقيقة دعوته صلى الله عليه وسلم في كتابه
" الديانات الشرقية " فقال : وجاء بشريعة عامة اجتمع فيها ما تفرق من
انوار الهداية التي نزلت على قلوب الانبياء وهذه الرسالة هي الرسالة التي
أداها بهمة وغيره لا تعرف الانانيق - فلو ادعها لما كانت جليلة الشأن
حتى نفخت الحياة في شعب غرق في سباته وجمع بها شتات القبائل المتنازعة
وخلق منها أمة يحدوها العمل ويطبعها بالنعيم الابدي) .

(١) النزالي : محمد - دفاع ضد مطاعن المستشرقين - ص ٢٣

٢ - ويقول اللورد هدلى أن رسالة محمد رسالة الالهية صادقة لا ريب فيها هدى للمتقين أوحى الله بها اليه فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة مكملة لكتاب المسيح .

٣ - ويقول (أرنست رينان) (١) فى كتابه (تعليقاتى على تواريخ الاديان) لقد دلتنى تحريباتى العلمية والتاريخية على أنه لا صحة مطلقا لما أريد الصاقه بالنبي محمد من كذب وافتراء مصدرهما بعض المباينات العرفية والعادات القومية التى أراها بعض المتحاملين أن يتوجهوا بها الى الناحية التى تشفى سقام أذهنتهم الوحشة وتعصبهم الذمير .

٤ - ويذكر المستشرق الانجليزى (هزج ويلز) " أن من أرفع الادلة على صدق محمد كون أهله وأقرب الناس اليه يؤمنون به فقد كانوا مطلعين على أسرارهم ولو شكوا فى صدقه لما اتبعوه . "

٥ - أما الشاعر الفرنسى (لامارتين) (٢) فيقول عن صدق دعوته أن حياة مثل حياة محمد وقوة كقوة تأمله وتفكره وجهاده وثباته . . . أن كل ذلك أدلة على أنه لسم يكن خداعا أو يعيش على باطل . . . ومؤسس دين لا فرية فيه . . . وفتح دولة فى السماء من ناحية الروح والفؤاد .

(١) فيلسوف فرنسى دخل المدارس اللاهوتية ، وتضلع فى اللغات الشرقية ، رحل الى لبنان ، وعنى بالعقائد الاسلامية ، ذكر له ثمانية وسبعين كتابا ، وقال لولا ابن رشد لما فهمت فلسفة أرسطو . . . من اثاره تاريخ اللغات السامية ، تاريخ الاديان ، تقدم الاداب الشرقية (العفيعى ج ١ ص ٢٠٢)

(٢) شاعر وروائى فرنسى ولد ١٧٩٠ وتوفي ١٨٦٩ اشغل مناصب سياسية كثيرة كان يؤمن بمبادئ الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والسلام العالمى واصبح رئيسا للحكومة المؤقتة بعد ثورة فبراير . . . من اثاره اعترافات صدر فى ١٨٤٩م ، رواية جرازيليا ١٨٤٨م ، سقوط الملك ١٨٣٨م ، (الموسوعة العربية المبسرة ١٩٤٣) ١٥

٦ - وللفيلسوف الروسي (تولستوى) (١) رأى فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول " ويكفيه فخرا أنه هدى مئات الملايين الى نور الحق " الى السكنينة والسلام وفتح للانسانية طريقا للحياة الروحية العالية وهو عمل عظيم لا يقوم به الا شخص اوتى قوه والهاما وعونا من السماء " (٢)

هذه طائفة من اراء بعض المستشرقين الذين شهدوا بالحق وأدركوا بالبراهين الواضحة صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .

٥٥٥

ويبقى لنا أن نرد على أهل التوراة بما جاء فى توراتهم ونرد على أهل الانجيل الذين منهم بروكلمان بما جاء فى انجيلهم أن كان يؤمن بما فى الانجيل .
وأما ردنا على أهل التوراة فهو كما يأتى :

فى التوراة

ورد فى سفر ملاخى فى الاصحاح الثالث عدد " ١ " من النسخة المحفوظة لدى اليهود نقلا عن الاستاذ محمد الطهطاوى " ها أنا سوف أرسل رسولى فيعزل طريقا بحضورى وحينئذ يأتى الى هيكلكه الولى الذى أنتم تلتمسون ورسول الختان الذى أنتم راغبون هوذا آت قال الله رب الجيوش " (٣)

- (١) روائى وفيلسوف روسى ، ولد سنة ١٨٢٨ وتوفى ١٩١٠م التحق بالجيش سنة ١٨٥١م ، بازمة روحية كانت نتيجتها ارتدادها الى الايمان بالسحبة المسيحية ، اثاره الطفولة / الصبا / الشباب / وملحما سماها الحرب والسلام وله كتابا آخر اسماه البعث - سنة ١٩٠٠م (الموسوعة العربية الميسرة ٥٦١) القاهرة
- (٢) ميخائيل : بشرى زخارى (محمد رسول الله هكذا ابشرت به الاناجيل) ص ٤٦-٤٤ - ٥٤
- (٣) الطهطاوى : محمد عزت اسماعيل - محمد رسول الله فى التوراة والانجيل والقرآن ص ٢٧ القاهرة ١٩٧٢ .

والمقصود برسول الختان هو محمد بن عبد الله . (١)

في الانجيل

وردنا على أهل الانجيل بما جاء في انجيلهم ، فان انجيل يوحنا جاء فيه قوله " وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية من ذاك يمجدني لانه يأخذ من ما ليس ويخبركم " . (٢)

وهذه اشارة ومشارة للرسول عليه الصلاة والسلام حيث لم يأت نبي بمجد المسيح الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي مجد المسيح واعترف به . . هذه البشارة تعنى بأن الرسول الذي سيأتي بعد المسيح لا يختلق ما يقوله لانه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولكنه لا يتكلم الا بما يلقي عليه من وحى وانه سيخبر بأمر آتية . . وقد تحقق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام مثل قوله تعالى : " غلبت الروم في أدنى الارض " .

هذا هو محمد بن عبد الله في كتبهم وحسب آراء كتابهم ومؤرخيهم ، فلم يبق بعد ذلك مجال لتصديق ما زعموه بعد ما ذكرنا من الادلة ومن نصوص التوراة والانجيل .

—•—

(١) المصدر السابق

(٢) انجيل يوحنا اصحاح ١٦ عدد ١٣ - ١٤

يقول كارل بروكلمان :

() وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد على أساس القرآن وحده طبعاً . . . وليست المسألة مسألة نظام مرتب ، إذا لم تكن الدقة والتماصك الفكرى أقوى جوانبه على الاطلاق ولم يكن عالمه الفكرى من ابداء الخاضع الا الى حد صغير ، فقد انبثق فى الدرجة الاولى عن اليهودية والنصرانية فكيفه محمد تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبيته الدينية . . . (*)

٥٥

فى عبارة بروكلمان تناقض واضح - فصدرها يناقض عجزها كيف لا يكون التماسك الفكرى والدقة قوية فى القرآن . . . بينما يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد كسب معلوماته عن اليهودية والنصرانية تكييفاً بارعاً ، أليس من المنطق أن يكون القادر على تكييف معلوماته تكييفاً بارعاً قادراً أيضاً على تحقيق الدقة . . . والا فكيف يكيفها ؟

(*) بروكلمان : كارل - تاريخ الشعوب - ص ٣٣ (انظر النسخة العربية المترجمة ص ٦٨) .

فإذا تجاوزنا ذلك التناقض لترد على الشطر الاول من الادعاء لوجدنا أنه
ادعاء غير قائم ، فالذين يمكنهم القول بهذا هم القادرون على فهم البلاغة فهما
صحيحا يؤهلهم للتصدى لهذه القضية الخطيرة . . قضية النقد الادبي . . وليس بروكلمان
منهم لأن ثقافته العربية ثقافة غير أصيلة .

ماذا يقصد بالتماسك الفكري ؟ . . هل الفكرة مهلهلة ؟ . . لا يجمعها
جو نفسي واحد ؟ . . أينقل الفكر القرآني من موضوع الى موضوع آخر قبل اكماله ؟
ماذا يعنى بالدقة ؟ . . أليس الاخبار فى القرآن مطابقا لما حدث وأخبر به ومطابقا
لما لم يحدث وأخبر به قبل حدوثه ؟ . . ما المقصود بالدقة ؟ . .

أسئلة كثيرة تتوارد على ذهن السامع لان العبارة عامقة ليس لها مفهوم
معين حتى نركز عليه فى الرد تركيزا مباشرا .

لو أن هناك نقاطا محددة وأمثلة معينة لفصلنا القول فيها ردا وتفنيدا أما
ان عالمه الفكرى وما شرعه من الاحكام قد انبثق عن اليهودية والنصرانية وهوالشطر
الثانى من العبارة فهذا أيضا قول غريب . . لان الاديان جميعها واحدة فى جوهرها
. . دعوة الى التوحيد . . ودعوة الى الاصلاح . . فاذا تشابهت اليهودية والنصرانية
مع الاسلام فهل فى هذا التشابه ما يدعو الى العجب ؟ أليس الله وحده صاحبها وهو
الذى أرسل رسله مبشرين وهل يجوز لنا أن نقول أن دعوة المسيح عليه السلام انبثقت
عن دعوة موسى عليه السلام .

ويقول الشيخ الغزالي فى هذا الصدد : ان محمدا الذى قدم للعالم أنفوس

العقائد والشرائع فى أرقى أسلوب وأنصح بيان ، لو كان أتى بهذا الدين من عند نفسه لا من عند الله لكان معنى هذا أن البشر أقدر على صنع الأديان من رب البشر والا كيف يتصور أن القرآن ومحتوياته عمل انسانى ، وان العبيد بين القديم والجديد عمل الهى . (١)

ويقول الاستاذ أحمد محمد جمال (على أنه لا ضير أن يتفق الاسلام فيما جاء به قرآنا وسنة مع الديانات السابقة ، فى الاصل الاصيل لكل ديانة سماوية ، وهو التوحيد أو فيما ندعو اليه من مكارم الاخلاق) . ثم يستطرد ويقول (ولكن الشمول والسعة والاحاطة بكل حاجات البشرية ومصالحتها على مدار الزمن ، وفى كل الاوطان ، ولكل بنى الانسان ، قد انفرد بها الاسلام من دون الأديان الأخرى بلا جدال) . (٢)

إذا ان ما جاء به محمد من شرع ليس من صنعه ولم يأخذه من اليهود يسنة أو النصرانية حتى يكيفه حسب ما يراه من ظروف تفرض عليها اليهود والنصارى وغيرهم ممن لا يدينون بالاسلام ليرضى به قومه .

انما ينهج محمد فى أقواله وأفعاله منهجا حميدا رسمته له السماء ونزل به جبريل . . صد اقا لقوله تعالى : " أن اتبع الا ما يوحى الى " .

(١) الغزالي : محمد - دفاع عن العقيدة ص ٣٥
 (٢) جمال : أحمد محمد - مغتربات عن الاسلام - ص ٣٦

ثم يدعى بروكلمان ان الرسول كيف تشريعه للصيام ليرضى به اليهود أو أنه اقتبس من احدى الفرق الدينية مثل الغنوصية فيقول :

(غلبت على الاهتمام الدينى للنبي فى الاوقات الاولى من اقامته فى المدينة علاقته باليهود ، ولا بد أنه كان يأمل بوضوله (الى المدينة) ان يدخلوا فى دينه ، لذلك حاول ان يوفق بين شعائر شيعته فى كثير من المسائل وبين شعائرهم فقد شرع صيام عاشوراء فى اليوم العاشر من المحرم حسب صيام اليهود فى يوم الغفران فى اليوم العاشر من شهر تشرين . ولكنه أضاف الى ذلك صوما لا يزال معمولاً به حتى اليوم وهو صوم شهر رمضان بكامله ، وهو الشهر التاسع من السنة القمرية . وليس الواضح اذا كان قد اقتبس هذه الفريضة من أحد الفرق الغنوصية) (١)

٥٥

وللرد على ذلك نقول :

الصيام فريضة قديمة عرفتها كل الامم وكلفت بها كل الاديان . . قال تعالى :

(■) بروكلمان - تاريخ الشعوب - ص ٢٠ - (انظر الترجمة العربية ص ٤٨)
 (١) الغنوصية هي حركة فلسفية ودينية ، نشأت فى العصر الهلنستى وأساسها ان الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالأعمال الخيرة والأمان ، وتأثيرها بالغنوصيين بعض الفرق اليهودية مثل الاسيين كما أنها أثرت فى المسيحية فحملتها على تحديد العقيدة ومحاكمة الهرطقة ، إلا ان أمرها انتهى بادماجها فى المانيوية (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥٨)

• يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون^(١)
 فالصيام عبادة مفروضة على جميع الأديان وصوم عاشوراء كان معروفا لدى العرب قبل
 الإسلام •• روى البخاري^(٢) بسند عن عائشة أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية
 وقد أمر الرسول بصيامه في مكة •• وعند ما انتقل إلى المدينة كان صيام عاشوراء معروفا
 لديهم أما صيام رمضان فقد فرض في المدينة عندما قويت جذور الإسلام ووضحت
 وانتقل من مرحلته الأولى إلى مرحلته الثانية بعد أن استقر الإسلام وقويت شوكة ثم فرض
 الصيام على المسلمين ليعلمهم التقوى كما فرض على الذين من قبلهم ، وأى غرابة فسى
 في أن يقر الإسلام مبدأ روحيا فيه طهارة للنفس وزكاه للفرد •

أما صوم رمضان فقد تنزلت فيه آيات الكتاب " شهر رمضان الذي أنزل فيه
 القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه " هذا
 نص الكتاب الإسلامي •• فحمد عليه السلام منفذ لما نزل عليه وليس مقتبسا من الديانات
 الأخرى •• ثم إن الصيام لم يكن من ضمن العبادات الفارسية التي زعم بروكلمان
 أن الرسول اقتبس منها الصيام • (٣) فمن أين جاء بروكلمان بهذه الدعوى - دعوى
 اقتباس الرسول عباداته من أحد الفرق الفارسية •

ثم ما هو الهدف الذي يهدف إليه الرسول صلى الله عليه وسلم والذي من
 أجله سعى إلى إدخال عبادة ليست موجودة في شرع من أجل أن يدخل نفر من
 اليهود كانوا يعلمون من كتابهم ما دعاهم إليه ، فكل جهاده معهم هو أن يردهم

(١) سورة البقرة - آية ١٨٣

(٢) البخاري - كتاب الصيام ج ٢ ص ٢٢٦

(٣) الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم - الملل والنحل - ج ١ ص ٢٤٤

القاهرة ١٣٨٧ •

الى كتابهم سواء كانوا يهودا أو نصارى لانهم اذا آمنوا بما فى كتبهم فسيوصلهم
ذلك الى الايمان به من غير أن يحتاج الى استمالتهم بشىء جديد يدخله فى دينه
وهم قد أمروا أن يفتحوا التوراة والانجيل ويعملوا بما فيها كما أمر الرسول صلى الله
عليه وسلم أن يبين لهم ما حاولوا اخفائه من كتبهم هداقا لقوله تعالى :

” يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
وما انزل اليكم من ربيكم ” .

” قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل ” (٢)

(١) سورة المائدة آية ١٥

(٢) سورة المائدة آية ٦٨

ويقول بروكلمان :

(بينما كان محمد واصحابه يصلون في مكة مرتين فقط وفي المدينة ثلاثة مرات ، قضت الشعائر المتأخرة تحت تأثير فارسى بأن تكون خمسة مواعيد للصلاة) . (٣)

٥٥

وبروكلمان يستمر في تسطير الاباطيل دون أن يعتمد على دليل ويسجل على نفسه تعصبا مقيتا ضد الاسلام . ولا يكتفى بالخلط في العبادات عند الصوم بل يتجاوز ذلك الى الصلاة فيدعى أن محمدا اقتبس الصلوات الخمس من الفرس .

الصلاة معروفة عند العرب من قبل مجيء الاسلام والمقصود بها الدعاء (١) فلا داعى لاقتباسها من الغير ، ولما جاء الاسلام فرض على اتباعه صلاتين في مكة وكانت قاصرة على ركعتين بالفدأة وركعتين بالعشى ، والى ذلك الاشارة الى قوله تعالى " وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار " (٢) كما فهمه بعض المفسرين (٣) وظللت على هذا الوضع حتى حدث الاسراء والمعراج وهو قبل الهجرة حيث فرض الله على عباده المسلمين الصلوات الخمس ، وقد فرضت في مكة ولم تفرض في المدينة في اوقات متأخرة كما زعم بروكلمان .

(*) بروكلمان - تاريخ الشعوب ص ٣٦ (انظرا للنسخة المترجمة العربية ص ٤٧)
 (١) الخضرى - تاريخ التشريع ص ٣٥
 (٢) سورة غافر - آية ٥
 (٣) الخضرى - تاريخ التشريع - ص ٣٧

وقد تناول الرد على بروكلمان في هذا الموضوع الاستاذ أحمد الحمانى ، يقول
 (ان بروكلمان لا يجهل أن المسلمين كانوا يصلون بمكة خمس صلوات في اليوم واللياسة ،
 فقد فرضت الصلوات الخمس بمكة ليلة الاسراء والمعراج ونزل فرضها في قوله سبحانه
 " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
 تظهرون " والاية من سورة الروم وهي بالاجماع سورة مكية . . . فما الذى يحمل بروكلمان
 على تزوير التاريخ وتشويه الحقائق ؟ . . . وانه يحاول أن يهاجم الايمان في صدور
 ابناءنا ليترفع العقيدة ويتركهم مذنبين) . (١)

فمن أين عرف بروكلمان أن الرسول أخذ الصلاة عن الفرس أو المجوس بعدما
 اتضح أنه لم يعرف ما عند المسلمين . . . فلا هو عرف ما عند المسلمين ولا عرف ما كان
 عند الفرس لانهم مجوس عبدة نار ، ليس لهم عبادة تذكر كالصلاة . (٢)

— ٠ —

(١) الحمانى : احمد - مجلة جوهر الاسلام ص ٤٨

(٢) انظر الشهرستانى ص ٢٣٣ ج ١

وحيثما يتحدث بروكلمان عن العقيدة نراه يتطرق للإيمان باليوم الآخر ويعطى ذلك اليوم وصفا مجملا حسب ما ورد في القرآن شبعده ذلك يحاول أن يعطى للمرأة صورة مشوهة عن نصيبها في ذلك اليوم حتى يتم الصورة التي رسمها أماله الذي سن أعطوا للمرأة المسلمة تلك الصورة المشوهة لمكانتها في الإسلام بالنسبة للرجل فس الحياة الدنيا • ولكن بروكلمان جاء ليتم هذه الصورة في الحياة الآخرة فقال بعد وصفه مباهج الجنة :

(وبماهج الجنة هذه - كما هو واضح -
تتوجه الى خيال الرجال دون غيرهم - النساء) (١)

والحقيقة أن الله عز وجل حينما وصف الجنة وعد بها الذين آمنوا عاممة ولم يخص بها الرجال دون النساء • • • وإنما وضع لها قاعدة واضحة المعالم قال فيها " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون " (١) .

(١) بروكلمان - تاريخ الشعوب - ص ٣٥ (انظر النسخة العربية المترجمة ٧٢)

(١) سورة النحل - آية ٩٨

قال تعالى " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن " ..

وعلى هذه القاعدة كان الوعد القرآنى بالجنة للذين آمنوا ، من الرجال والنساء على السواء .. فالوعد والخطاب للكل وللجميع ولم يقصد النداء القرآنى ان الذين آمنوا هم الرجال فقط ، لكن الذين آمنوا من رجال وأناث .

هذه طبيعة اللغة العربية ، فاذا كان الجمع خليطا من ذكور وأناث كان النداء والتحدث لهم بصفة جمع الذكور من باب التغليب وهذا ما غاب عن بروكلمان أستاذ اللغة العربية وآدابها .

القرآن لم يخص بلفظ (الذين آمنوا) الرجال دون النساء بالنسبة لتسام الأخرى .

كما أورد أن أوضح في الرد على بروكلمان أن القرآن قد أوضح في بعض الآيات التى تبين أن نعيم الجنة لا يكون قاصرا على الرجال دون النساء بل ان المرأة والرجل مشتركان فى المتاع بمباهج الجنة اذا كانوا مؤمنين ولكن هذا المتاع مبنى على العمل .

قال تعالى :

" يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم " . (١)

” ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ” . (١)

” جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ونذر ياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ” . (٢)

” الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ” (٣)

” ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ” . (٤)

من هذه الايات القرآنية يتضح أنه لا فرق بين الرجال والنساء في نعيم الجنة ..

أما قوله أن الله قد وعد الرجال بصاحبة حور العين (٥) ، ولم يعد النساء بصاحبة الرجال فهذا بديهي من الناحية الاخلاقية فطبيعة المرأة وحياتها وخجلها الذي فطرت عليه بانسانيتها جعل من غير المعقول أن يعدهن بوعود مثل هـ من أمور الجنس كما أن العرب لم يتعود ذلك في طبائعها ومن البديهي أن يكون القرآن نموذجاً للخلق وقدوة للخلق ، فالمرأة بطبيعتها التي فطرها الله عليها تستحي ، وتخجل من سماع ذكر هذه الامور .

-
- (١) سورة النساء آية ١٢٤ (٢) سورة الرعد آية ٢٣
(٣) سورة الزخرف آية ٦٩ - ٧٠ (٤) سورة يس - آية ٥٥ ، ٥٦
(٥) بروكلمان - تاريخ الشعوب - ص ٣٥ انظر النسخة المترجمة ص ٧٢

كما أن الحور العين التي وعد الله عباده الصالحين بهن في الجنة قد يكن هن نساء الدنيا فيخلقهن الله تبارك وتعالى خلقاً جديداً فيصبحن هن الحور العين الموعود بهن الرجال الصالحون من أزواجهن أيضاً . (١)

كما أن بروكلمان لما لجأ إلى التفرقة بين الرجال والنساء في الوعد بالجنة وقال ان الوعد بالمتاع بالجنة في الآخرة كان موجهاً إلى الرجال دون النساء لم يقل ان الوعد بالعذاب لمن كذب في الآخرة للرجال دون النساء ، أليست الأداة واحدة بالنسبة للوعد والوعد مثلما قال الحق "الذين آمنوا" ، "الذين عملوا الصالحات" بالنسبة للوعد قال "الذين كفروا والذين لا يرجون لقاء ربهم" وغير ذلك بالنسبة للوعد ، فلماذا لم يقل ان الوعد بالنار كان موجهاً للرجال دون النساء ، أم أنه أظهر صورة وأخفى غيرها حتى يبلغ هدفه .

—•—

الفصل الثاني

بعض آراء (بروكلمان) في عصر الخلفاء الراشدين والرد عليها

١

ويتحدث بروكلمان عن الاحداث التي جرت في عهد خلافة أبي بكر الصديق ويتناول حركة الردة التي تعرضت لها شبه الجزيرة فيقول :

(بيد أنه لم تلبث أن اجتاحت بلاد العرب
بأكملها روح الردة ولم يكن للدواعي الدينية فسي
ذلك دور يذكر ، وإنما أريد فقط التخلص من
سيادة المسلمين غير المريحة في المدينة) . (١٠)

٥٥

ان بروكلمان لو كلف نفسه شيء من العناء ودرس أسباب الردة وظواهرها لوجد ان أقوى الدواعي وأخطرها ، كانت متركة على الناحية الدينية ، وسنبين ذلك للقارىء فيما يأتي :

(١) بروكلمان - تاريخ الشعوب - ص ٤١ انظر الترجمة العربية ص ٤٨

دوافع الردة

(١) الرغبة في التحلل من قوانين الدين الاسلامي والرجوع الى الاباحية الجاهلية :

وهذا الذي غناه بروكلمان في قوله سلطة المسلمين الغير مريحة ، فالمرتدون عندما رغبوا في التخلص من الدين الاسلامي وقيود الشريعة الاسلامية ، والرجوع الى شهواتهم والى التماهي في ارتكاب المنكر وممارسة الحياة الحيوانية التي كانوا يعيشونها كل ذلك لانهم لم يعرفوا الاسلام على حقيقته ، ولم يعرفوا حقيقة الرسول ولا جوهر الدين الذي آتى به ولم يعرفوا فوائده وأهدافه . . . هذا كله بسبب بعدهم عن منبعه ولذلك كان ايمانهم به ضعيفا . . . وذلك في قوله تعالى :

” قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم ، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ” . (١)

فهؤلاء الاعراب الذين كان ايمانهم سطحيا صعب عليهم ترك ملاذ الدنيا وشهواتهم وسعوا جاهدين في التخلص من الدين حتى يتمتعوا ويعودوا الى ما كانوا عليه مبتعدين عن أي قانون يطبق عليهم أو يمنعهم مما يرغبون فيه . ولا يتم لهم ذلك الا بابتعادهم عن السلطة المركزية الموجودة في المدينة وانهم يعرفون تمام المعرفة أن السلطة الدينية الموجودة في المدينة هي سلطة سياسية أيضا فالسياسة والدين

لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر عند المسلمين فسعدوا للتخلص من الناحية السياسية حتى يتمكنوا بعد ذلك من التخلص من القيود الدينية .

وهذا ما ذكره كثير من المؤرخين فقد أوجد الاسلام نظما دينية وسياسية ونظما اجتماعية وحاقية كانت هذه النظم جديدة على العرب لم يألفوها في جاهليتهم فكان من الصعب على كثير منهم أن يخضعوا لها . (١)

(٢) ردة من أجل المال - وهو سبب ديني أيضا :

وهذا الفريق من المرتدين فهموا - لجهلهم حقيقة الاسلام - ان الزكاة انما كانت تدفع لمحمد علامة على خضوعهم له من الناحية السياسية ولم يعرفوا حقيقتها في الاسلام وكيف انها تؤخذ عن أغنيائهم لترد على فقرائهم سعيا الى تحسين الاوضاع الاجتماعية لديهم ولم يعرفوا ان الزكاة لم توزع بعيدا عنهم ، لكنها توزع بين أفراد القبيلة نفسها .

وهذا ما يظهر من قول قرة بن هبيرة لعمر بن العاص (لا ياهذا ان العرب لاتطيب لكم نفسا بالاتاوة ، فان أغنيتموها من أخذ أموالها فستسمع) . (٢)

وليفهم البعض قوله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم " (٣) وقالوا لسنا ندفع زكاتنا الا الى من كانت صلاته سكنا لنا " (٤)

(١) الخريطلى : على حسن - الدولة العربية الاسلامية - ص ٦٥ القاهرة ١٩٦٠

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٥٩ ، ابن الاثير ج ٢ ص ٣٥٢

(٣) سورة التوبة - اية ١٠٣

(٤) ابن كثير - البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١١

وارادوا بذلك أن الزكاة كانت محصورة على شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا خطأ فاحش .

وقد أوجدت هذه الفرقة من المرتدين حركة في المدينة ، إذ قام بعض المؤمنين يقولون بعد مقتلهم وهذا كان رأى عمر رضى الله عنه أنه لا داعى الى قتال مانعى الزكاة وقال لابي بكر علام نقاتل هؤلاء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان قالوها عصوا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها) (١) فقال ابو بكر والله لو منعوني غاقا وفى رواية عقلا كانوا يؤدونه الى الرسول لقاتلهم على منعها ؟ (١) وقال والله لا قتلتن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال . (٢) ثم قال ابو بكر لعمر : الا بحقها وحق الشهادة اداء بقية الفرائض .

وكان رأى ابي بكر هنا أن الغناء ركن من أركان الاسلام يعنى هدما للاسلام فلو تساهل - رضى الله عنه - فى ركن من اركان الاسلام لضاعت بقية أركانه ولتهدم بنيانه وقد استبان ذلك فيما بعد للقائلين بعدم قتال مانعى الزكاة ، فقال عمر - رضى الله عنه - فوالله ما هو الا أن قد شرح الله صدر ابي بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق (٣) وقال عبد الله بن مسعود لقد قمنا بعد رسول الله مقاما - بالنسبة لقتال المرتدين - كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبى بكر . (٤)

(١) الطبرى ج ٢ ص ٢٤٤ ، ابن الاثير - الكامل ج ٢ ص ٣٤٤ ، ابن كثير

ج ٦ ص ٣١١

(٢) ابن كثير - البداية والنهاية - ج ٦ ص ٣١١

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية - ج ٦ ص ٣١١

(٤) ابن الاثير - الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ٣٤٢

(٣) الخوف من سيطرة قريشى :

بعد ما انتقل الرسول الى جوار ربه فكر الذين لم يتمكن الايمان في قلوبهم فكرة خاطئة وهي انه ما دام الرسول قد توفى فمن يخلفه في هذا الدين ، واعتقدوا ان قريشا اذا وليت هذا الامر سوف تحوله الى ملك عضود فسعدوا جاهدين لكى يفوتوا هذه الفرصة على قريش ويقاسموهم ملك الجزيرة ظانين أنهم بذلك سيحدون من سيطرة قريش . . وخافوا ان تفرض عليهم سلطانها وتستيق بمركز السلطة بالجزيرة

فكانوا يعتقدون أنه اذا توفى محمد وهو الشخصية النادرة في العدل ، فمن المحتمل أن من سيخلفه من قريش سيحكم بهواه ويحكم هو وأهله وعشيرته فيعلى بذلك شأن قريش وتضيع سمعة قبائلهم ويحرمون هم من شرف السلطة .

(٤) الذين تنبأوا في حياة الرسول :

منهم من خشى سيطرة قريش بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسعدوا الى سلبهم هذه السيطرة بطرق شتى منها أن بعضهم قد ادعى النبوة فبعد ما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ظهر الاسود العنسى باليمن ومسيلمة باليمامة وظليحة بن خويلد في بني أسد وادعى كل منهم النبوة فكانت ردة هؤلاء قبل وفاته صلى الله عليه وسلم .

كان هدفهم من ذلك كما ذكرنا الرغبة في السيطرة ومشاركة قريش السلطة على بلاد العرب وهذا ما يظهر في كتاب الكذاب مسيلمة . . الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله ، السلام عليك ، أما بعد فأنى قد اشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض ، ولكن قريشا قوم يعتدون) .

ثم كتب الرسول اليه جوابا : (من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) . (٢)

فمن هذا يتضح أن الدافع الى ارتدادهم رغبتهم في تضيق نطاق السلطة لقريش بالنسبة للجزيرة العربية وسعيهم في مشاركتها في السيطرة .

ان هذه الدوافع لو دققنا فيها النظر لوجدنا انها ترجع الى جهلهم بالدين فلو تمكن منهم الدين على حقيقته وعرفوا جوهره لما فكر كل فريق منهم في التخلص منه بالطريقة التي اتبعوها لارتدادهم ، ولهذا أيضا سعى الرسول الى قتالهم وكبح جماح من تنبأ في عهده - حتى يكون الدين لله وحده وسعى بعده أبو بكر وعلى نفس النمط في دحض مفترياتهم وكبت رغباتهم المنحرفة وارجاعهم الى الصراط الذي ارتضاه لهم ربهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

هذه هي حركة الردة التي يصفها بروكلمان بأنها حركة لا دخل لها في الدين بل هي مجرد حركة أراد القائمون بها التخلص من سلطة المدينة الغير مريحة فلم تكن سلطة المدينة سلطة متعبة بل كانت سلطة تسعى الى خير البشرية واخراجها من ظلمات الجهل والاستعباد الى النور والعلم والحرية الحققة فظننها الجاهلون بحقيقتها سلطة تمنعهم من التصرف في حقوق صورها لهم جهلهم أنه من حقهم التصرف فيها بينما هي في الواقع تؤدي لهم الى السير في المسالك التي تؤدي بالمجتمع الى الانحطاط . . . وتمزيق أواصره .

(١) ابن هشام ج ٤ ص ١٨٣ ، ابن خلدون ج ٢ ص ٥٧ ، الطبري ج ٢ ص ١٤٦

يذكر بروكلمان :

() وعندما ظهر خالد بن الوليد في منطقة
تميم ، وجد الطاعة في كل مكان تقريبا ، الا أن
مالك بن نويرة ، سيد يربوع ، أحد بطون حنظلة ،
الذي انفصل عن المدينة عقب وفاة محمد مباشرة ،
ظل مؤمنا بسجاح ، بيد أنه عندما حاصره خالد
بفصائله ، عرض هو أيضا استسلامه ، ومع ذلك سمح
خالد بالقضاء عليه " بقتله " مع رجال آخرين وذلك
لانه اشتهى زوجته الجميلة كما يروى (*)

٥٥

ان هذه التهمة قد نقلها بروكلمان من اليعقوبي وأبي فرج الاصفهاني ، وقد
قلنا سابقا ان بروكلمان أوحى معا اذا نقلنا احدهما رواية ولم يحققها تحقيقا علميا
بمراجعة مصادر أخرى ، فان كلاهما يكون مسئولاً عن الرواية الافتراء وشريكا للمفتريين .

فتهمة خالد بقتل مالك بن نويرة ونزوته على امرأته قد كثر فيها المخط وتشتعبت

(١) بروكلمان - تاريخ الشعوب - ص ٤٣ (انظر النسخة المترجمة ص ٨٦)

فيها الآراء واختلفت تعدد الروايات . . . وان اختلاف الروايات وتعدد دها في
هذه القضية من أهم الأسباب في اضعاف صحتها .

ولو استعرضنا بعض الروايات التي قبلت في موقف خالد من مالك ، لوجدنا
أن لكل رواية ما يدحضها ويظهر زيغها .

لما قدم خالد البطاح بعث سرايا وأمرهم بدعوة الاسلام وأن يأتوه بكل
من لم يجب ومن امتنع أن يقتلوه ، وكان أبو بكر قد أوصاهم أن يؤذنوا اذا نزلوا
منزلاً فاذا أقاموا الصلاة سألوهم عن الزكاة وأن أبو نليقاتلوه .

فجاءته الخيل بمالك ، واختلفوا في أمر اسلام مالك ومن معه فكان أبو قتادة
من شهد باجابتهم للاذان ، ولكن بقية من كان مع أبي قتادة لم يذكروا انهم
سمعوا رد الاذان من مالك وقومه . فلما اختلفوا في أمرهم أمر بهم خالد فحبسوا
في ليلة باردة فنادى منادى خالد أن (دافئوا أسراكم) وكان على الاسرى ضرار
ابن الازور ، وهو من كنانة ، وكانت كلمة دافئوا في لغة كنانة معناها القتل ، فقتلهم
ضرار وسمع خالد بذلك فخرج وقال اذا أراد الله أمراً أصابه . (١)

وكرت الروايات في هذا الامر حيث صارت لفظاً ، وليس للعقل فيه مجال وتدخل
الدسائس من خلال هذا اللفظ ، ليضعوا في سيرة الرجل ما يشبهه ويحط من قدره ،
ونقلها الرواة المسلمون من غير تدبر ولا تفكير . (٢) فيقول العقبى (فأتاه مالك

(١) ابن الاثير ج ٢ ص ٣٥٨ ، ابن كثير - البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٢ ، ابن
خلدون ج ٢ ص ٧٤ ، الطبري ج ٢ ص ٢٧٨
(٢) د . ابراهيم شعوط - ابا طيل يجب أن تحى من التاريخ الاسلامي - ص ١٢٧

ابن نوية يناظره واتبعته امرأته فلما رآها خالد أعجبه فقال والله لانتك ما في مثابتك حتى اقتلك ، فنظر مالكا فضرب عنقه ، وتزوج امرأته . (١)

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في الاغانى انه لما تنبأت " سجاح " اتبعها مالك ثم اظهر انه مسلم ، فضوب خالد عنقه فطعن عليه جماعة من الصحابة لانه تزوج امرأة مالك بعده وقد كان يقال انه كان يهواها في الجاهلية واتهم لذلك بأنه قتل مسلما ليتزوج امرأته من بعده . (٢)

وفي رواية اخرى يقول فيها (ان ليلى كانت مع زوجها - مالك - وهو يناظر خالد ، فلما سمعته يقول انى قاتلك ، ووالله لاقتلك ، ألقت بنفسها على قدمى الفاتح تلتصق منه العفو وقد انسدل شعرها على كتفيها وبلل الدمع منها عيني زانها الحور فزادها سحرا ، ونظر خالد الى وجهها البارح وهي تنزل اليه مستعطفة مسترحمة نظرة هوى واعجاب فصاح مالك اننى مقتول لا محالة واجاب خالد : ما لهذا والله انما قضى عليك كفرى ، وأمر بضرب عنقه) . (٣)

ان من الرواية نفسها يتضح لنا عدم اسلام مالك كما ان امر خالد للسريسة ان ياتوه بمن لم يجب لداعية الاسلام وأن مجيب الخيل بمالك يدل على عدم اسلامه واجابته للدعوة ، فلو صح اسلام مالك لذهب الى قائد المسلمين طائعا مختارا معلنا اسلامه . (٤)

(١) البعقوبى ج ٢ ص ١٣١

(٢) الاصفهاني : أبو الفرج - الاغانى ج ١٤ ص ٦٤

(٣) المصدر السابق ص ٦٦

(٤) عرجون : صادق - خالد بن الوليد ص ١٤٦

كما أن زيف هذه الرواية يظهر في عدم تناسقها فلو أن قوم مالك أتوا مع المسلمين كما قال أبو قتادة لانتفى الخلاف لأنهم كانوا في الصلاة جماعة ، فكيف يكون هناك خلاف وكلهم كانوا في صلاة واحدة فيذكر أبا قتادة أنهم صلوا مع المسلمين ويذكر بقية الفصيلة أنهم لم يصلوا فهذا تناقض غير واضح ولا يمكن أن يقع على هذه الصورة ، ولو علم الجيش بأمر أبي قتادة لما احضروا قوم مالك إلى خالد ، وأيضا لما وضعهم خالد حتى يتحقق من أمر إسلامهم .

(موقف الصديق والفاروق من سيف الله)

يذكر المؤرخون أنه لما وصل أبو قتادة إلى أبي بكر فأخبره بمقتل مالك قال عمر لا يبكر أن سيف خالد فيه رهنق ، وأكثر عليه في ذلك فقال : هيه يا عمر تأول خالد فاخطأ ، فارتفع لسانك عن خالد فأنى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين وودي مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ، ففعل ، ودخل المسجد وطبه قباء وقد غرز في عمامته سهمين فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال له : قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امراته والله لأرجمنك يا حجارك (١) . وخالد لا يكلمه فظن أن رأى أبي بكر مثله ودخل على أبي بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعدره وتجاوز عنه فخرج خالد وعمر جالس فقال هلم إلى يابن أم سلمة فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه . (١)

لو استعرضنا مقام الرجلين في الحفاظ على دين الله وفي اتباع سنة رسول الله والجرأة في الحق ، وعدم الخشية إلا من الله - لو استعرضنا كل ذلك لوجدنا أن أبا بكر

(١) الطبري ج ٢ ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٣٥٩ ، ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٥

لا يمكن أن يدافع عن انسان انتهك حرمة من حرمة الله . . ولا يمكن أن يفرض في حد من حدود الله مهما كانت الاحوال والظروف .

كما أن عمر يسير معه على هذا المنهج ، فلا يمكن أن تأخذ واحدا منهما رافعة على جان أو مذنب ولا ينبغي أن يكون للمركز الادبي أو الاجتماعى أثر فى تقدير الجريمة أو توقيع العقوبة .

ونستطيع بعد ذلك أن ندرك أن عرض صورة الخلاف بين أبى بكر وعمر فى هذا الشأن لا ينبغي أن يكون . . لان خالدا اما أن يكون بريئا فى نظر الرجلين فلا تريب عليه ، واما أن يكون مسيئا فلا يصح لأبى بكر أن يتلمس له المعاذير مع وقوفه فى الجريمة مهما كانت حاجة الدولة اليه ومهما كان بلاؤه .

ثم لماذا صور الرواة موقف عمر وحده ضد خالد ، مع أن هذه القضية من الخطورة بحيث يكون اعلام الصحابة جميعا لهم رأى فيها ؟ (١)

فالمسألة ليست هى مسألة اجتهاد فى أمر مشتبه فيه بل الاختلاف فى أمر واضح صريح . . ثم أن الحادث - قتل خالد لمالك - وهو مسلم ، قد علم به بعض أهل السرية أو الفرقة كلهم وكلهم من الصحابة من مهاجرين وأنصار وكان ايمانهم هو ايمان أبو قتادة فلورأوا خطأ خالد لكان موقفهم هو موقف أبى قتادة من انكاره للحادث لانهم كلهم صحابة رسول الله وكلهم على درجة واحدة من الايمان بحيث لا يقبلون ظلما ولا جورا ولا اعتداء على مسلم برى .

(١) انظر أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ الاسلامى ص ١٣٣

ثم ان الرواية تقول أن أبا بكر ودى مالكا فنقول نحن اذا كان أبو بكر ودى ، مالكا فقط والرواية نفسها تقول ان مالكا قتل مع اصحابه اعتمادا على قول خالد دفتوا اسراكم فلم لم يودى أبو بكر بقية أصحاب مالك وهم قتلوا على حكم واحد . ورأيهم كان على رأى سيدهم مالك فمن الواجب أن يكون حكمهم فى الدية هو حكم سيدهم . حتى لو اختلف مقدار الدية .

وما الفرق فى رأى عمر بين اسلام مالك واسلام اصحابه فلماذا كان غضب عمر على قتل مالك ولم تهزل القصة أنه غضب على قتل البقية ، أما كان غضبه على الجماعة أولى ؟

وأبو قتادة نفسه لماذا لم ينكر على خالد الا قتله مالكا ، ولم ينكر عليه قتل الجماعة ، أما كان قتل الجماعة أولى بالغيرة على قتل الفرد ؟

(مالك بن نويرة لم يكن مسلما)

هنا فلننظر الى رواية ابن الاثير للحديث الذى جرى بين عمر ومتم بن نويرة أخى مالك - فيقول ابن الاثير " ولما قدم - متم - على عمر قال له ما بلغ بك الوجد على أخيك ؟ قال : بكيته حولا حتى اسعدت عيني الذاهبة عيني الصحبة . . الخ فقال عمر انشدنى بعض ما قلت فيه فأنشده مرثيته التى يقول فيها :

وكنا كدمانى جذيمة حقبية من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنسى ومالكنا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر لو كنت أقول الشعر لرثيت أخى زيدا فقال متم : ولا سواء يا أمير

المؤمنين لو كان أخى صرع مصرع أخيك لما بكيته . . فقال عمر : ما عزاني أحد بأحسن
ما عزيتني به - فهذا دليل من أخيه على موته كافرا . (١)

وتزعم بعض الروايات أن عمر قال : " لئن وليت الأمر لاقبذتك به " .

وحقق الله أمنية عمر وولى الأمر بعد أبي بكر ، فأين وعد عمر بإقامة الحد وأيسر
جراة عمر وقوة إيمانه فليس هو بالذى يشبهه شئ عن إقامة حد أو أداء واجب فـسـا
دلالة هذا ؟ هذا يدل على أن عمر كان مقتنعا براءة خالد من تهمة قتل مالك
ابن نويرة وهو مسلم لأنه لم يقم عليه الحد بعد أن أصبح خليفة للمسلمين .

(براءة خالد)

أما موضوع أم تميم وقصة زواج خالد بها فقد اختلفت الروايات في كيفية
اتصال خالد بأم تميم أرملة مالك بن نويرة كما اختلفت في مقتل مالك . فبعض الروايات
تقول أن أم تميم كانت مسلمة وقد انفصلت (٢) عن مالك بمجرد ارتداده إلا أنها ظلت
محبوسة عنده .

وثانية تقول بأن خالد قد اشتراها من الغنى وبنى بها . (٣)

وأخرى تقول بأنه تركها حتى ينقض طهرها . (٤)

(١) ابن الأثير - الكامل ج ٢ ص ٣٦٠

(٢) صادق عرجون ص ١٥٥

(٣) الصدر السابق ص ١٥٧

(٤) الطبري ج ٣ ص ٢٧٨ ، ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٢ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٣٥٨

فعلى كل حال قد كان زواج خالد بأم تميم زواجا شرعيا بدليل أن أم تميم
بقيت مع خالد حتى رجع إلى اليمامة . (١)

أما ما قيل من أن خالد خالف التقاليد الشرعية وزواجه من أم تميم في ميدان
القتال فلهل خالد اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجه من السيدة صفية
بنت حبي من أخطب في غزوة خيبر .

—•—

(١) العقاد : عبقرية خالد - ص ٩٨

ويذكر كارل بروكلمان في كتابه "تاريخ الشعوب" عن سيدنا عثمان فيقول :

(وقد يكون أصله الارستقراطي هذا ، الذي عادل عند النبي نقص الكفاءات الشخصية) . (١)

٥٥

لاندرى مانايريد بروكلمان من هذا النص الذي كتبه حول عثمان بن عفان ، فمهل ويريد أن يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم اختار عثمان - رضي الله عنه - ليكون صهره بسبب غناه وشروقه ومظهره الارستقراطي ، كما يقول بروكلمان ، واعتبر الرسول أن شرا عثمان يعادل نقص كفاءته الشخصية وعلى ذلك عقد معه صاهرته على كرميته (رقيصة وأم كلثوم) ٢٢٠

وهذه رمية من غير رام ، لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ينظر في معاملة اصحابه الى شيء غير التقوى والصلة الخالصة بالمولى سبحانه وتعالى والعمل الصالح والخلق الفاضل .

(١) بروكلمان ص ٥٧ - انظر النسخة المترجمة ص ١١٠

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راضيا كل الرضا عن عثمان لتقواه وعمله
الصالح فقال مرة اللهم ارضى عن عثمان فاني غم راض ، ولما توفيت زوجته الثانية
قال له الرسول عليه الصلاة والسلام [زرعوا عثمان لفر كانت عندي ثالثة
لزرعته وماررجهته الابو هي من الله عز وجل]^١
فاذا دققنا في القضية التي ذكرها بروكلمان نجد أن الدافع لرسول الله صلى
الله عليه وسلم في علاقته بعثمان ورضاه عنه لم يكن لشيء من أمور الدنيا كما أن عثمان
لم تكن تنقصه الكفاءة الشخصية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعد وفاته
والا لما اختاره أهل الشورى الذين عنهم عمر لاختيار من يخلفه . . فاختياره من السنة
دليل واضح على أنه أكفأ الموجودين وأصلحهم لرعاية شؤون المسلمين .

فكيف يقال أن أصله الاستقراطي هو الذي عادل نقص كفاءته عند
النبي صلى الله عليه وسلم . .

(١) البيهقي: نور الدين على به ابن بكر - مجمع الزوائد

ومشيع الفوائد ٥٤٢ هـ بيروت ١٩٦٧ م

ثم يستطرد بروكلمان في نفس الصفحة فيقول :

(وليس من شك أيضا في أن أعضاء المجلس
آثروا اختياره رغبة منهم في أن يروا على رأس المسلمين
رجلا يستطيعون توجيهه والتعامل معه في سهولة
وسر) . (*)

٥٤

أما عن المعنى الذي قصده بروكلمان من أن اختيار الصحابة لعثمان لأنه
كان ضعيفا بحيث يمكن توجيهه والسيطرة عليه فهذا قول لم يقله أحد ولم يكن له
واقع في التاريخ ، فان أعضاء المجلس الذي عنه الخليفة الراحل لم يكن أحد منهم
يعرف من منهم سيكون الخليفة الى آخر لحظة وهذا ما يظهر من قصة الشورى
وسأوردها حتى يتضح الامر أكثر وهي أن عمر د عا عليا وسعدا وعثمان وعبد الرحمن بن
عوف والزيبر ، فقال لهم أنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ، لا يكون هذا الامر
الا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راضى .

فان أعضاء مجلس الشورى الذين اختارهم أمير المؤمنين ورأى أنهم أفضل
القوم ممن بقى من الذين ذهب الرسول وهو عنهم راض ، هؤلاء الستة رأى فيهم عمر
أنهم هم أفضل القوم وهم الذين يخافون ربهم ، يتقون حق تقاته ولم يكن لهم منهم حج

يسرون عليه سوى منهج الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم أمرهم أن يتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأتي اليوم الرابع الا وعليهم أمير منهم ، وبناءً على رغبة أمير المؤمنين عمر فسي سرعة البت في هذه القضية أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من هذا الامر على أن يكون حكماً يختار من براء أقوى وأصلح لولاية امر المسلمين . وعرض أعضاء مجلس الشورى عن عبد الرحمن بن عوف وأخذوا منه ميثاقه على أن يؤثر الحق ولا يتبع الهوى ولا يخصص ذا رحم ولا يألوا الامة نصحا .

كما أعطوه موافقتهم على ان يكونوا معه على من يبذل أو يغير وأن يرضوا على من يقع اختياره عليه .

وبذل عبد الرحمن بن عوف جهده في التحري عن الاصلح والا قوى لحمل مسئولية الخلافة ، وانحصرت الاراء كلها في رجلين من الستة هما عثمان وعلي بن أبي طالب ، فأصبح موقف عبد الرحمن بن عوف دقيقاً جداً في تفضيل أحد هذين الرجلين على الاخر

فدعا عليا وقال طيبك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده . . قال أرجو أن أفعل فأعمل ببلغ علمي وطاقتي ، ودعا عثمان فقال له شلما قال لعلي نعم نعم . . فرفع رأسه الى سبق المسجد وبيده في يده عثمان ، فقال اللهم اسمع واشهد اللهم أني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبته عثمان فبايعه . (١)

فمن سياق هذه الاحداث تبين أن اختيار عثمان خليفة للمسلمين لم يكن

(١) انظر الطبري ج ٤ ص ٢٣٨ ، ابن الاثير ج ٣ ص ٦٥-٦٦ ، ابن كثير ج ٧ ص ١٤٤-١٤٧

• الا لانه أقوى وأصلح من يتحمل المسئولية أمام الله وأمام المسلمين •

وهنا تسقط دعوى بروكلمان من أولها الى آخرها لعدم وجود سند يعتمد عليه

• فيما يزعم •

الفصل الثالث

بعض آراء (بروكلمان) في صيرني أمية وبنى العباس والرد عليها

١

ويتعرض بروكلمان لسيرة الصحابي الجليل المغيرة بن شعبه فيصفه بأوصاف تشبه السباب فيقول عنه :

(وهو رجل انتهazy لا ذمة له ، ولا زمام ، واضطر في شبابه الى أن يفادر مسقط رأسه الطائف بسبب جريمة قتل ، حتى اذا كانت سنة ٦٢٩ وقد على محمد في المدينة ثم أنه حطم الهة البلدة بأمر من الرسول وأظهر من التقوى ما جعله في جملة الارستقراطية الاسلامية الجديدة)

ثم يعود فيستطرد ويقول :

(وقد عنه عمر بن الخطاب على البحرين ثم البصرة الا أنه عزله من منصبه من سوء السيرة الا خلافة الزنا - (٠))

دائما نقف مع بروكلمان أمام كل رواية خاطئة وكل فرية ذكرها المغرضون فسوء
الاسلام لنقول أنه كان ينبغي على بروكلمان أن يتحقق من صحة الاكذوبة التي ينقلها
عن بعض المراجع العربية وليس لها من القوة ما يقف أمام النقد العلمي ، فقد نقل
في كتابه عن المغيرة بن شعبه انه رجل انتهazy لا ذمة له ولا زمام وأخذ عليه أنه
ارتكب جريمة قتل قبل اسلامه .

ثم ذكر أنه اظهر من التقوى ما يجعله من الصفوة المختارة عند الرسول صلى
الله عليه وسلم . فلو كان بروكلمان صاحب نية حسنة أو باحث أكاديمي لعلم أن فحج مع
هذه الرواية أمورا لا ينبغي تسجيلها في صحيفة أحد الصحابة ، وكان يجيب
أن يعرف أن سيرة الصحابة في جاهليتهم لا يقام لها وزن بعد اسلامهم ، فقد أصبح
المغيرة بن شعبه بعد اسلامه موضع ثقة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم صحابي
من بعده فولاه عمر البحرين ثم البصرة ثم الكوفة (١) وأقره على ذلك عثمان من بعده
ثم معاوية . (٢)

ثم هو فوق هذا كله بحمل شهادة من القرآن الكريم بأنه من الذين رضى الله
 عنهم في قوله تعالى " لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يباعدونك تحت الشجرة " (٣)
فهو ممن حضر بيعة الرضوان في الحديبية وكان له موقف مع عروة بن مسعود الثقفي
الذي كان يتناول لحبة الرسول عليه الصلاة والسلام اثنا عشر فيقرع المغيرة بسد
عروة ويقول له أكف يدك من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٤)

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٠ - ابن الاثير أسد الغابة ج ٥ ص ٢٤٨

(٢) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢

(٣) سورة الفتح آية ١٨

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ٢٠٠ ، الطبري : التاريخ ج ٢ ص ٦٢٧ ، ابن الاثير - الكامل

ج ٢ ص ٢٠١ ، ابن كثير ج ٤ ص ١٦٧ .

فاذا كان القرآن قد ذكره في بيعة الرضوان فمعنى ذلك أنه كان من الصفوة المختارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن كما قال بروكلمان انه انتهazy لا ذمة له ولا زمام . . .

ونحن نذكر بعض مواقف المغيرة من الاسلام في بعض المراجع العربية مما يدحض زعم بروكلمان ويجعلنا لا نقيم وزنا لما يذكره خصوم الاسلام . . .

فالمغيرة بن شعبة شهد اليمامة وفتح الشام وذهبت عينه باليرموك وشهد القادسية وفتح نهاوند وهمدان . (١)

واعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان (٢) وآثر البعد عن الخوض فيها ويصفه بروكلمان بأنه لا ذمة له ولا زمام .

أما اتهام المغيرة بن شعبة بأن سبب عزله عن البصرة لسوء سيرته الاخلاقية فهى تهمة لا نصب لها من الحقيقة ويكفى لنفيها وكشف زيفها تولية عمر له على الكوفة بعد البصرة فلو صحت هذه التهمة عند عمر لما جدد له العهد برعاية أمور المسلمين حين يوليه على مصر مثل الكوفة ثم كيف يتطرق الشك الى صحابي مثل المغيرة وهو من رواية الحديث الذى لا يتطرق الشك اليهم . (٣)

—•—

(١) ابن الاثير - أشد الغابق - ج ٥ ص ٢٤٨ ، تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢

(٢) المصدران السابقان .

(٣) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٦٢

ويتطرق بروكلمان لشخصية عبد الله بن عباس أثناء حديثه عن قيام الدولة
الأموية ، قال :

(وكان عبد الله بن عباس قد استولى قبل ذلك
على مافي بيت مال البصرة وانضم الى صفوف
معاوية) . (١)

٥٥

نعود فنقول ان بروكلمان وامثاله يدسون أنوفهم في كتب التاريخ ويبحثون
عن الروايات الهذيلة التي رواها المخرضون . . ثم يعرضونها على الناس لينتقصوا بها
من قدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان المفروض أن مثل بروكلمان
يعرض هذه القضية على موازين التحقيق العلمي ويفحص رواة القصة قبل أن يصد ر
حكمه عليها ، فقصة عبد الله بن عباس وما قيل عنه من أنه أخذ مافي بيت مال البصرة
لم نجد لهذه الرواية سوى نقلها عن أبي الاسود الدؤلي في كتب التاريخ الاولى التي
تعتمد على نقل الخبر دون فحص أو تدقيق كما أنها وجدت في بعض كتب الادب مثل
العقد الفريد . (١)

(*) بروكلمان ص ٦٤ - انظر الترجمة العربية ص ١٢١

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ٥ ص ١٠١

وقد ذكرت سابقا بعدم وجوب قبولنا هذه الاخبار التي اختصت بها كتب الادب ونقلتها كتب التاريخ من غير تحقيق . . بل يجب علينا أن نضعها تحت مجهر الحقيقة والواقع وننظر اليها بمنظار عصرها التي جرت فيه ونقد منها بذلك لمجال الجرح والتعديل .

ولا ينبغي علينا أن نأخذ بها كما نقلها المغرضون وروجوا لها وحاولوا الباسها ثوب الحقيقة هادفين بذلك الاساءة الى الاسلام ورجاله . . فرواية استيلاء ابن عباس على مال البصرة هي من ضمن هذه الروايات المختلقة في كتب الادب والتاريخ فحاول زعماء الاستشراق اصطباذها وعرضها على الملأ بالصورة التي يرغبون .

فلو أبعدنا شخصية عبد الله بن عباس عن واقعها الحقيقي من حيث ايمانها وعلمه ونسبه وصحته ولننظر الى القضية نظيرة مدققة ون اعتبار لاي ناحية من نواحي شخصيته رضى الله عنه لتظهر لنا الحقيقة .

فالذين ذكروا القصة يتفقون على رأى واحد وهو أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قد مر على أبي الاسود الدؤلى وكان على بيت مال البصرة وقال له : لو كنت من البهائم لكتبت جملا ، ولو كنت راعيا لما بلغت المرعى . . فكتب أبو الاسود الى عيسى أن ابن عمك أكل ما تحت يديه بخير علمك ^(١) ويتفقون أيضا على أن المكاتب لم تحصل الا فور المشاحنة التي حصلت بين بن عباس وأبي الاسود .

(١) الطبرى ج ٥ ص ١٤١ - بن الاثير ج ٣ ص ٣٨٦ ابن خلدون ج ٢

والظاهر من الرواية أن ابن عباس قد مر بأبي الاسود ووبخه على أمر ما ، فأساء ذلك الى أبي الاسود فحاول الانتقام لنفسه فما كان منه الا أن سلك هذا المسلك ، ذلك لان الرواية لم تذكر أى حديث قد دار بين ابن عباس وأبي الاسود . . . حول المال أو بيت المال . . . ومعنى ذلك أنه لو صحت هذه الرواية ، ولم تحدث المغاضبة ما كتب أبو الاسود مثل ما كتب . (١)

ثم نقول الرواية أنه قد جرت هناك عدة مراسلات بين علي بن أبي طالب من جهة ، وبين ابن عباس وأبي الاسود من جهة أخرى يظهر منها اقتناع الامام علي بن أبي الاسود ، واصراره على ابن عمه بارجاع المال أو تبيان مقدار المبلغ ووجه انفاقه . (٢)

ولو نظرنا الى هذه الناحية من القضية فهل من المعقول أن علي بن أبي طالب يتهم ابن عمه العباس باختلاس بيت مال المسلمين بمجرد وصول الخبر اليه من أبي الاسود . . . ولنفترض أن الخبر من أبي الاسود قد وصله بالتأكد لم لسم يقم سيدنا علي بتحري القضية والاستفسار عن مدى صحتها وهذا ما لم تذكره كتب التاريخ هل كان أبو الاسود صدقا عند علي أكثر من ابن عباس لدرجة أنه بمجرد أن يصله الخبر يبادر بارسال كتاب لابن عمه يطلبه باحضار المال .

كما أن بروكلمان يقول " ان ابن عباس قد انضم الى معاوية وترك عليا . . . " . . . ولسنا نعرف من أين أتى بروكلمان بهذه القضية فلم أجد لها صحيح سند في كتب

(١) د . شعوط: ابراهيم ابا طيل يجبان تمحي من التاريخ الاسلامي ص ٢١٢

(٢) الطبرى ج ٥ ص ١٤٢ ، ابن الاثير ج ٣ ص ٣٨٦

التاريخ وكل ما ورد في هذا الصدد هو أن ابن عباس هدد عليا بالانضمام الى معاوية وهذا ما ذكره ابن عدي في كتابه الادبي " العقد الفريد " حيث قال : " والله لئن لم تدعني من اساطيرك لاحملنه الى معاوية بقاتلك به فكف عنه علي " . (١)

أما الانضمام الفعلي الى معاوية الذي يزعمه بروكلمان فليس له من الحقيقة

نصيب .

ولو استوعب بروكلمان كل ما قيل في ترك ابن عباس البصرة لوجد ما يدحض زعمه ، فالكل متفق على أن ابن عباس قد خرج من البصرة الى مكة ولم يلحق بمعاوية في الشام (٢)

كما أن هناك عدة روايات تنفي هذه القصة المختلفة . . فيروي ابن الاثير أن ابن عباس لم يزل طملا على البصرة لعلي حتى قتل علي . (٣)

ويذكر في رواية أخرى أن ابن عباس كان على مقدمة الجيش الذي أظهره الحسن لاختد البيعة من معاوية (٤) . . ويروي السيوطي في بقية الدعاة أن ابن عباس هو الذي استخلف أبا الاسود على البصرة عند شخوصه الى الحجاز فظل فيها حتى قتل علي . (٥)

-
- (١) ابن عدي ربه - ج ٥ ص ١٠١
 (٢) الطبري ج ٥ ص ١٤٢ ، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٣٨٧ ، ابن كثير البداية
 والنهاية ج ٧ ص ٣٢٢ ، ابن خلدون ج ٢ ص ١٨٥
 (٣) ابن الاثير ج ٣ ص ٣٨٦
 (٤) ابن الاثير ج ٣ ص ٤٠٤
 (٥) السيوطي : جلال الدين - بقية الدعاة ج ١ ص ٤٥٨ - القاهرة ١٣٨٤

وبروي ابن خلكان ان ابن عباس هو الذي استخلف أبا الاسود على البصرة عند سفره الى الحجاز ولم يذكروا قصة الاختلاس^(١) كما أن بعض المراجع لم تذكر هذه القضية مثل ابن حجر^(٢) ولا ابن الاثير^(٣) فاختلف الروايات دليل على عدم التاكيد من الموضوع ذاته ولكن ينبغي علينا أن نأخذ بالاقرب للواقع والمنطق والمطابق لواقع العصر والشخصية ذاتها .

وبعد هذا يتضح لنا عدم صحة فرية الاختلاس وفرية الانضمام الى معاوية .

ثم لو نظرنا الى الشخصيات التي تدور حولها هذه الفرية لبدأ الامر أكثر وضوحاً . . ف شخصية ابن عباس ومكانتها من ناحية التقوى والعلم والنسب وهذا مما سأذكره فيما بعد . . كانت على نقبي شخصية أبي الاسود الدؤلي المشكوك في سلامتها .^(٤)

كان أبو الاسود معروفاً بالبخل ، وكان يقول لو أطعمنا المساكين في أموالنا كما أسوأ حالاً منهم وقال ليني لا تجاودوا اللعز وجل ، فإنه أجود وجوده لو شأنا أن يوسع على الناس كلهم لفعل ، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزلاً .^(٥)

انه اذا كان هذا القول صحيحاً من أبي الاسود فقد سقطت شهادته فلا تقبل على عبد الله بن عباس لان أبا الاسود بناءً على هذه الرواية صريح وجاهر بأمر كان يجاهر به الكفار والمشركون حين كانوا يقولون (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟)^(٦)

(١) ابن خلكان : أبو العباس - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٥٣٨ - بيروت دار صادر

(٢) تهذيب التهذيب (٣) أسد الغابة

(٤) د . شعوط - أبا طيل يجب أن تحي من التاريخ الاسلامي ص ٢١٢

(٥) ابن خلكان - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢١٨

(٦) د . شعوط - ص ٢١٣

ثم يعود بروكلمان ويتطرق لابن عباس أثناء حديثه عن ظهور الدولة العباسية :

(وكان جدهم عبد الله بن عباس وهو ابن عم
الرسول ، وإن لم يجد سبيلا إلى تشييل دورسياسي
ما فقد صرف همه إلى الحديث يد رســـــــــــــــم
ويتزود فيه بالخيال الطياش والاستمداد من
القصص التلمودي الذي قره اليه نفر من اليهود
الداخلين في الاسلام) . (*)

٥٥

حقا ان ابن عباس لم يمثل دورا سياسيا في الدولة الاسلامية سوى ولاية البصرة
في خلافة علي بن أبي طالب الذي ما لبث أن توفي الامام علي حتى ترك ابن عباس
البصرة واختار الإقامة في مكة بمحض ارادته كما تقدم .

وما نعرف عن ابن عباس أنه في يوم من الايام قد سعى لنيل مركز سياسي فسدت
في وجهه السبل ، كما يزعم بروكلمان * بل أن هناك مواقف عدة توضح تجنب ابن عباس
عن هذه المواقف ورغبته في عدم السعى لطلب أي دور سياسي . . . وها هو ذا ابن عباس
يقول لمعاوية بعد ما أخذ البيعة من أهل المدينة لابنه يزيد " يا معاوية أني لخليق
أن أنحاز إلى بعض السواحل ، فأقيم به ثم انطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم
خوارج . " (١)

(*) بروكلمان ص ٩٣ (انظر الترجمة العربية ص ١٦٦)

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ٥١٠

ان هذا افتراء وكذب وروي بن عباس بأنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخترع احاديث من محض خياله أو متأثر بقصص التلمود وما وضعه اليهود في كتبهم من الكذب والافتراء فأى رمية هذه التي روى بها بروكلمان هذا الصحابي الجليل حبر الامة وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدق من روى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد شهد له أهل العلم من الصحابة بصدق ما يروى وتحريمه دائما وجه الصواب بحيث اطلق عليه علماء الحديث انه من الرواة المحدثين المتخصصين في رواية الحديث واعتبروه في الدرجة الاولى من الرواة والمحدثين مع أبي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك وطائفة رضى الله عنهما وابن مسعود وهؤلاء جميعا لا يتطرق الشك اليهم في حسن تقديريهم لابن عباس . . . ومرويات بن عباس المسجلة في الكتب الصحاح قد بلغ عددها (١٦٦٠) حديثا . (١)

فهذا ابن عباس وفي مقدوره أن يفعل ما يفعل ولكن لا يريد من هذا الامر شيئا وها هو ذا معاوية عند وفاته يوصي ابنه يزيد فيقول (واني لست أخاف عليك أن ينازحك هذا الامر الا أربعة نفر من قريش : الحسن بن علي ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . (٢)

ولم نر من ضمن هؤلاء الأربعة أنه قد ذكر ابن عباس فقد كان معاوية عارفا تمام المعرفة من ناحية ابن عباس بأنه لا رغبة له في الامر بل كل همه العلم والتحصيل والبعد عن ذلك الدرب .

(١) أبوزهو - الحديث والمحدثون ص ١٤٠

(٢) ابن الاثير - ج٤ ص ٦٦ ، الطبري ج٥ صفحة ٣٢٢

ويروى ابن الاثير أيضا أن ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة فعادا الى المدينة فلقبهما الحسين وابن الزبير فسألاهـما : ما وراءكما ؟ فقال : موت معاوية وببيعة يزيد . فقال ابن عمر : لا تفرقا جماعة المسلمين ، وقد هم هو وابن عباس المدينة فلما بايع الناس بايعا . (١)

يعنى أن ابن عباس لم يعارض ولم يمدح ولم يدع لنفسه ما لغيره من أمور الخلافة فابن عباس كان رجلا زاهدا في هذا المجال من الحياة لم يسع لطلبه ولم يسع لتسهيل سبله حتى يصل اليه .

فلو كان بروكلمان قد اكتفى في روى ابن عباس بالكذب والاعتماد على الخيال فيما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكتفينا بهذا الرد ، وانما أضاف الى هذه التهمة تهمة أخرى وهى أنه اعتمد على قصص التلمود وعلى ما أملاه عليه نفسـر من اليهود الداخلين في الاسلام .

وحن ازاء هذه التهمة لا يسد لنا من الرد على بروكلمان لان ما رواه ابن عباس من احاديث كان كله فسى فضل العلم والحث على طلبه والسعى في الحصول عليه والعمل من أجل الآخرة ، هذه المعانى كلها لم تكن معروفة لليهود قبل الاسلام كما أنها لم توجد في كتب التلمود الموجودة بين ايديهم ، فكيف يذكر بروكلمان أن ابن عباس تزود من القصص التلمودية فيما روى من أحاديث . . ولم يضع ابن عباس من الاحاديث التى تبين أحقيته في الخلافة كبعض زعماء الشيعة مثلا .

ومع هذا فاننا لو نظرنا الى نشأة ابن عباس وتربيته في صغره وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحب رسول الله له لوجدنا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على مدى صدق ابن عباس فيما يرويه عن الرسول الكريم ، فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة مناسبات . . عن ابن عباس قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . (١)

وقال صلى الله عليه وسلم اللهم آتني الحكمة اللهم بارك فيه وانشر منه . (٢) وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعطه الحكمة وعلمه التأويل اللهم احشني جوفه حكما وعظما . (٣)

وقد بلغ ابن عباس من صغر سنه مركزا مرموقا بين كبار الصحابة فقد كان عمره يدخله مع أشياخ بدر في مجلسه وكان عمره على مهارته وحذقه واجتهاده لله والمسلمين كان اذا جأته قضية معضلة قال لابن عباس انها قد طرأت علينا قضية عضل . . فانت لها ولائها وبأخذ بقوله . (٤)

كما يروى ابن عبد البر أن عمر كان يسجبه ويدنيه ويقربه ويتشاور مع أهله من الصحابة ويقول عنه أن ابن عباس من الكهول له لسان قنول وقلب عقول . (٥)

ويروى أيضا عن مسروق أنه قال في مترجمان القرآن ابن عباس لو أدرك اسناننا ما عاشره منا رجل . (٦)

-
- (١) ابن ماجه
 (٢) حلية الاوليا ج ١ ص ٣١٥
 (٣) حلية الاوليا ج ١ ص ٣١٦
 (٤) ابو زهو - ص ١٤٠
 (٥) الاستيعاب ج ٣ ص ٩٣٥
 (٦) الاستيعاب ج ٣ ص ٩٣٥

وقال القاسم بن محمد ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من قواه . (١)

وعن عائشة رضي الله عنها سئلت من استعمل على الموسم العام قالوا : ابن عباس - قالت هو أعلم الناس بالحج . (٢)

كان عطاء اذا حدث عنه قال حديثي البحر ، وابن مهران ، اذا ذكر غده ابن عمر وابن عباس قال كان ابن عباس اقمهما . (٣)

وقال ابن عمر أنه قد آثر علما ، وقال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا ، لو ان جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا . (٤)

هذا هو ابن عباس في رأى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم .

والخلاصة أن ابن عباس لم يستعمل خياله الطياش ولم يستمد من القصص التلمودي الذي قربه اليه نفر من اليهود كما يقول بروكلمان لان ابن عباس أولا : قد عرف عنه التحري في أخذ الرواية من أصلها ، فقد وردت عدة روايات تبين مدى تحري ابن عباس في أخذ الرواية من أصلها فيروى ابن الاثير عن عبد الله ابن أبي رافع قال كان ابن عباس يأتي الى رافع فيقول ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم يوم كذا ومع ابن عباس من يكتب ما يقول . (٥)

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٩٣٦

(٢) الشيرازي : ابواسحاق - طبقات الفقهاء ص ١٨ - بغداد ١٣٥٦

(٣) المصدر السابق (٤) حليقا لوليا ؟ ج ٢ ص ٣٢٠

(٥) الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ ، ابوزهو ص ١٣٩

وثانيا : ان تحرى ابن عباس فى روايته لم يجعله يشق بالاسرائيليات ولا بما نقله اليهود فى كتبهم لانه كان دائما يتحرى عن سند كل رواية تصل اليه .

ويرى الدارى فى مسنده عن ابن عباس أنه كان يأتي باب احد الانصار وهو قائل يقول " فأتوسد رداى على بابى يسقى الريح على التراب فيخرج فيرانى فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت لى فأتيك فأقول : لا أنا أحق أن أتيك فأسألك عن الحديث " . (١)

—•—

كما خاض بروكلمان بالنسبة للعصر العباسي في مسألة الزواج المزعوم بـدين
العباسة وجعفر البرمكي فقال :

(وتعزو الروايات سبب الخلاف الاخير بين
هارون الرشيد وجعفر البرمكي الى حادثـة
غرامية حصلها أن الخليفة عقد لجعفر على
اخته العباسة عقدا صوريا حتى يكون في ميسوره
أن يأنس بالاجتماع بهما في وقت معا ، ولكن
جعفر أساء اصطناع هذه الحرية التي تمت
له) . (*)

ثم زعم : (ان الذين دخلوا حديثا في الاسلام فسـى
العصر العباسي لم يرتاحوا ارتياحا كليـا
لشعائره الصارمة) . (١)

٥٥

ولكني لم أقم بالرد على بروكلمان في هذه النقاط خشية التكرار فقد تعرض
لها فيليب حتى من قبل وردت عليه .

(*) بروكلمان - ص ١٨٢
(١) المصدر السابق ص ١٨٣

(١٩١)

القسم الثالث



مقارنة
بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الآراء والافتراءات
وتبريرها

وما دنا بصدد المقارنة بين طريقة (حتى) وطريقة (بروكلمان) في ذكر
المفتريات على التاريخ الاسلامي :

فاننا نذكر :

أولا : القضايا التي اتفقا على ذكرها ، فلسنا ندرى كيف تم الاتفاق بينهما هل كان
ذلك بالصدفة أم توارد الخواطر أم أن أحدهما نقل عن الآخر ؟

- ثانيا : القضايا التي انفرد بها فيليب حتى
- ثالثا : القضايا التي انفرد بها كارل بروكلمان

هه

أولا - القضايا التي اتفقا على ذكرها

(١) سبب خروج السيدة عائشة في معركة الجمل :

فكلاهما قد ذكروا أن السيدة عائشة قد خرجت في هذه المعركة لتشفى
ما بصدورها من حقد على علي بن أبي طالب بسبب ما قيل أن عليا ذكره عنها في حادث الافك

ونلاحظ أن كلا المؤلفين يذكران هذه القصة معتمدين على وجودها في

المراجع العربية وخاصة في كتب التاريخ القديمة مثل الطبرى وابن الاثير وغيرهما .

حقا ، لقد وردت هذه الرواية في كتب التاريخ القديمة ، ولكن لم توجد وحدها بل وجدت كرواية من ضمن عدد روايات تذكر سب خروج السيدة عائشة فمن ضمن هذه الروايات أن السيدة عائشة لم تخرج الا للصلح وقد أقيمت الادلة من المراجع المشوق بها والادلة العقلية المتفقة مع المنطق على أن خروجها كان للصلح فكلاهما لا يأخذان الا بالرواية التي تشين السيدة عائشة ويتجاهلان الخبر الصحيح الذى يتفق مع اخلاق امهات المؤمنين على رأسهم السيدة عائشة .

• فنلاحظ في هذه النقطة مدى سوء النية فيما كتبه هذان الرجلان .

(٢) اتهام الحسن بن على بأنه قد تنازل عن الخلافة مقابل رشوة قد مهيا له معاوية .

(٣) اتهام عبد الملك بن مروان ببناء بيت المقدس لتحويل الحجاج اليه .

(٤) مسألة العباسية وجعفر البرمكى .

وقد أقننا الادلة على فساد ما ذهبوا اليه وكشفنا سوء نيتهم وعداوتهم للاسلام وقلنا ان مجرد وجود هذه الاخبار في كتب الادب لا يدل على صحتها لضعف سندها وسوء نية رواتها ، وقد وجد بجانبها روايات صحيحة تتفق مع اخلاق الصحابة والتابعين فكانت الامانة التاريخية والتحقيق العلمى يقتضيان أن يراجع كل من فيليب حتى وكارل بروكلمان جميع الروايات التى وردت فى هذا الموضوع فى كتب المسلمين ليتبين الحق امامهما دون أن يتورطا فيما وقعا فيه من الخطأ .

ولكن (حتى) كما قلنا نراه ينتقى أشجع الروايات ويشبثها في كتابه ويدعمها بما ورد في الكتب العربية ليستدل بذلك على صحة وجهة نظره بشوه بعض الحقائق التاريخية في تاريخ المسلمين ويتلمس الأسباب الواهية ليتخذها حجة على سلامة رأيه في تغيير معالم التاريخ الاسلامي ويتخذ من الروايات المكذوبة في كتب التاريخ الاسلامي قضية مسلمة يبني عليها آراؤه ، وكان الاجدر به أن يعرض الروايات التي اعتمد عليها على معايير البحث العلمي الحديث ليبين عدم صلاحيتها قبل أن ينشرها على الناس .

أما (بروكلمان) فقد اعتمد في كتاباته على أمثاله من المستشرقين ، فهو لم يعتمد على الكتب العربية لاعتقاده بعدم صلاحيتها حيث قال في مقدمة كتابه (أنها تخضع بعد للتحليل النقدي) (١) ، واكتفى بالكتب الحديثة التي أشار إليها مثل : ولهاوزن ، كيتاني ، باتولد ، ومينورسكي ، من نقلوا هذه الاخبار من غير تحييص علمي أو تحقيق تاريخي .

كما أنه بدعي أنه ملتزم في كتاباته بطريقة البحث العلمي الحديث فلم لم يرجع الى الاصل ليطلع على الروايات المختلفة ثم ينتقى الافضل والاقترب للصواب لواقع العصر .

٥) اتهام خلفاء بني أمية وبني العباس بالمجون :

وفي هذه الافتراءات نجد بروكلمان لا يرجع فيها لمرجع موثوق به من كتب العرب وإنما أخذها عن المستشرقين واعتبرها حقيقة ثابتة دون أن يستعمل هو معياره

(١) كارل بروكلمان = تاريخ الشعوب = مقدمة الكتاب ص ٨

العلمي وأصول البحث الحديث •

أما (حتى) بسوء نيته ومكره يحاول ايها القارىء العربى بحقيقة هذه الافتراءات لكونها قد وردت فى الكتب العربىة عند ذكره هذه الافتراءات على الشخصيات الاسلامىة يحاول أن يدعم رأيه بكتب الادب العربى مثل كتابى الاغانى لابى الفرج الاصفهانى وكتاب التاج فى أخلاق الملوك للجاحظ ، وكتاب العقد الفرىد لابن عبد ربه ، وهذه المراجع حذرنا منها فىليبحتى نفسه ، فلماذا يعتمد عليها فيما ذكره الا أنه يريد أن ينشر البلبلة والشك فى التاريخ الاسلامى •

٦) جعل الناحية الاقتصادية هى الدافع الاساسى للفتوحات الاسلامىة:

نرى بروكلمان فى هذه القضية لم يغير فى أسلوبه فهو قد اعتمد على من سبقه من المستشرقين الذين حاولوا أن يجدوا دوافع غير حقيقىة للفتح ويجردوه من حقيقته التى قام عليها فهو ينقل عنهم بدون تحقيق •

أما حتى فسار مع بروكلمان فى أن المسلمين كانوا يقصدون من الفتح البحث عن أماكن خصبة ليرفعوا من مستوى معيشتهم ولم يكونوا يقصدون نشر الدعوة الاسلامىة الا أن حتى اراد أن يدعم رأيه فى هذا الموضوع بالرجوع الى الكتب العربىة ، لكنه لم يكن أميناً فى الاستشهاد بالآيات القرآنىة ولا بالروايات التاريخىة •

فلما اراد أن يبرهن على صدق دعواه فى أن المسلمين اتخذوا من الفتح وسيلة للحصول على أموال من البلاد المفتوحة فى صورة الجزية التى يدفعها الزببيون ، فذكر بعض آية من القرآن الكريم ليستدل بها على صدق دعواه ، فلو كان أميناً لذكر الآية

كاملة حتى يعلم الحكمة التي من أجلها فرضت الجزية على أهل الكتاب فهذه الآية
هو قوله تعالى ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون)) (١)

ولكنه اختصرها وقال (قاتلوا ... من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون) .

فأى بلاهة وأى سخريّة من فيليب حتى حين يتلاعب بأيات القرآن الكريم
ويطوعها ليحزّز بها رأيه .

ونراه أيضا في مرة أخرى يرجع أسباب الفتح لعوامل اقتصادية ويرجع لنص
يترفضه الجزء الذي يوضح أهداف الفتح ، فينقل من كتاب فتح البلدان للبلازري
أن رستم قائد الفرس قال للمغيرة بن شعبة مندوب قائد المسلمين : (قد علمت
أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدّة الجهد ونحن نعطيكم ما تشبهون
به ونصرفكم ببعض ما تحبون) نقل الى هنا فقط ولم ينقل بقية الخبر وفيه جوابا للمغيرة
لرستم حيث يقول : (ان الله بعث الينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا باجابته
وأمرنا بجهاد من خالف ديننا (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ونحن ندعوك
الى عبادة الله وحده والايمان بنبيه صلى الله عليه وسلم فان فعلت والا فالسيوف
بيننا وبينكم) . (٢)

(١) سورة التوبة - آية ٢٩

(٢) البلازري - فتح البلدان ص ٢٥٢

ثانياً - القضايا التي انفرد بها فيليب حتى

(١) سبب زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش وانه بدافع الحب . . . وقد اعتمد فيليب حتى في هذه القضية على الاسرائيليات التي وردت فسى بعض كتب التفسير ودست على اصحابها ولم يرجع الى القرآن الكريم الذي يفند هذه الروايات ويمنع من قبولها فلو فهم (حتى) مدلول قولتعالى " ولما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعائهم اذا قضوا منهن - وطرا " . (١)

لو اطلع فيليب حتى على هذه الاية لما وقع فيما وقع فيه من الخطأ ولما سقط هذه السقطة كما سقط فيها غيره من الذين لا يعقلون .

(٢) زعمه أن خلافة ابي بكر كانت نتيجة اتفاق ثلاثي بين ابي بكر وعمر وأبي عبيدة . . . وهذه القرية لم يذكرها أحد من المؤرخين المسلمين وانما الذي ذكرها هم بعض المستشرقين وهى فكرة تافهة لانه لا يوجد دليل ولا شبه دليل على وجود هذه المؤامرة لعدة أسباب قد بينتها في ردنا على (حتى) عندما ذكر هذه القرية .

(٣) جلافة العرب قبل الاسلام :

لقد اعتمد في هذه القرية على ما قرأه في مقدمة ابن خلدون عن طبيعة عرب أهل الحجاز ولم يعرف فيليب حتى ما الذى يقصده ابن خلدون من هذه الرواية ، هل يقصد أن يتحدث عن عرب الحجاز بهذه الصورة فى جميع العصور الاسلامية أم ان ابن خلدون يتحدث عن عرب الحجاز المعاصرين له .

(٤) تحويل معاوية الخلافة الى ملك :

في هذه النقطة أيضا نرى (حتى) يرجع لقدم ابن خلدون ، الا أنه لا ينقل بأمانة صدق ، فهو عندما يريد أن يدعم رأيه بما رواه ابن خلدون ومع ذلك لـم يفهم عبارة ابن خلدون أو أراد أن يحرفها على هواه لان عبارة ابن خلدون : (لا يعيب على معاوية فعلته كما فعل حتى بل يقول (فقد رأيت كيف صار الامر الى الملك وقيست معاني الخلافة ، من تحرى الدين ، ومذاهبه والجري على منهاج الحق) . (١)

(٥) هجوم الاسلام على كل من خالفة .

(٦) انكار المعجزات النبوية عدا القرآن .

(٧) سياسة عمر الاشتراكية (كلمة اشتراكية لم تكن معروفة في صدر الاسلام)

(٨) جهل العرب بأمور البحر .

هذه النقاط التي ذكرها (حتى) لم يبحثها بحثا علميا ولم يرجع فيها الى مراجع موثوق بها ، وانما ألقاها جزافا كأنها من الامور المسلم بها وقد ناقشناه في موطن الرد عليه في الرسالة .

ثالثا - القضايا التي انورد بها بروكلمان

(١) مسألة الفرانتيق العلي :

أما قصة الفرانتيق فقد اعتمد في ذكرها على ما دسه الاسرائيليون وخصوص

(١) مقدمة ابن خلدون ج ١ ص ١٧٣

الاسلام فى بعض كتب المسلمين ليحاولوا التشكيك فى كتاب الله وفى أمانة رسول الله ولم يكلف بروكلمان نفسه العناء فى بحث هذه القضية بحثا علميا حتى يميز به بين الصواب والخطا وبين الروايات التى تتنافى مع العقل والمنطق ومعصوص القرآن الكريم وعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه ترك كل ذلك واستجاب لهواه ، وظن أنه بطريقته هذه قد طعن الاسلام طعنة قاتلة ليشفى به نفسه ونفوس اخوانه من أعماهم التعصب

(٢) الطعن فى شخصية ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة :

وكذلك تناول ابن عباس وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة وهم صفوة الصحابة رضوان الله عليهم الذين عرفوا بالاستقامة والامانة والعلم وقوة الايمان والبعد عن الشبهات والمعاصى ، ولكنه أخذ يتلمس ما يشفى غلته وظنة اخوانه من الصاق بعض المعاييب والتهم ، فلم يجد لها الا فى كتب الادب ، وكتب اصحاب الفسوق والمذاهب المختلفة ولتهرد فى كتب التاريخ الا عن طريق رواية غير مشوق بهم مثل أبى مخنف ولوط بن يحيى فى كتاب الطبرى .

(٣) انكار نزول الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) اتهامه الدين الاسلامى أنه قام على تقليد الديانات الاخرى وان الرسول قد كيف شعائر قومه بشعائر اليهود والنصارى من أجل كسبهم وتبديل الرسول للاسلوب القرآنى فى المدينة عن مكة .

(٥) اعتبر الحجر الاسود وثنا عهد فى الجاهلية والاسلام .

(٦) حركة الارتداد ودافعها وسبل محاربتها .

في هذه النقاط السابقة لم يكن بروكلمان مبتدعاً وإنما هي أفكار صليبية قديمة قدم الحملة الصليبية التي أخذ الصليبيون من يومها على تكذيب الرسالة والتشكيك في أصلها وضمونها وفي صدق ما جاء بها ، حتى يتسنى لهم أحداث البلبلة في نفوس المسلمين والعمل على اضعاف ايمانهم بهذه الرسالة المحمدية بعد أن أدركوا أن سبب قوة المسلمين وصلابتهم في وجه خصومهم هو تمسك المسلمين بهذا الدين فكأن هدفهم من وراء هذه الافتراءات والادعاءات الكاذبة هو تشويه صورة الاسلام في نفوس المسلمين .

فجاء بروكلمان وهو أحد تلاميذ هذه المدرسة ليكمل بعض مهمتهم غير طامس بما هو واجب على كل باحث وكاتب من تحرى الحقيقة والبحث عنها حتى يعطى كتاباته الصبغة الصحيحة والصورة اللائقة بالباحث الامين .

ب

واجب رجال التاريخ ازاء هذه الآراء

إذا كانت هذه الآراء والافتراءات قد وجدت في كثير من كتب التاريخ الإسلامي الأول وبعض كتب التفسير فلا بد من العمل على ازالتها بالوسائل التي يمكن اتخاذها لتخلص من هذه الافتراءات وتطهير الكتب التاريخية وعقول الشباب المسلم من آثارها وهذا يرجع في نظرنا إلى أمور أربعة هي :

الامر الأول : بالنسبة لكتب التاريخ القديمة وما حوته من أسرار عملييات وأخبار واهية وقضايا ضارة بالاسلام ، فهذه تحتاج إلى جهد كبير للعمل على احباط ما فيها من آراء ووسوسة على الاسلام والمسلمين وهذا المجهود لا يستطيع القيام به فرد أو جماعة الا اذا تضافرت الهيئات العلمية لاعادة كتابة التاريخ الاسلامي من جديد وتمحيص قضاياها وتسهيّل الحصول على المراجع الجديدة التي خلت مما وضعه خصوم الاسلام لتحل محل الكتب القديمة بوسائلها الحديثة في الاستدلال على زيف ما وضعه خصوم الاسلام بالادلة القاطعة من الاخبار الصحيحة والمنطق والعقل حتى يمكن اقناع قراء هذه الكتب بفساد ما ورد في الكتب القديمة .

ورغم أن فائدة هذه الكتب الحديثة لن يظهر سريعاً الا أنه بعد مرور زمن طويل يمكن أن تغطي هذه المؤلفات المحققة تحقيقات علمية على ما هو موجود في الكتب القديمة .

الامر الثاني : مراجعة ما ألف وطبع حديثا من قبل الكتاب المسلمين الذين درسوا على اساتذة من الغرب ، كانوا قد تصيدوا بعض الاخبار المزيفة في كتب التاريخ الاسلامي والتفسير لينصبوا منها براهين يقومون بها آراءهم الفاسدة ضد الاسلام والمسلمين ، فيأتي هؤلاء الكتاب المسلمون يأخذون عن اساتذتهم وهم معصوموا العين . . . وهم بحكم مراكزهم كاساتذة في الجامعات الاسلامية ولهم الهيئنة على الكتب المقررة فيحملون الطلاب على قراءة ما اتجهوا وما اعمدوا فيه على آراء المستشرقين ، ولا يقف وصد هذا الاتجاه تقوم الهيئات العلمية بتأليف لجان من اعلام التاريخ الاسلامي الذين لهم خلفية دينية وغيره على الاسلام بمراجعة الكتب المقررة على طلاب المدارس والجامعات حتى لا تنتشر هذه الآراء فتبلبل افكار الطلاب المسلمين وتشككهم في ماضيهم المجيد .

الامر الثالث : هو اختيار اساتذة ومدرسين للتاريخ الاسلامي ممن سلمت عقائدهم وتحصنوا بقدر كاف من الدراسات الاسلامية حتى وجدت عندهم الخلفية الاسلامية . . . لان هؤلاء يستطيعون أن يرجعوا الى الكتاب والسنة وسير الصحابة ، فيعالجون بها ما يرونه غير متفق مع الكتاب والسنة أو غير لائق بمقام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومقام اصحابه رضوان الله عليهم وتنقية بيئتهم التي عاشوا فيها من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع هديه وسنته ، فاذا كانوا مؤمنين بتعاليم الاسلام فانهم يستطيعون ان يؤثروا في طلابهم تأثيرا روحيا يؤمنون به ايمانا قويا ويدرك الطلاب أمجاد الاسلام وطهارة رجاله في عصوره الاولى ومدى ما قدمه الاسلام للحضارة الانسانية

التمثلة في سلوك رجاله وما كانوا عليه من صفات كريمة ، نشرت الاسلام في
شرق الارض وغربها .

فاذا وجد للتاريخ الاسلامي اساتذة ومدرسون بهذه الصفة يمكن
تربية جيل جديد ينهض بهذه الاعمال ويتحمل مسئولية تصحيح الاخطاء والرد
على الافتراءات التي اصطنعها خصوم الاسلام .

الامر الرابع : فهو أن يجعل للتاريخ الاسلامي في الجامعات السورية والاسلامية
قسم خاص منفصل عن بقية أقسام التاريخ الاخرى حتى تتميز شخصية التاريخ
الاسلامي بأساتذته وطريقة تدريسه ومراجعته التي تعتمد أول ما تعتمد على
الكتاب والسنة ثم على المراجع الموثوق بها والروايات الصحيحة التي لا يستطيع
أن يميزها عن غيرها سواء الاساتذة الذين لهم نصيب وافر من الدراسات
الاسلامية فهؤلاء وحدهم هم الذين يعرفون طرق الرواية ويستطيعون التمييز
بين صحيحها وسقيمها .

فاذا تيسر للقائمين على امر الجامعات تحقيق هذا الامر فانهم
يضعون اللبنة الاولى للبناء الشامخ الذي يمكنه أن يصد تيارات الالحاد
والاكاذيب التي يحاول خصوم الاسلام ادخالها في عقول الشباب المسلم .

بعض الكتب التي تأثرت بأراء وافتراعات بعض المستشرقين

ونحن نذكر على سبيل المثال لا الحصر عددا من أصحاب الكتب التاريخية الذين تأثروا بأراء المستشرقين خاصة بروكلمان وفيليب حتى ، ونشروا آراءهم في المحيط العربي والجامعي بواسطة كتبهم أو محاضراتهم وهم :

- ١ - طه حسين في كتابه (على هامش السيرة) و (على ونوره)
- ٢ - عبد المنعم ماجد " (التاريخ السياسي للدولة العربية)
- ٣ - أحمد شلبي " (التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية)
- ٤ - علي حسني الخريزلي " (الدولة العربية الاسلامية)
- ٥ - حسن ابراهيم حسن " (تاريخ الاسلام السياسي)
- ٦ - بنت الشاطي " (نساء النبي)

٥ ٥ ٥

أولا - الدكتور طه حسين : الفتنة الكبرى (على ونوره) :

- ١ - ما ذكره د . طه حسين عن موقف السيدة عائشة من خلافة علي فيقول في ص ٢٨ / ٢٩ من كتابه (الفتنة الكبرى على ونوره) (ولما علمت - عائشة - حقيقة الامر وأن عليا هو الذي تمت له البيعة في المدينة ضاقت بذلك ضيقا شديدا وأعلنت انها كانت تؤمن انطباق السماء على الارض قبل أن ترى عليا وقد أصبح للمسلمين اماما)

ثم يعود فيقول (كان معروفاً أن عائشة رحمها الله لم تكن تحب علياً ولا تهواه بل كان معروفاً أنها تجدد عليه موجدة شديدة منذ حديث الافك حين أراد علي أن يواسي النبي صلى الله عليه وسلم فأشار عليه بأن يطلقها) .

ولم يقف هذا ما أخذ من المستشرقين بل زاد عليه من خياله ما شاء حيث قال في صفحة ٢٩ من نفس الكتاب (وكانت تنكر علي علي - فيما أعتقد - أمرين آخرين أحدهما لم يكن لعلي فيه خيرة ، فقد تزوج فاطمة بنت رسول الله ورزق منها الحسن والحسين فكان أباً الذرية الباقية للنبي ولم يمنح لها هذا الولد من رسول الله) .

أما الأمر الآخر فهو أن علياً قد تزوج أسماء الخثعمية بعد وفاة أبي بكر رحمه الله وأسماء الخثعمية هي أم محمد بن أبي بكر الذي نشأ في حجر علي فكانت عائشة تجدد علياً لهذا كله .

٢ - وعن بيعة طلحة والزبير ليزيد يقول طه حسين في صفحة ٢٤٧ من كتابه نفسه :

(فالشيء المحقق هو أن معاوية قد استكره هؤلاء نفر علي الصمت بعد أن لم يستطع أن يستكرههم على البيعة) .

ثم يقول (وكذا لنا استقرار في الإسلام لأول مرة هذا الملك الذي يقوم على البأس والبطش والخوف الذي يرثه الأبناء عن الآباء) .

٣ - أما عن يزيد نفسه فيقول طه حسين في صفحة ٢٥٨ (كان قبل ولايته لعهد أبيه مسوفاً على نفسه في طلب اللذة والعكوف عليها والاستهتار بها حتى كسر

حديث الناس فيه . . . وكان الفتى مشغولا عن أبيه بسياسة شهواته الجامحة . . . وقد أقبل على الملك دون أن يتصرف اليه عن لذاته أو يقلع عما كان عاكفا عليه من العبث واللهو والمجون) .

٤ - وعن ابن عباس يقول في صفحة ١٣٤ (ورأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول ونجم معاوية في صعود فأقام في البصرة ففكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه وفي هذه الخطوب التي كانت تزدهم عليه وكأنه أثر نفسه بشئ من الخير وسار في بيت المال سيرة تخالف المؤلف من أمر على ومن أمره هو) .

٥ - في كتاب (على هامش السيرة) صفحة ٣٢٢ حيث ذكر عنوان كبير بهذه الصورة " شوق الحبيب الى الحبيب " فيقول (وان هو يمتحن في ذلك نبيه ، ويمتحن في ذلك زيدا ويمتحن في ذلك المؤمنين الصادقين جميعا يلقى في قلب النبي حسب زينب زوج زيد ويلقى في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها) .

ثم يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم (وهذه نفس ضطربة أشد الاضطراب متتعة أشد الامتناع واجمة أشد الوجوم ترفض هذا الحب رفضا وتزود عنه ازديادا ، وانها اذا هي تنكوه حتى على نفسها ولكن الله يبدي ما تخفي ويعرف الناس ما تنكوه) . مسخ أن طه حسود من يقال عنهم أنه كان يحفظ القرآن الكريم ، ولكن تأثره بالمستشرقين ضعه ان يرجع الى قوله تعالى " فلما قضى زيدا منها وطرا زوجها لئلا يكون على المؤمنين حرجا في أزواج أدمعائهم اذا قضوا منهن وطرا " .

ثانياً - الدكتور عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية :

١ - يتحدث الدكتور ماجد عن حياة العرب وهو متأثر بغيره من المستشرقين فيقول في صفحة ٦١ / ٦٢ ج١ (وكان بعض الاعراب يذبحون الكلاب لقبيلة بني أسد أو يأكلون لحوم الناس لقبيلة هذيل ، أو يأكلون الجراد لقبيلة طي * ، كما أن بعض الاعراب كانوا يأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس أو حتى القمل) .

٢ - وفي ص ٩٨ ج ١ يقول (وفجأة في سن الاربعين يملك محمد موهبة النبي أو الرسول) .

٣ - وعن الحج في الاسلام يذكر في ص ١٢٥ ج ١ فيقول (وقد أناب فيسه أبا بكر صديقه يقرأ عليهم سورة براءة التي يتبرأ فيها محمد ممن يحج من المشركين)
كان محمد هو الذي يتبرأ .

٤ - وفي ص ٢٥٠ ج ١ يقول (كما أن النبي كان ينسخ بعض الايات التي أملاها ويأتي بأخرى محلها) .

٥ - ويقول في ص ١٢٨ ج ١ عن الدعوة وعن الرسول (وهو وان أرسل الى العرب الا أنه اعتبر نفسه أنه مرسل لكافة الناس) .

٦ - وفي ص ١٣٤ ج ١ يقول عن الزكاة (وانه من الخطأ أن نتصور أن اهتمام الاسلام بالزكاة يرجع الى المشاكل الاجتماعية في جميع حالاته ، وأنه نوع من التضامن الاجتماعي كما في وقتنا) .

٧ - وينكر المعجزات النبوية سوى الوحي فيقول في ص ١٠٢ ج ١ (ولكن محمدا لم يرضى أن تنسب اليه معجزة غير نزول الوحي عليه من قبل الله فكان يرد عليهم بقوله (قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) . . (١)

٨ - وفي ص ١٣٧ ج ١ يذكر تحريم الربا فيقول (وكذلك حارب الربا كل المحارسة وذلك لان معظم القائمين به هم اليهود) وكأنه شرع لغرض شخصي .

٩ - ويقول في ص ١٦٣ ج ١ عن دوافع الفتح (ولكننا نوافق بعض المستشرقين في قولهم أن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتح بالحماس الديني وأن الحروب التي قاموا بها تعتبر حروب دينية ، فنحن لا نظن أن العرب ومعظمهم من البسود كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الاسلام) .

١٠ - وفي ص ٢٢١ ج ١ يقول (ان العرب لم يستطيعوا فتح هذه القرى - قرى مصر - الا بعد أن أحرقوا المزارع ، وسبوا أهلها) .

١١ - وفي صفحة ١٨٠ ج ١ يقول (ولقد كان للانتصار في أجنادين وقمع عظيم ، بحيث اعتقد المسلمون أن هذا النصر من الله) .

١٢ - وفي صفحة ١٨٣ ج ١ يذكر سبب فضل عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد فيقول (وان كان من الجلى أن الرجال الأشداء يخشون الأشداء مثلهم) .

(١) سورة الاسراء - آية ٩٣

١٣ - وينكر على السيدة عائشة أن سبب خروجها في معركة الجمل الاصلاح فيقول في صفحة ٢٦٣ ج ١ (وقد حاولت عائشة أن تشير العرب في هذه النواحي على علي ، على أساس أن غايتها الاصلاح) .

وقد ذكر عائشة ضمن الحاقدين علي علي لقبوله الخلافة من أيدي قتلة عثمان فيقول في ص ٢٦٢ ج ١ (ومن بينهم أزواج النبي وعلي رأسهم أم المؤمنين عائشة) . وفي هذه المرة ذكر بقية نساء الرسول ولم يذكر ذلك أحد خلافة والمذكور هو موضوع السيدة عائشة .

١٤ - وعن عثمان يقول في صفحة ٢٥٥ ج ١ (ثم ان عثمان له براع الصلحة العامة بقدر رعايته لصلحة أقرانه) .

١٥ - ويقول عن فتح المسلمين للاندلس في صفحة ٢٠٤ ج ٢ (قيل أنهم طبخوا من قتلاهم من الاسرى في القدر) .

٥ ٥ ٥

ثالثا - الدكتور علي حسني الخربوطلي - الدولة العربية الاسلامية :

١ - يقول في صفحة ١٢٤ (فان نبأ مبايعة علي وقع عليها وقوم الصاعقة ولم تستطع أن تخفى شعورها أو تكتم غيظها ، بل أعلنتها عليه حربا شعواء مدفوعة في ذلك بأحقاد شخصية بحتة) .

ويذكر في هامش كتابه أن تلك الاحقاد الشخصية مركزة في نقطتين هما :

- (١) كرهها لفاطمة زوجة علي لانجابها الحسن والحسين .
- (٢) حديث الافك . وقد نقل هذا عن طه حسين في كتابه " علي ونوره " .

وبعلق الدكتور الخربوطلي على ذلك فيقول (وكانت السيدة عائشة تسمى لتحويل الخلافة اليه - عبد الله بن الزبير - فقد حرصت عائشة على أن يصلح بالناس خلال الحرب - حرب الجمل - ونحن نعلم مدى أهمية ذلك) .

٢ - ويقول في صفحة ١٢٦ آخذاً برأى المستشرق كاترمير : (حيث يقول انه لم يكن بين العرب الطامعين في الخلافة في القرن الاول الهجري باستثناء علي رجل اجتمعت له الحقوق والمؤهلات سوى شخص واحد هو عبد الله ابن الزبير) .

٣ - وفي صفحة ٢٢٢ فيقول (اهتم عبد الملك بانشاء الابنية في بني المسجد الاقصى والصخرة اثناء قتال ابن الزبير ليحول الناس عن الحج الى مكة) .

• • •

رابعا - الدكتور أحمد شلبي - التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية :

١ - يقول عن عائشة في صفحة ٣٣٢ ج ١ (كانت ثائرة على عثمان وكانت هسي وطلحة من أشد الناس انتقادا له ، ولما حوضر عثمان تركت عائشة المدينة وذهبت الى مكة فلما قتل عثمان خرجت من مكنتصدا المدينة فلما عرفت أن البيعة تمت لعلي غضبت وقالت والله لا يكون هذا الامر أبدا ، قتل عثمان مظلوما والله لا طالع له بدمه) .

ثم يقول (هل كان حزن عائشة على عثمان هو الذي دفعها الى ذلك العمل والحقيقة لا .. فقد كانت هناك عوامل ابعاد غورا نذكر أهمها :

- (١) حديث الافك .
- (٢) نفس على علي أبي بكر الخلافة وامتنع عن مبايعته زمنا ، فلماذا تسرع عائشة لبאיعة علي ؟ ولماذا تتركه يهنا بهذه الخلافة ؟
- (٣) عدم انجابه من الرسول وانجاب فاطمة من علي .

٢ - يقول في صفحة ٤٤ ج ٢ (ولم يكن معاوية يقصد الخير للمسلمين فسي تعيين ابنه يزيد بقدر ما كان يقصد تهيبه أسباب السعادة لابنه) .

• • •

خامسا - الدكتور حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي :

يقول في صفحة ٢٥٢ ج ١ عند ذكره تقليد عبد الرحمن بن عوف لعثمان ن الخلافة قال علي بن أبي طالب لعبد الرحمن (لقد حبوته حبود دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليست عثمان الا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو في شأن ومن ثم نرى أن التنافس قد ظهر عند ذلك الوقت بين عثمان وعلي) .

• • •

سادسا - الدكتور بنت الشاطي* - نساء النبي :

وتقول في صفحة ٤٧ حين حد بثها عن زواجه صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش (أفینکو علی بشر رسول أن یرى مثل زینب فیعجبها ؟ وماذا یطلب من مثله - فی سمو خلقه و غة ضمیره - أكثر من أن یشیح بوجهه عن أعجبتة وهو یسبح باسم الله العظیم مقلب القلوب وأی ضبط للنفس ینتظر من بشر رسول أكثر من أن یجیسه زید فیستأذنه من جدید فی طلاقها فیأبی علیه الا أن یمسکها یتقی الله ؟) .

٥٥

هؤلاء هم الذين لمعت اسماءهم في سماء التاريخ والادب وأخذ عنهم الشباب في المعاهد والمدارس ونقلت عنهم المعرفة باعتبارهم أساتذة المدرسة الحديثة في التاريخ الاسلامي .

ثم تبين لنا فيما بعد أننا كنا معصوب العينين محجوبين عن الرؤية كما نرى بعبورهم ونفكر بعقولهم وما كنا ندري أنهم نقلوا عن المستشرقين الذين خبثت نواياهم واشتد حقدهم على الاسلام ، فأخذوا يشوهون التاريخ الاسلامي ويفترون على المسلمين افتراءات واضحة .

وحين كانت كتابات المستشرقين بلغاتهم ، كنا نشك فيما كتبوا وتأخذ الحيلة عندما نقرأ ما كتبوا . . .

ولكن لما صار الكاتب عربيا ، واللسان عربيا ، والقيادة الفكرية عربية ، سلمنا
واعتقدنا أن الصواب فيما كتبوا ، حتى تبين لنا أن هؤلاء الكتّاب كانوا أبواقا تذبذب
ما كتبه المستشرقون بخير تصرف أو نقد أو تعليق .

هنالك كان لابد لنا من كشف ما ستره هؤلاء عن عيون الشباب المتعلمين حتى
يتنبهوا الى هذه المزالقة ويراجعوا هذه الافكار المسمومة ليقبسوها بمقياس العدل
والحق والواقع الذي كان عليه الرعيل الاول من المسلمين وسارت على نهجه الامّة
الاسلامية .

تعريف بأهم المراجع

من الطبيعي أن تبدد و للباحث في بحثه أهمية بعض المصادر والمراجع التي عاش معها في بحثه وصاحبه طويلا ، ولما كان موضوع هذا البحث موضوفا اسلاميا ، والمراجع التي تمدنا بالمعلومات معظمها من المراجع والمصادر القديمة ، كان لزاما علينا أن نكتب تعريفا ببعض هذه المصادر والمراجع حتى يتمكن الباحثون في مثل هذا الموضوع أن يرجعوا اليها لينتفعوا بها في بحوثهم ومعلوماتهم .

فمن بحثي هذا وجدت في بعض المراجع ما يغطي معظم بحثي ، وذلك اما لاتساع الفترة المورخ عنها في بعض هذه المراجع مثل كتاب الطبري ، وكتاب الكامل لابن الاثير ، فهذان الكتابان وغيرهما تعتبر مراجع مهمة اعتمد عليها المستشرقون في اذاعة ونشر وتلفيق اخبار ذكروا أنهم أخذوها من هذه المراجع التي خرجوا منها بفترياتهم ، فأصبح لزاما علينا أن نعود اليها لتحقيق مدى صحة هذه الفريضة ولنبيين للقارىء أن هذه الكتب جمعت آراء مختلفة وروايات متعددة فمنها الصحيح ، ومنها المزيف الموضوع ، فلما جاء المستشرقون سقطوا على الروايات المدسوسة والآراء المكذوبة ووجدوا ضالتهم المنشودة نقلا عن المؤرخين المسلمين .

ومن أجل ذلك كان لزاما على أن أنوه بالمراجع التي وضعت الحق في نصابه وكشفت الستار عن زيف المزيفين ، فمن هؤلاء ابن خلدون في المقدمة التي ناقش فيها بعض القضايا التي لم يكن كسابقه فيها في الاكفاء بالنقل بل نجده يبحث في أصلها وصحة أسانيدها فان اتفقت مع الواقع ومنطق العقل ذكرها وان كانت على غير

ذلك فندها وابطلها وأظهر زيفها • كما استعنت ببعض المراجع التي تناولت بعض هذه القضايا من المؤرخين المحدثين والمشتغلين بالقضايا الاسلامية مثلا كتاب "اباطيل يجب أن تحى من التاريخ" للدكتور ابراهيم شعوط ، وكتاب "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مزاعم المستشرقين" للشيخ الغزالي وكتاب الاستاذ أحمد محمد جمال "مفتريات على الاسلام" ••

فأحببت أن أدم بحشى بآراء المصنفين من المستشرقين لتكون شهادة من بعضهم على بعض فتسقط حجة المفتريين •

وسأكتب كلمة مختصرة أبين بها قيمة بعض هذه المراجع ومدى افادتها منها فى بحشى لينتفع بها من أراد أن يكتب مرة أخرى فى هذا الموضوع •

أولاً - كتاب الرسل والملوك

لابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وهو من كتب التاريخ الجامعة لاخبار العالم ابتداءً من أول الخلق وانتهى الى سنة ٣٠٩ هـ ، رتبته مؤلفه على السنوات وذكر ابن الجوزى أنه بصط الكلام فى الوقائع بسطاً وان لهصلنا الا مختصراً ، ولم يهصلنا سوى احد عشر مجلداً منه فقط • (١)

كما اهتم مؤلفه باثبات القصة أو الواقعة التاريخية عن طريق الروايق العنعننة - وقد حاكاه ونقل عنه من جاء بعده من مؤلفين كابن مسكويه ، وابن الاثير •

ولعل من معيزات هذا الكتاب أن صاحبه لم يقتصر على ذكر رواية واحدة بل كان ينقل الروايات المختلفة مهما كان ناقلها فيضعها كلها أمام القارىء ، فمنها الغث ومنها السمين ، ومنها ضعيف السند والمشكوك فى روايته ول يأخذ منها القارىء ما يروقه اذا أراد الاستدلال على صحة وجهة نظره .

وقد اعتمد بن جرير فى رواياته حسبما جاء فى مقدمة كتابه على سيف بن عمير وابو مخنف رغم أنهما غير ثقة . . . فسيف بن عمر قال عنه ابن معين : ضعيف الحديث وقال أبو داود ليس بشيء ، وقال النسائى والدارقطنى ضعيف ، وقال بن عدى احاديثه مشهورة وعاطتها منكورة ، وقال بن حبان : قالوا له : كان يضع الحديث وقسال ابن حبان والحاكم ان سيف بن عمر اتهم بالزندقة وقال عنه الدارقطنى : انه متروك . (١)

أما أبو مخنف وهو لوط بن يحيى - اخبارى لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره وقال الدارقطنى : ضعيف ، وقال يحيى بن معين ليس بثقة وقال ابن عدى : شيعى . وقال أبو عبيد الاجرى سالت اباحاتم عنه فنفض يده ، وذكره العقيلي فى الضعفاء . (٢)

وقد نقله كتاب الطبرى الرسل والملوك الى الفارسية أبو على محمد البلعمسى من وزراء السامانية سنة ٣٥٢هـ ونقله غيره الى التركية وهو المتداول بين عوام الروم ، وعليه ذيل لابي محمد عبد الله بن محمد الفرغانى وعرف هذا الذيل بالصلة . (٣)

-
- (١) ابن حجر العسقلانى - تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٩٥-٢٩٦
 (٢) ابن حجر العسقلانى - لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢ ، بيروت صور طم ١٣٩٠ هـ
 عن طبعة ١٣٣٠ بالهند
 (٣) كشف الظنون ج ١ ص ٢٩٨

أما مؤلف هذا المرجع فهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ولد سنة ٢٢٤ هـ الموافق ٨٣٩ م وتوفي سنة ٣١٠ هـ الموافق سنة ٩٢٣ م ، وهو مؤرخ ومفسر وفقيه ولد في أصل بطبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها ، تنقل بين العواصم الكبرى طلباً للعلم ، حفظ القرآن صغيراً ، أقام في العراق فعرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى (١)

قال عنه ابن الاثير " أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ " .

وكان اعتمادى على طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م في بعض الموضوعات

الآتية مثل :

- (١) زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش .
- (٢) موقف السيدة عائشة من الامام على بن أبی طالب .
- (٣) قصة العباسة وطلان زوجها المزعوم من جعفر البرمكي .

ثانياً - الكامل في التاريخ

وهذا لا ينقص أهمية عن سابقه بالنسبة لمراجع التاريخ الاسلامي ، وهو يتكون من اثني عشر مجلداً ومجلد آخر جعل للفهارس ، والكتاب مرتب حسب السنين ابتداءً مؤلفه في الكتابة من بدء الخليفة وانتهى الى سنة ٦٢٩ هـ . (٢)

فهو سائر على نهج الامام الطبري في كتابه ، فقد اعتمد عليه في نقل الاخبار عنه ، الا أنه اتبع فيه منهجاً جديداً فهو لم يذكر رواية القضية بل اكتفى بنقلها مجرودة

(١) الاعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٩٤ ، الموسوعة العربية ص ١١٥٣

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ١٣٨٠

عن العنعنة ، وقد نقل عن الطبري من بداية الخليقة الى سنة ٣٠٩ هـ وهو حيث ما وقف
الطبري ثم دون معلوماته بعد وفاة الطبري بصورة مفصلة حتى سنة ٦٢٩ .

وأصبح حجة فيما نقل في كثير من الروايات بحيث لم يزد عليه أحد من مؤلفي
عصره حيث أصبح الكل بعده عيال عليه .

طبع هذا الكتاب عدت مرات ، وعنى به المستشرقون فطبعوه طبعة علمية بليد ن
سنة ١٨٦٦ م .

كما علق عليه جمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط المتوفى سنة ٧١٨ هـ ،
حواشي مفيدة ، وزيله على بن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ في خمسة مجلدات . (١)

وترجمه الى الفارسية مولانا نجم الدين الطارمي وهو من أعيان دولة مهرايرشاه
وقد اعتمدت على طبعة بالافست ببيروت سنة ١٩٦٦ م .

أما مؤلفه فهو أبو الحسن علي بن محمد بن الاثير الشيباني الجزري ، ولد
ونشأ في جزيرة بن عمر من أعمال الموصل سنة ٥٥٥ هـ الموافق ١١٦٠ م وتوفى سنة
٦٣٠ هـ الموافق ١٢٣٤ م ، رحل الى دمشق وبيت المقدس ثم عاد واستقر في
الموصل وانقطع للعلم والتأليف ، فألف كتابه الكامل وله أيضا أسد الغابة في معرفة
الصحابة ، وتحفه العجائب وطره الخرائب والجامع الكبير ، واختصر كتاب الانساب
للسمعاني (٢) . . وقد استعنت به في الرد على كل من (بروكلمان) و (فيليب حتى)

(١) المصدر السابق

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ص ٩

في بعض الموضوعات :

- (١) أحقية معاوية في تولية يزيد •
- (٢) نفي التهم التي الصقت بيزيد بن معاوية •
- (٣) نفي التهم التي الصقت بعبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وهشام •

ثالثاً - كتاب العبر ود بيان المبتدأ والخبر

وهو مكون من سبعة مجلدات ، الأول منهم يحتوي على ٥٨٨ صفحة وهو المقدمة وهي ذات موضوع خاص لا شتمالها على نصوص في أصول العمران والنظريات الفلسفية والسياسية وإضاف فيها العلوم ، كما اشتملت المقدمة على أصول علم الاجتماع وطرق التربية بالنسبة للنشء ، فانقد فيها البدء بتعليم القرآن والاقتصار عليه لان الاطفال في هذه الحالة يقرؤون ولا يفهمون فلانحصل لهم الملكة اللغوية •

ونعى فيها على الفلاسفة المتقدمين ، اقتصارهم على دراسة العالم العالوي والذات الالهية ، وقولهم بأراء لا يمكن لهم أن يبرهنوا عليها •

وقد ترجمت هذه المقدمة الى الفرنسية وغيرها من اللغات ، وترجمها السي الفارسية الشيخ محمد بيرزادة المتوفى سنة ١١٦٢ هـ ، وشرحها الشيخ أحمد المغربي المقرئ سنة ١٠٤١ هـ^(١) كما قام بتحقيقها السيد الدكتور عبد الواحد وانسى في ثلاثة مجلدات •

(١) كشف الظنون ج ١ ص ١١٢٤

ولابن خلدون منهج خاص في مقدمته هذه بالنسبة لعلم التاريخ ، فقد جعل للبحث في الوقائع قواعد خاصة ، فالوقائع التاريخية في منهج ابن خلدون التاريخية ترتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول ، وهذا جعل ابن خلدون علم التاريخ فرعاً من فروع الفلسفة ، وجعل لمقدمته هذه موضوعاً خاصاً هو الحياة الاجتماعية ، وما يتصل بها من حضارة مادية وعقلية ، والتي رأى أنها تتطور من حال إلى حال ، كحال البداوة ، وحال الاسر والحاكمة أو القبيلة ، وحال الدولة المتحضرة المستقرة فـى المدينة ، وعلى ذلك بحث ابن خلدون في أصول العمران والملك والكسب والعلوم والصناعات المختلفة ، فكان فذاً بين فلاسفة المسلمين مما جعله مؤسساً لفلسفة التاريخ . (١)

أما الأجزاء الستة الأخرى فهي في علم التاريخ وكتاب العبر وديوان البتدأ والخبر ، ذو قيمة كبرى بين كتب التاريخ الإسلامي .

وكتب ابن خلدون عن التاريخ منذ بدء الخليقة حتى عصره ورتب كتابه حسب السنين ولم يلتزم فيه بتحقيق الروايات التاريخية كما اشترط ذلك لكتابة التاريخ فـى مقدمته ، وقسم كتابه إلى قسمين ، (القسم الأول) يتكلم فيه عن أحوال العرب (والقسم الثاني) عن أخبار البربر بديار المغرب ، وختم كتابه بالتعريف عن نفسه فـى ٧٦ صفحة بعنوان التعريف بابن خلدون .

أما مؤلف الكتاب فهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المولود سنة ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣٢م ، والمتوفى سنة ٨٠٨هـ الموافق ١٤٠٦م .

مؤرخ اجتماعي ، فيلسوف عربي مسلم ، ينتهي نسبه الى وائل بن حجر من عرب اليمن ، أقامت أسرته في تونس ، حيث ولد ونشأ ، وتعلم بها ، وتنقل في بلاد العرب والاندلس ثم أقام بتلمسان وشرع بها في تأليف تاريخه ، ثم عاد الى تونس ومنها انتقل الى مصر واتصل بسلطانها برقوق ، فولاه قضاء المالكية هجج الى مكة سنة ١٣٨٧م رافق جيش المماليك الذي انغذ لصد زحف تيمورلنك ، ثم انقطع بعد ذلك للتأليف في مصر وأتم كتابه العبر .

وقد انتفعت به في الرد على كل من (بروكلمان) و (حتى) في بعض الموضوعات

مثل :

- (١) تبرير موقف معاوية من تحويل الخلافة الى ملك .
- (٢) اثبات أن ما وضع من أخبار لهو الخلفاء في كتب الادب انما بيعته هو انهماك الكتاب انفسهم في الملذات المحرمة فوضعوها ليبرروا لانفسهم سوء فعلهم .
- (٣) موقف الامام علي رضي الله عنه بجانب سيدنا عثمان رضي الله عنه في محنته .

رابعا - حضارة العرب

للمستشرق الفرنسي " جوستاف لوبون " في مجلد واحد مكون من ٦٥٩ صفحة وقد قسمه مؤلفه الى ستة أبواب كل باب منها يحتوي على عدد من الفصول .

كما يشتمل على عشر لوحات وأربع خرائط و ٣٣٦ صورة فوتوغرافية من تصوير المؤلف نفسه .

يهتم الكتاب بتاريخ العرب والمسلمين ولكن المهم فيه أن هذا الكتاب أعطى

العرب والمسلمين حقهم من الانصاف ، فاعترف بعبقرية الاسلام وشموخه ، وأثره على معتنقيه ، وانصف الحضارة الاسلامية ، وأشاد بفضلها على الحضارة الاوربية .

فبحث هذا الكتاب في جميع احوال العرب والمسلمين من حيث الاصل والنسب والارض والوطن ، أى من حيث الجغرافيا والطبائع والنظم فى المدن والاريساف فى الحضرة والبدو ووضح نظمهم السياسية والاجتماعية ، ومن حيث الاتصالات بين الشعوب الاسلامية التى حصلت اثر الفتح الاسلامى .

كما بحث فى الاسلام وكيف انتشر حتى اضحى له تلك الدولة المترامية الاطراف فاهتم الكتاب بالبحث فى احوال شعوب البلاد المفتوحة من جميع نواحيها الاجتماعية والسياسية وأثرها على العرب وأثر العرب فى تحيين فيها .

وناقش الحضارة العربية صادرها ومناهجها ، وأثرها على الشعوب والحضارات الاخرى ، وأشاد بشمولها وبقائها وخصص لها باب قائم بذاته وهو الباب الخامس من الكتاب ، فعرض وبحث فيه جميع فروع الحضارة فتحدث عن اللغة والفلسفة والتاريخ ، عن الرياضيات وعلم الفلك ، عن العلوم والجغرافيا ، عن الفيزياء وتطبيقاتها عن العلوم التطبيقية عند المسلمين ، عن الفنون بجميع نواحيها من عمارة ونسيج من نحت ونقوش وما الى ذلك .

تحدث عن تجارة العرب واتصالاتهم بالشعوب الاخرى وتمدينهم للمسكن الاوربية .

ثم خصص بابا آخر وهو الباب السادس عن أسباب انحطاط حضارة العرب فى

الشرق وكيف ورث الغرب حضارة الشرق

ثم ختم الكتاب بفصل يصف فيه حال الاسلام الحاضر . . وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها كانت سنة ١٩٦٩م في القاهرة ، كما قام بترجمة هذه الطبعة من الفرنسية الى العربية الاستاذ عادل زعتر ، وهذه الذي اعتمدت عليها .

أما مؤلف الكتاب فهو المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون ، ولد سنة ١٨٤١م وتوفي سنة ١٩٣١م ، وهو من علماء النفس والاجتماع ، ألف عددا من الكتب في علم النفس والاجتماع . . وقد أفادني في الرد على (بروكلمان) و (حتى) في بعض الموضوعات مثل

- (١) طبيعة الفتح الاسلامي وحسن معاملتهم لاهل البلاد المفتوحة .
- (٢) اثبات معرفة العرب بامور البحر ، وان عرب الشام هم سادة البحر الابيض .
- (٣) اصالة اللغة العربية وعمقها الحضاري .

خامسا - الدعوة الى الاسلام

للمستشرق الانجليزي السير توماس ارنلد ، وهو مقسم الى ثلاثة عشر بابا وعدد صفحاته ٥٢١ مع الفهارس ، ويتميز الكتاب بالبحث عن تاريخ نشر العقيدة الاسلامية كما اتصف بالانصاف للاسلام والمسلمين .

الباب الاول اختص بالتعريف عن الدين الاسلامي واساليب انتشاره .

والباب الثاني دراسة مستوفية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره داعية الى الاسلام .

وخص عشرة ابواب منه لكيفية انتشار الاسلام بين شعوب العالم ، فقسم العالم

الاسلام الى عشر مناطق ، وخص كل منطقة من العالم بباب خاص .

أما الباب الاخير وهو الثالث عشر ، فعقده عن دة المسلمين وأشار فيه الى وجوب وجود هيئة منظمة للدعوة الى الاسلام وبين فيه المهمة الملقاة على عاتق الافراد وعوامل نجاحهم .

وطبع في لندن سنة ١٨٩٦ وهو أول طبعاته ، شترجم الى العربية والتركية والاردية (١) . وقد ترجمه الى العربية وعلق عليه الدكتور حسن ابراهيم حسن ، والدكتور عبد المجيد طيدين ، والاستاذ اسماعيل النحراوى ، كما قام بمراجعة الترجمة الاستاذ مصطفى السقا .

وقد طبعت النسخة المترجمة ثلاث مرات في القاهرة ، الاولى كانت سنة ١٩٤٧ م والثانية ١٩٥٧ ، أما الثالثة والاخيرة والتي اعتمدت عليها في سنة ١٩٧٠ م .

أما مؤلف الكتاب فهو السير توماس رارنلد ولد سنة ١٨٦٤ م وتوفي سنة ١٩٣٠ م مستشرق انجليزي ، تعلم في كمبرج وعمل استاذاً للفلسفة بجامعة عليكرة بالهند كان أول استاذ في قسم الدراسات العربية بمدرسة اللغات الشرقية بلندن ، تتسم كتاباته عن بعض قضايا التاريخ الاسلامي بالحياد والانصاف .

من أهم آثاره كتابنا الذي نحن بصدده وهو الدعوة الى الاسلام ، وكتاب الخلافة الذي طبع باكسفورد عام ١٩٢٤ م . وقد أفادني كتابه الدعوة الى الاسلام في الرد على بروكلمان وحتى في بعض الموضوعات مثل :

(١) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٥

- (١) في الرد على من حاول الصاق الشبه حول حقيقة النبوة •
- (٢) طبيعة الفتح الاسلامي وان الفاتحين ليس لهم اطماع في الفتح غير نشر الدعوة الاسلامية •
- (٣) اثبات أن معظم الشعوب المفتوحة دخلت الاسلام ، رغبة فيه وهربوا من الاوضاع الغير مستقرة بالنسبة للكثيرة وللحكومات السابقة للفتح الاسلامي •

الخاتمة

عندما كلفت بهذا الموضوع ، موضوع ((دراسة نقدية لآراء "فيليب حتى" و "كارل بروكلمان")) قرأت كتاب "تاريخ العرب المطول" لفيليب حتى وقرأت كتاب "تاريخ الشعوب الإسلامية" لكارل بروكلمان ، فوجدت في كلا الكتابين قضايا وموضوعات وقفت أمامها أفكر كيف صدرت هذه الافكار والقضايا من عالمين كبيرين يشار اليهما بالبنان في مجال الكتابات التاريخية .

وجدت هجوما غير كريم على المقدسات الإسلامية وأكاذيب موضوعة تمس عقيدة المسلمين كما تمس شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، واتهامات شائنة لكبار الصحابة في صدر الإسلام ، ثم تتبعهما للروايات المزيفة ومقالات أصحاب الاهواء ليتخذ كل منهما دليلا من هذه الروايات المتهافة على صحة وجهة نظر كل منهما .

ثم تابعت القراءة في أمهات الكتب التاريخية فاتضح لي مدى ما يكفه كل من بروكلمان وفيليب حتى من حقد على الإسلام ورجاله .

ولقد ساعدتني المعلومات التي حصلت عليها من قراءتي لمصادر التاريخ الإسلامي ولما نعلمه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ساعدتني هذه المعلومات على رد هذه الافتراءات بما تحتاجه كل فريفة من الرد عليها سواء من القرآن الكريم حين أجد التعرض والهجوم على القرآن الكريم ومن الحديث النبوي

حين أحس بأن الهدف هو الطعن في أحاديث رسول الله ، وبالمنطق والعقل
والحجة حين أحس بانحراف عن المعقول في كتابة هذين الرجلين .

ولقد اسعفتني وقوى حجتي في الرد على كثير من الرميات التي وجهها كل منهما
الى الاسلام ورجالها . بعض المستشرقين الذين لم تجرفهم تيارات العصبية
ولم تأخذهم حمى البغض للاسلام ، فكتبوا ما أظنني على الرد بأرائهم على اخوانهم
في الملة والدين .

وأخذت أبحثني كتابات المحدثين ومؤلفات المعاصرين لاجد فيها ما يطمئني
على صحة ردي وسلامة موقفي أمام هذه الضلالات والافتراءات . . . فوجدت في
كتب القدامى تصحيحا لبعض القضايا التي اعتمد كل من فيليب حتى وكارل بروكلمان
على نشرها واداعتها .

وجدت ابن خلدون في مقدمته يصحح الآراء الفاسدة التي غنى بها خصوم
الاسلام وشوهوا الحقيقة التي كان ينبغي أن يعرفوها ، وكذلك وجدت في كتاب القوام
من القوام لابن العربي ما استطعت به أن أرد كيد هؤلاء الناس وأسالهم في نحورهم .

وكذلك شد من أذرى وأنار الطريق أمامي عدد من فضلاء الكتاب والمؤرخين
المعاصرين أمثال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتبه دفاع عن العقيدة
والشريعة ضد مزاعم المستشرقين ، التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام
وكتاب مع الله .

وكذلك فضيلة الدكتور الشيخ ابراهيم شعوط في كتابه " اباطيل بجيب
 أن تحى من التاريخ " .
 والاستاذ أحمد محمد جمال في كتابه " دفاع عن الاسلام " . .

وفي اثناء معايشتي لهذه القضايا وقع في يدي ما انتجه فريق من الكتاب
 المعاصرين الذين درسوا في مدارس المستشرقين فراغنى ما وجدت في هذه الكتب
 التي تحمل اسماء اساتذة كبار وتدرس في الجامعات العربية والاسلامية . .

راغنى أن ما وجدته من الانحراف في الفكر والتجنى على الاسلام ، انهم تأثروا
 بما كتبه كل من فيليب حتى وكارل بروكلمان من قضايا ظهر فيها الحقد والمكر السيء
 بالاسلام والمسلمين . .

ثم ادركت أن ما اراده بروكلمان وفيليب حتى من الحط من شأن الاسلام ولبلة
 افكار الشباب المسلم لاتساوى شىء بجانب ما أحدثته كتب ومؤلفات هؤلاء الاساتذة
 المسلمين الذين صارت لهم الهيمنة الفكرية على عقول الشباب في الجامعات والمدارس
 الاسلامية .

وخرجت من بحثى هذا بهذا الجهد المتواضع الذى حاولت أن أجعل منه
 مشاعل على الطريق لمن يريد السلامة في مسيرة التاريخ .

واعبر ان بحثى هذا محاولة للدفاع عن الاسلام وتصحيح بعض القضايا التي
 تعتمد خصوم الاسلام أن يضعوها بارزة أمام عيون الشباب المسلم واعبرها احد
 اللبانات الاولى التي أرجو أن يكتمل في البناء عليها بجهد الباحثين الذين أرجو

أن يرزقهم الله التوفيق والسداد بما ينتجوه من آراء وكتب تمتليء بها عقول
الشباب ويمونهم وتحل محل ما كتبه هؤلاء الذين نهجوا نهج اساتذتهم من المستشار^{قين}

والله وحده المستعان والمرجو في كل نائبة أنه نعم المولى ونعم النصير. ٤

—•—

حسن ٤

قائمة بأسماء المصادر والمراجع
 (مرتبة ترتيباً هجائياً - بالنسبة لشهرة المؤلف)

قائمة بأسماء المخطوطات :

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | الضباع : محمد بن أحمد | تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام
رقم الايداع ٦٨ بمكتبة الحرم المكي |
| ٢ | الظاهري : أبو محمد علي بن أحمد
ت ٤٥٦ هـ | اسماء الصحابة والرواة
رقم العدد
رقم الايداع ٢٥٤ دار الكتب المصرية |
| ٣ | العجوى : علي بن حسن | تاريخ مكة والمدينة والطائف
رقم الايداع ٦١ مكتبة الحرم المكي . |
| ٤ | محب الدين : عبد الكريم الحنفى | اعلام العلماء الاعلام ببناء المسجد
الحرام
رقم الايداع ٩٣ مكتبة الحرم المكي |
| ٥ | المهيشى : احمد بن حجر
ت ٦٧٤ | تطهير الجنان واللسان عن
الخطورة بالتفوه بمثالب معاوية
ابن ابي سفيان .
رقم الايداع ٢٥٠ مكتبة جامعة
الملك عبد العزيز بمكة المكرمة . |

أسماء المصادر والمراجع :

- | | | |
|---|---|---|
| | ١ | القرآن الكريم |
| الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - القاهرة ١٣٧٩ | ٢ | ابن تيمية : احمد بن عبد الحلیم
ت ٧٢٨هـ |
| منهاج السنة - القاهرة ١٣٢١ | ٣ | ابن تيمية : أحمد بن عبد الحلیم |
| أسد الغابة في معرفة الصحابة - دار الشعب - القاهرة | ٤ | ابن الاثير : عز الدين ابوالحسن على
ابن محمد بن عبد الكريم، الجزري
الشيبياني ت ٦٣٠هـ |
| الكامل في التاريخ - بيروت ١٣٨٦ | ٥ | " " |
| تلقيح فهوم أهل الاثر في عمون التاريخ والسير - القاهرة ١٩٧٥م | ٦ | ابن الجوزي : جمال الدين
عبد الرحمن بن على بن محمد بن
على بن جعفر . ت ٥٩٧هـ |
| تهذيب التهذيب - بيروت ١٩٦٨ | ٧ | ابن حجر العسقلاني : احمد بن على
ت ٨٥٢هـ |
| لسان الميزان - الهند ١٣٣١هـ | ٨ | " " |
| الاصابة في تمييز الصحابة - دار الفكر - بيروت | ٩ | " " |

- | | |
|--|---|
| حقائق ثابتة في الاسلام
القاهرة ١٣٩٤ | ١٠ ابن الخطيب: محمد محمد
عبد اللطيف |
| وفيات الاعيان وانبياء ابناء الزمان
دار صادر - بيروت | ١١ ابن خلكان: ابو العباس شمس
الدين احمد بن محمد ت ٦٨١ |
| كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
بيروت ١٣٩١ | ١٢ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد
ابن خلدون الحضرمي المغربي
ت ٨٠٨ هـ |
| الطبقات الكبرى
بيروت ١٣٨٠ | ١٣ ابن سعد: محمد بن منيع الزهري
ت ٢٣٠ هـ |
| فتح مصر
لیدن ١٩٢٠ | ١٤ ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن
عبد الله - ت ٢٥٧ هـ |
| الاستيعاب
دار الفكر - بيروت | ١٥ ابن عبد البر: عمر يوسف بن عبد الله
ت ٤٦٣ هـ |
| العقد الفريد
دار الشرق - بيروت | ١٦ ابن عدي: احمد بن محمد
الاندلسي - ت ٣٢٨ هـ |
| مختصر سيرة الرسول
القاهرة ١٣٧٩ | ١٧ ابن عبد الوهاب: محمد
ت ٢٠٦ هـ |
| العواصم من القواصم
القاهرة ١٣٨٧ | ١٨ ابن العربي: أبو بكر
ت ٥٤٣ هـ |
| الامامة والسياسة
القاهرة ١٣٨٨ | ١٩ ابن قتيبة: ابو محمد بن عبد الله
ابن مسلم الدينوري ت ٢٧٦ هـ |

- | | |
|---|--|
| أحكام أهل الذمة في الاسلام
دمشق ١٣٨١ | ٢٠ ابن القيم: شمس الدين أبو
عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ |
| تفسير بن كثير
دار الفكر - بيروت | ٢١ ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل
ت ٧٧٤هـ |
| البداية والنهاية
بيروت ١٩٧٤ | ٢٢ " " " |
| سنن ابن ماجه
بيروت ١٣٧٢ | ٢٣ ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن
يزيد |
| تتمة المختصر في اخبار البشر
القاهرة ١٣٨٩ | ٢٤ ابن الوردي: زين الدين
عمير بن مظفر أبو الفوارس
القيسي ت ٧٤١هـ |
| السيرة النبوية
القاهرة ١٩٧٥ | ٢٥ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك
ت ٢١٣هـ |
| طبقات الفقهاء
بيروت | ٢٦ أبو اسحاق: الشيرازي الشافعي |
| البحر المحييط
بيروت ١٣٩٨ | ٢٧ أبو حبان: محمد بن يوسف
ت ٧٥٤هـ |
| جولة مع المستشرقين
القاهرة ١٣٩٦ | ٢٨ أبو رابيه: عبد الخالق سيد |
| اضواء على السنة
القاهرة ١٣٧٧ | ٢٩ ابورية: محمد |

- ٣٠ أبو زهو : محمد محمد —————
الحديث والمحدثون
القاهرة ١٣٧٨
- ٣١ أبو السعود : محمد
العمادى الخنقى ت ١٨٢٢ ن محمد
تفسير أبو السعود
مطبعة السعادة - القاهرة
- ٣٢ أبو الفرج : علي بن الحسين الاصفهاني
ت ٣٥٦ هـ
الاجانيس
مصر - بدون
- ٣٣ أبو الفضل : بن منظور
لسان العرب
بيروت ١٩٦٨
- ٣٤ أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم
ت ١٨٢
الخروج
القاهرة ١٣٩٢
- ٣٥ الباشا : حسن
دراسات في تاريخ الدولة العباسية
القاهرة ١٩٧٥
- ٣٦ آري : د ١٠ ج
المستشرقون البريطانيون
لندن ١٩٤٦
- ٣٧ ارنست
تركيبا الفتنة
بيروت ١٩٦٠
- ٣٨ ارنولد : توماس
الدعوة الى الاسلام
القاهرة ١٩٧٠
- ٣٩ انطونيوس : جورج
يقظة العرب
القاهرة ١٩٦٩

- ٤٠ البخارى : أبو عبد الله محمد بن اسحاق ت ٢٥٦ هـ
صحیح البخارى
القاهرة ١٣٧٨
- ٤١ بروكلمان : كارل
تاريخ الشعوب
بيروت ١٩٧٤
- ٤٢ البستاني : بطرس
دائرة معارف البستاني
دارالمعارف - بيروت
- ٤٣ البغوي : أبو محمد الحسين الفراء
ت ٥١٦ هـ
تفسير البغوي
دارالفكر - بيروت
- ٤٤ البغدادي : مطير حسان
الدولة العربية
القاهرة ١٩٦٧
- ٤٥ البلازري : أبو الحسن أحمد بن يحيى ت ٢٧٩ هـ
فتح البلدان
القاهرة ١٩٥٩
- ٤٦ " " "
انساب الاشراف
القاهرة ١٩٥٩
- ٤٧ البهي : محمد
مقال حوليات عون شمس بكلية الاداب
القاهرة
- ٤٨ ترتون : أ. س. ترتون
اهل الذمة في الاسلام
- ٤٩ ترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى
سنن الترمذى
القاهرة ١٩٦٥

- ٥٠ تغرى بردى : جمال الدين أبو
المحاسن ت ٨٧٤
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
الموسسة العامة للتأليف والترجمة
القاهرة
- ٥١ الجاحظ : ابو عثمان عمر بن بحر
ت ٢٥٥
التاج فى اخلاق الملوك
القاهرة ١٣٢٢
- ٥٢ جرمود : عبد الجبار
هارون الرشيد
بيروت ١٣٧٦
- ٥٣ جصاص : ابو بكر محمد بن الرازى
ت ٣٧٠ هـ
احكام القرآن
دار الفكر - بيروت
- ٥٤ جمال : احمد محمد
مفتريات على الاسلام
القاهرة ١٣٩٥
- ٥٥ جمعة : سعد
مجتمع الكراهية
دار الكتاب العربى - بيروت
- ٥٦ الجهمشيارى : ابو عبد الله محمد
ابن عبدوس ت ٣٣١ هـ
الوزراء والكتاب
القاهرة ١٣٥٧
- ٥٧ حاجى خليفه : مصطفى عبد الله
ت ١٠٦٨ هـ
كشف الظنون
مكتبة المثنى - بغداد
- ٥٨ حتى : فيليب
تاريخ العرب المطول
اقاهرة ١٩٤٩
- ٥٩ حتى : فيليب
خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الادنى
بيروت ١٩٧٥

- ٦٠ حسن : حسن ابراهيم
تاريخ الاسلام السياسى
- ٦١ حسن : على ابراهيم
التاريخ الاسلامى العام
القاهرة ١٩٦٣
- ٦٢ حسين : طه
على هامش السيرة
الطبعة ٢ القاهرة
- ٦٣ الحلبي : على بن برهان
السيرة الحلبية (سيرة تلاميذ والمؤمن)
دار الفكر - بيروت
- ٦٤ الحماني : احمد
مجلة جواهر الاسلام
مقال
- ٦٥ الحموي : شهاب الدين ابو عبد الله
ياقوت الروي ت ٦٢٦
معجم البلدان
بيروت ١٩٥٧
- ٦٧ الخازن : علاء الدين على بن محمد
ابن ابراهيم ت ٧٤١ هـ
تفسير الخازن
دار الفكر - بيروت
- ٦٨ الخالدي : محمد
التبشير والاستعمار
بيروت
- ٦٩ الخريطلى : على حسنى
الدولة العربية الاسلاميه
القاهرة ١٩٦٠

- ٧٠ الخضرى : محمد بك
تاريخ التشريع
بيروت ١٣٨٧
- ٧١ " " " " " "
محاضرات في الدولة الاموية
القاهرة ١٣٦٩
- ٧٢ الرفاعى : احمد فريد
عصر المأمون
القاهرة ١٣٤٦
- ٧٣ الارزقى : ابو الوليد محمد بن
عبدالله ت ٢٥٠
أخبار مكنة
القاهرة ١٣٥٢
- ٧٤ الزركشى : بدر الدين محمد بن
عبدالله ت ٧٩٤
البرهان في علوم القرآن
القاهرة ١٣٧٦
- ٧٥ الزركلى : خير الدين
الاعلام
بيروت ١٣٨٩
- ٧٦ زكوبا : هاشم زكوبى
المستشرقون والاسلام
القاهرة ١٣٨٥
- ٧٧ الزمخشرى : ابوالقاسم جار الله
محمد بن عمر ت ٥٣٨
تفسير الكشاف
دار الفكر - بيروت
- ٧٨ زيدان : جورجى
العرب قبل الاسلام
دار الهلال القاهرة
- ٧٩ سالم: عبد العزيز
تاريخ العرب قبل الاسلام
الاسكندرية ١٣٩٣

- | | |
|---|---|
| المستشرقون والاستشراق
الكويت ١٣٨٢ | ٨٠ السباعي : مصطفى |
| الحياة السياسية في الدولة العربية
بيروت ١٩٧٣ | ٨١ سرور : جمال الدين |
| تاريخ العرب العام
القاهرة ١٣٨٦ | ٨٢ سيدبو : ل ٠١٠ سيدبو |
| الاتقان في علوم القرآن
دار الفكر - بيروت | ٨٣ السيوطي : جلال الدين
ت ٩١١ هـ |
| عجاز القرآن
دار الفكر - بيروت | ٨٤ " " " " |
| اباطيل يجب ان تحى من التاريخ
القاهرة ١٣٩٦ | ٨٥ شعوط : ابراهيم على |
| مقال
العدد الاول من مجلة جامعة
الملك عبد العزيز
جدة ١٣٩٥ | ٨٦ " " " " |
| الملل والنحل
القاهرة ١٣٨٢ | ٨٧ الشهرستاني : أبو الفتح محمد
ابن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ |
| حليمة الاوليا
وطبقات الاصفيا
القاهرة ١٣٩٤ | ٨٨ الاصبهاني : ابو نعيم احمد بن
عبد الله ت ٤٣٠ هـ |
| المخططات الاستعمارية لمكافحة
الاستعمار - الطبعة الاولى | ٨٩ الصواف : محمد محمود |

- | | | |
|---|--|----------|
| مجمع البيان
بيروت ١٣٨٠ | الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن
ت ٥٤٨ هـ | ٩٠ |
| جامع البيان في تفسير القرآن
القاهرة ١٣٧٣ | الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير
ت ٣١٠ هـ | ٩١ |
| تاريخ الطبري
دار المعارف - القاهرة | " " | ٩٢ |
| عصر الازدهار
بيروت ١٩٦٠ | طلس : أسعد | ٩٣ |
| عمر بن الخطيب
بيروت ١٩٦٩ | الطماوي : سليمان | ٩٤ |
| التبشير والاستشراق
محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل
والقرآن
القاهرة ١٩٧٢ | الطهطاوي : محمد عزت اسماعيل
" | ٩٥
٩٦ |
| بهجة المحافل
دار صادر - بيروت | العامري : عماد الدين يحيى بن
أبي بكر | ٩٧ |
| مجلة كلية الآداب
عدد مايو ١٩٥٢ | العبادي : عبد الحميد | ٩٨ |

- ١٠٠ عثمان : حسن
البحر الاحمر كطريق تجارى فى عهد
اليرزنتيين والعرب والماليك
القاهرة ١٣٥٨
- ١٠١ عرجون : صادق
خالد بن الوليد
القاهرة ١٣٧٨
- ١٠٢ العصامي : عبد الملك بن حسين بن
عبد الملك ت ١١١١ هـ
سحط النجوم العوالسي
المكتبة السلفية القاهرة
- ١٠٣ العقاد : عباس محمود
عقريسة محمد
دار الكتاب - بيروت
- ١٠٤ العقاد : عباس محمود
ما يقال عن الاسلام
دار الكتاب - بيروت
- ١٠٥ على : جواد
الفصل فى تاريخ العرب
بيروت ١٩٦٨
- ١٠٦ العقيتى : نجيب
المستشرقون
القاهرة ١٩٦٤
- ١٠٧ على : سيد امير
مختصر تاريخ العرب
بيروت ١٩٦٧
- ١٠٨ غان : محمد عبدالله
تراجم اسلامية
القاهرة ١٣٩٠

- ١٠٩ غربال : محمد شفيق
الموسوعة العربية الميسرة
بيروت ١٩٦٥
- ١١٠ الفزالي : محمد
مع الله
القاهرة ١٩٥٩
- ١١١ " " " " " " " "
التعصب والنساج بين المسيحية
والاسلام
القاهرة ١٩٦٥
- ١١٢ " " " " " " " "
دفاع عن العقيدة والشريعة ضد
مزاعم المستشرقين
القاهرة ١٣٩٥
- ١١٣ غريم : محمد علي
لسب التاريخ
القاهرة
- ١١٤ غياته : يوجينا
تاريخ الدولة الاسلامية وتشريعها
بيروت ١٩٦٦
- ١١٥ الفراء : محمد بن الحسين
ت ٤٥٨ هـ
الاحكام السلطانية
القاهرة ١٣٨٦
- ١١٦ القارى : عبد العزيز
مجلة محاضرات الجامعة الاسلامية
لموسم ٩٤/٩٣
- ١١٧ القرشى : جمال الدين محمد جار
الله بن محمد نور الدين بن ابي
بكر بن ظهير القرشى
الجامع اللطيف
١٣٩٢

- ١١٨ القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد
ت ٦٧١
الجامع لاحكام القرآن
بيروت ١٣٨٧
- ١١٩ قطب : سيد
في ظلال القرآن
بيروت ١٣٨٦
- ١٢٠ القلقمندی : احمد بن عبد الله
ت ١٤١٨
مآثر الانافة في معالم الخلافة
الكويت ١٩٦٤
- ١٢١ الكبیس : عبد المجید
عمر هشام بن عبد الملك
بغداد ١٩٧٥
- ١٢٢ الكتبی : محمد بن شاکر
ت ٧٦٤
فوات الوفیات
بيروت ١٩٧٣
- ١٢٣ لوبون : جستاف
حضارة العرب
القاهرة ١٩٦٩
- ١٢٤ ماجد : عبد المنعم
التاريخ السياسي للدولة العربية
القاهرة ١٩٩٥
- ١٢٥ الماوردی : علي بن حبيب
ت ٤٥٠ هـ
الاحكام السلطانية
القاهرة ١٣٨٦
- ١٢٦ مخائیل : بشرى زخارى
محمد رسول الله هكذا بشرت به
الاناجيل
القاهرة ١٩٧٢
- ١٢٧ المسعودی : ابو الحسن علي بن
الحسن ت ٣٤٦
مروج الذهب
بيروت ١٣٩٣

- ١٢٨ مسلم : الامام ابو الحسن مسلم
ابن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١
صحیح مسلم
دار الفكر - بيروت
- ١٢٩ مصطفى : شاکر
دولة بنی العباس
القاهرة ١٩٧٣
- ١٣٠ مصطفى : عاطف
مجلة الدارة العدد الثاني والثالث من
السنة الثالثة
- ١٣١ المقدس : ابو عبد الله محمد بن أحمد
ت ٣٨٠
أحسن التقاسيم
بريل ١٩٠٦
- ١٣٢ المقدس : مطهر بن ظاهر
ت ٣٥٥
البدء والتاريخ
القاهرة ١٩١٦
- ١٣٣ المقرئ : تقى الدين احمد بن علي
ت ٨٤٥
المواعظ والاثار وكرا الخطط والاثار
القاهرة ١٩٥٩
- ١٣٤ المليباري : محمد عبد الله
مجلة المؤتمر الاول للادباء السعوديين
مقال
- ١٣٥ المودودي : أبو الاعلى
تفسير سورة النور
دار الفكر - بيروت
- ١٣٦ النجار : عبد الوهاب
الخلفاء الراشدون
القاهرة ١٩٦٠
- ١٣٧ النور : عبد المنعم
الاسلام في الهند
القاهرة ١٣٧٨
- الهيثم بن زور الدين
عاصم بن ابي بكر ت ٩٨٠٧
مجمع الزوائد وفتح المنهاج
بيروت ٢١٩٦٧

- ١٣٨ هيكل : محمد حسنين
الفاروق عمر
القاهرة ١٩٦٣
- ١٣٩ هيكل : محمد حسنين
حياة محمد
القاهرة ١٩٦٥
- ١٤٠ الواقدي : محمد بن عمر
٢٠٧
فتح الشام
مطبعة المشهد الحسيني - القاهرة
- ١٤١ ولهاوزن : يوليوس
الدولة العربية وسقوطها
دمشق ١٩٥٦
- ١٤٢ اليافي : صالح المدهون
تنبيه الانام الى تاريخ الاسلام

المراجع الاجنبية :

- 1- Draycott: G.M. Mohamet founder of Islam -London
1916
- 2- Smith: R. Bosuiath , Mohomedan Mahmedanism,
1839

فهرس الموضوعات

(١)
الصفحة

١

* شكر وتقدير

ب

* المقدمة

١

* تمهيد للبحث

(القسم الاول)

٢٧

الفصل الاول : بعض آراء فيليب حتى في عصر النبوة :

٢٨

(١) الشعب العربي يأكل العقارب والخنافس

٣٦

(٢) زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزَيْنَب بنت جحش

٤٥

(٣) الاسلام يسترجع قواه بعد غزوة أحد •

٤٩

(٤) لم يكن للرسول معجزة غير القرآن •

٥٣

الفصل الثاني : بعض آراء فيليب حتى في عصر الراشدين :

٥٣

(١) خلافة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق مسبق بينه وبين عمر

٥٨

• وأبي عبيدة •

٦٤

(٢) كان دستور عمر عسكريا اشتراكيا قوامه العروة •

٦٨

(٣) لم يدفع العرب المفتوح سوى الفقر والجوع •

٧٣

(٤) أهم ما يعرضه العرب على أهل البلاد المفتوحة هو الجزية

٧٩

(٥) أهل البلاد المفتوحة لم يدخلوا الاسلام الا خلاصا

من الجزية •

(٦) على في المدينة بنافس طلحة والزبير - أم المؤمنين تنضم

الى مقاومي على ليقض في نفسها نتيجة حديث الافك •

٩١

الفصل الثالث : بعض آراء فيليب حتى في عصر بني العباس :

٩١

(١) معاوية يحمل الحسن على التنازل •

٩٥

(٢) معاوية يجعل الخلافة ملكا عضوا •

١٠٣

(٣) عبد الملك يحاول صرف الحجاج الى بيت المقدس •

(ب)

- ١٠٦ (٤) اتهام عبد الملك وولديه الوليد وهشام بشرب الخمر .
(٥) لم يكن في الاسطول الاسلامي في عهد معاوية جند من
١٠٨ العرب - اعراب الحجاز يجهلون أمور البحر .
(٦) ارجاع سبب نكبة البرامكة الى زواج جعفر البرمكي من
١١٨ العباسية - الزواج الصوري .

(القسم الثاني)

الفصل الاول : بعض آراء كارل بروكلمان في التاريخ الاسلامي :

- ١٢٤ (١) الحجر الاسود من اقدم اوثان مكة .
١٢٤ (٢) الرسول يعترف بالغرانيق العلى .
١٣٠ (٣) الرسول ظن أنه مدعو للمرسالة .
١٣٩ (٤) لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانب القرآن وطلم
١٤٥ الرسول الفكري انبثق من اليهودية والنصرانية .
(٥) بعد أن قطع الرسول الرجاء في اليهود في المدينة
ادخل الى العبادات الاسلامية الصيام والصلاة .
١٤٨ (٦) القرآن لم يعد النساء بالتمتع ببهاج الجنة .
١٥٣

الفصل الثاني : بعض آراء كارل بروكلمان في عصر الراشدين :

- ١٥٧ (١) الدوافع الدينية لم تكن مسئولة عن حركة الارتداد .
١٥٧ (٢) خالد يقتل مالك بن نويرة وهو مسلم طمعا في زوجته .
١٦٣ (٣) ارستقراطية عثمان تكمل شخصيته وضعفها سبب في توليته
١٧١ الخلافة .

الفصل الثالث : بعض آراء كارل بروكلمان في عصر بني العباس :

- ١٧٦ (١) المغيرة بن شعبة رجل لازمة له ولا زمام .
١٧٦ (٢) ابن عباس وبيت مال البصرة . . ابن عباس يضع الحديث
١٧٩ من خياله .

(القسم الثالث)

- ١٩٢ (١) مقارنة بين طريقة كل من المؤلفين في تصوير هذه الآراء والافتراءات
وتبريرها .

(ج)

- ٢٠١ (ب) واجب رجال التاريخ ازاء هذه الافتراءات .
٢٠٤ (ج) بعض الكتب التي تأثرت بأراء وافتراءات بعض المستشرقين .

٥٥

- ٢١٤ * تعريف مبسط بأهم المراجع التي اعتمد عليها البحث .
٢٢٦ * الخاتمة .
٢٣٠ * قائمة المراجع .

-٠-

حسن